تاريخ التشيع

من نشوئه حتى نهاية الغيبة الصغرى

تأليف: غلام حسن محرمي

ترجمة: كمال السيد



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

سورة الأحزاب / الآية ٣٣

تاريخ التشيّع

من نشوئه حتى نهاية الغيبة الصغرى

قال رسول الله ﷺ:

"إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا ابداً، وانهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض"

(صحيح مسلم: ج٧: ١٢٢، سنن الدارمي: ج٢: ٤٣٢، مسند أحمد: ج٣: ١٤، ١٧، ٢٦ وج٤: ٣٧١ وج٥: ١٨٢، ١٨٩. مستدرك الحاكم: ج٣: ١٠٩، ١٤٨، ٥٣٣ وغيرها من المصادر)

تاريخ التشيّع

من نشوئه حتى نهاية الغيبة الصغرى

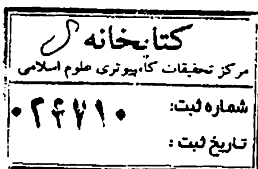
تأليف: غلام حسن محرّمي

ترجمة: كمال السيّد

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام



سرشناسه : محرمی، غلامحسن
عنوان قراردادی : تاریخ تشیع از پیدایش تا عصر غیبت کبری، عربی.
عنوان و پدیدآور : تاریخ التشیع من نشوئه حتی نهایة الغیبة الصغری /تألیف غلام حسن محرمی؛ ترجمة کمال السید: اعداد المعاونیة الثقافیة، دائرة الترجمة.
مشخصات نشر : قم: المجمع العالمي لاهل البیت(ع)، ۱۳۸۵.
مشخصات ظاهری : ۳۴۳ ص.
شابک : 964-529-141-0
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع : شیعه -- تاریخ.
موضوع : اسلام -- تاریخ.
شناسه افزوده : سید، کمال، ۱۳۳۶، مترجم.
شناسه افزوده : مجمع جهانی اهل بیت(ع)، اداره ترجمه.
رده بندی کنگره : ۱۳۸۵BP۲۲۹/۲ ۲۰۴۲ ت۳م/
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۵۳۲
شماره کتابخانه‌ملی : ۸۵-۴۷۵۶۰م





■ تاريخ التشيّع من نشوئه حتى نهاية الغيبة الصغرى
المؤلف: غلام حسن محرّمي
المترجم: كمال السيد
الإعداد: المعاونية الثقافية، دائرة الترجمة
المصحح: محمد حافظ الزيدي
الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام
الطبعة: الأولى
المطبعة: ليلى
سنة النشر: ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م
الكمية: ٣٠٠٠ نسخة

1SBN:964-529-141-0
info@ahl-ul-bayt.org
www.ahl-ul-bayt.org

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليهم السلام الذي اختزنته مدرستُهم، وحَفظَهُ من الضياع أتباعُهم، يعبّر عن مدرسةٍ جامعةٍ لشتى فروعِ المعرفة الإسلاميّة. وقد استطاعتْ هذه المدرسةُ أن تربّيَ النفوسَ المستعدّةَ للاغتراف من هذا المعين، وتقدّمَ للأمّة الإسلاميّة كبارَ العلماء المحتذين لخُطى أهلِ البيت عليهم السلام الرساليّة، مستوعبين إثاراتِ وأسئلةَ شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلاميّة وخارجها، مقدّمين لها أمتَنَ الأجوبةِ والحلولِ على مدى القرون المتتالية.

وقد بادَر المجمعُ العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ منطلقاً من مسؤوليّاته التي أخذها على عاتقه ـ للدفاع عن حريمِ الرسالةِ وحقائقها التي ضبّب عليها أربابُ الفرقِ والمذاهبِ وأصحابُ الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهلِ البيت عليهم السلام وأتباعَ مدرستهم الرشيدة التي حرصَت في الردِّ على التحدّيات المستمرّة، وحاولَتْ أن تبقى على الدوامِ في خطِّ المواجهةِ وبالمستوى المطلوب في كلِّ عصر.

إن التجارب التي تختزنها كتبُ علماءِ مدرسةِ أهلِ البيت عليهم السلام في هذا المضمار فريدةٌ في نوعها؛ لأنّها ذات رصيدٍ علميٍّ يحتكم إلى العقل والبرهان ويتجنّبُ الهوى والتعصبَ المذمومَ، ويخاطبُ العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاصِ خطاباً يستسيغه العقل وتتقبّله الفطرةُ السليمةُ.

وقد حاول المجمعُ العالمي لأهل البيت عليهم السلام أن يقدّمَ لطلاب الحقيقة مرحلةً جديدةً من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعةٍ من البحوث والمؤلّفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، أو من

الذين أنعم الله عليهم بالالتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشرٍ وتحقيق ما يُتوخّى فيه الفائدة من مؤلفات قدامى علماء الشيعة الأعلام أيضاً، لتكون هذه المؤلّفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحقّ، كي تنفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسةُ أهل البيت عليهم السلام الرساليّة للعالم أجمع، في عصرٍ تتكاملُ فيه العقول وتتواصلُ النفوس والأرواح بشكلٍ سريعٍ وفريد.

نرجو من القرّاء الكرام أن لا يبخلوا علينا بآرائهم ومقترحاتهم القيّمة وانتقاداتهم البنّاءة في هذا المجال. كما ندعو كافّة المراكز المعنيّة والعلماء والمؤلفين والمترجمين للتعاون معنا في نشر الثقافة الإسلاميّة المحمديّة الأصيلة.

سائلين الله تعالى أن يتقبل منّا هذا القليل ويوفقنا للمزيد في ظلّ عنايته الخاصة ورعاية خليفته في الأرض الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).

ونتقدّم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل غلام حسن محرّمي لتأليفه هذا الكتاب. كما ونشكر الأستاذ الكريم كمال السيد لنقله هذا الكتاب من الفارسية إلى اللغة العربية، وكذلك جميع زملائنا الذين ساهموا في إنجاز هذا الأثر، بالأخص العاملين في قسم الترجمة المثابرين في أداء واجبهم.

المعاونية الثقافية

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

المقدمة

لا ينفصل تاريخ التشيّع عن تاريخ الإسلام ذلك أنّ التشيّع هو استمرار للإسلام بقيادة تنوب النبيّ صلى الله عليه وآله، فكان أئمة أهل بيت الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذي أطلق على أتباعهم ومحبّيهم وأنصارهم مفردة «الشيعة».

إنّ أوّل ظهور لنواة التشيّع جاء من خلال موقف كبار الصحابة الميامين من الذين استجابوا لدعوة النبيّ صلى الله عليه وآله في الوقوف إلى جانب الإمام عليّ عليه السلام والالتزام بقيادته بعد رحيله صلى الله عليه وآله.

وبعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله وظهور حادثة السقيفة وما نجم عن ذلك الاجتماع الهام والمصيري في انتخاب خليفة للنبيّ صلى الله عليه وآله تحدّد المسار التاريخي للتشيّع، ذلك أن شيعة الإمام عليّ عليه السلام أصرّوا على موقفهم بمساندة الإمام عليّ عليه السلام وتحمّلوا في سبيل ذلك المصاعب والمحن والمشاكل وظلّوا بمنأى عن أجهزة الحكم ومراكز القرار السياسي، الأمر الذي أفضى فيما بعد إلى أن تتّخذ الحكومات المتعاقبة مواقف عدائية تجاههم فتعرّضوا إلى أشكال من القهر السياسي والتهميش والقمع.

وقد ظلّ الشيعة بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله يرجعون في شؤونهم الفكرية والعقيدية والاجتماعية إلى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام فانفصلوا بمرور الزمن عن الشرائح الاجتماعية التي تساند الخلافة الرسمية وأصبح لهم مساراً فكرياً وثقافياً خاصاً، وهذا

ما أثر بطبيعة الحال في المسار التاريخي للتشيّع وبقاء ثقافته بمنأى عن الانحرافات.

وبسبب اتّباع الشيعة لأئمة أهل البيت عليهم السلام فقد أضحوا من الناحية العملية حَمَلة لعلوم أهل البيت عليهم السلام ويتوارثون تلك العلوم عبر الأجيال، وقد تألّقت ثقافة التشيّع وظلّت تتمتّع بالحيويّة والتجدّد والأصالة، وقد اعترف بهذه الحقيقة حتى خصوم الشيعة فهذا شمس الدين محمّد الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨ هـ) وهو من أعلام أهل السنّة في القرن الثامن يعترف بمرارة في ترجمة أبان بن تغلب ـ من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام بصدقه ووثاقته بعد اتّهامه بالبدعة (التشيّع) يقول فيه:

«شيعي جلد، لكنّه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته وقد وثّقه أحمد بن حنبل، وابن معين وأبو حاتم، وأورده ابن عدي وقال: كان غالياً في التشيّع...

فلقائل أن يقول كيف ساغ توثيق مبتدع وحدّ الثقة العدالة والاتقان؟!»

ثمّ يبرّر ذلك بأنّ بدعته صغرى وهي التشيّع! «فهذا كثير في التابعين وتابعيتهم مع الدين والورع والصدق فلو ردّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبويّة؛ وهذه مفسدة بيّنة»[1].

من جانب آخر، إنّ التشيّع شأنه شأن سائر المذاهب الأُخرى قد مرّ بمنعطفات عديدة خلال مساره التاريخي ممّا أدّى إلى تصدّع في كيانه وظهور العديد من الأزمات داخله. ومازاد الطين بلّة نفوذ الغُلاة داخل كيانه هذا بالرغم من الطرد الشديد لهم ومهاجمتهم من لدن الأئمة عليهم السلام.

من كل ذلك يتبيّن لنا أنّ التشيّع قد مرّ بمراحل عديدة خلال الأربعة عشر قرناً من تاريخ الإسلام، وقد قام مؤلف هذا الكتاب وهو حجّة الإسلام غلام حسن

---

(١) ميزان الاعتدال، دار المعرفة بيروت (بدون تاريخ) ص٥.

محرّمي بجهود كبرى في هذا المضمار فجاءت دراسته شاملة إلى حدّ كبير جعله يمتاز على غيره من الباحثين في مضمار هذه الدراسات وهي ضئيلة نأمل أن تكون هذه الدراسة التي نالت درجة ممتازة في حقل الدراسات الجامعية مفيدة لأصحاب الاهتمام في حقل الدراسات الإسلاميَّة.

الفصل الأوّل

الدرس الأوّل

ليس وارداً أن نزعم أنّنا قمنا بتحقيق و تحليل شاملين لكل ما يرتبط بتاريخ التشيّع، إنّما نشير إلى أهم المصادر والمنابع في هذا الحقل وسنقوم بتعريفها ووصفها بشكل موجز. وبسبب ارتباط التشيّع الوثيق بكل الكتب التاريخية والمؤلفات في حياة وترجمة أئمة أهل البيت عليهم السلام وكذا الكتب الحديثية والرجالية فأنّنا قسّمنا ذلك إلى قسمين:

١ ـ مصادر اختصاصية.

٢ ـ مصادر عمومية.

وسوف نستعرض ذلك على مدى درسين:

مصادر عمومية

نعرّف في هذا الدرس بعض المصادر التاريخية للتشيّع وسيكون هذا التعريف موجزاً قدر المستطاع.

١ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج علي بن الحسين الإصبهاني .

٢ ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، السيد علي خان الشيرازي.

٣ ـ أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين العاملي.

٤ ـ تاريخ التشيّع، الشيخ محمّد حسين المظفر.

٥ ـ الشيعة في التاريخ، محمّد حسين زين العاملي.

٦ ـ جهاد الشيعة، الدكتورة سميرة مختار الليثي.

٧ ـ تاريخ التشيّع في إيران من البداية حتى القرن السابع الهجري، الشيخ رسول جعفريان.

١ ـ مقاتل الطالبيين

في الطليعة من المصادر التاريخية حول تاريخ التشيّع، ومؤلف الكتاب هو أبو الفرج علي بن الحسين الإصبهاني.

ولد المؤلف في إصفهان سنة (٢٨٤ هـ)، نشأ وترعرع في بغداد ودرس على أيدي كبار أساتذتها وهو أموي النسب علوي المذهب[١].

وموضوع الكتاب كما هو واضح من اسمه وعنوانه يبحث في مَن قُتل من آل أبي طالب على أيدي الحاكمين والظالمين وكما أورد المؤلف الإصبهاني في مقدمة كتابه قائلاً:

ونحن ذاكرون في كتابنا هذا.. أخبار من قُتل من ولد أبي طالب منذ عهد رسول الله ﷺ إلى الوقت الذي ابتدأنا فيه هذا الكتاب وهو جمادي الأُولى سنة (٣١٣ هـ) ومن احتيل في قتله منهم بسم سقيه وكان سبب وفاته ومن خاف السلطان وهرب منه فمات في تواريه ومن ظفر به فحُبس حتى هلك في حبسه»[٢].

ويتألف الكتاب من قسمين رئيسيين، القسم الأوّل من عصر النبيّ الأكرم ﷺ إلى قيام الدولة العبّاسية، والقسم الثاني يرتبط بالعصر العبّاسي.

وبالرغم من أنّ الكتاب يبحث فقط في حياة وشهادة آل أبي طالب، ولكنّ ذلك يرتبط من ناحية بحياة الأئمة والقادة الهُداة وزعماء النهضات العلوية من الشهداء ومن ناصرهم؛ الأمر الذي يمكن من خلاله التعرّف على أجزاء من تاريخ التشيّع، مع التأكيد على أنّ الكتاب يرتبط فقط بتاريخ التشيّع السياسي، ولا يمكن التعويل عليه في الأبعاد الأُخرى من تاريخ الشيعة والتشيّع.

---

(١) السيد أحمد الصقر، كتاب مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم، الطبعة الثانية (١٤١٦ هـ) ص٥.

(٢) أبو الفرج الإصبهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم، الطبعة الثانية (١٤١٦ هـ) ص: ٢٤.

٢ ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة

ومؤلف هذا الكتاب هو السيّد علي خان الشيرازي، وقد ولد السيّد الشيرازي في الخامس من جمادى الأولى سنة (١٠٥٢ هـ) في المدينة المنوّرة ونشأ فيها وترعرع وتلقى فيها مختلف العلوم.

هاجر السيد الشيرازي إلى مدينة حيدر آباد في بلاد الهند وعاش هناك مدة ٤٨ سنة، ومن هناك تشرّف بزيارة الإمام الرضا عليه السلام، وفي سنة (١١١٧ هـ) قصد مدينة إصفهان عاصمة الدولة الصفوية، وذلك في عهد شاه سلطان حسين الصفوي ومكث فيها سنتين ليهاجر بعدها إلى مدينة شيراز ليتسنّم هناك زعامتها الدينية والعلمية[1].

إنّ كتاب الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة هو أحد مؤلفات وآثار هذا العالم الشيعي المبرّز. وبالرغم من أنّ الكتاب يبحث تراجم الشيعة وتاريخهم وليس تاريخ التشيّع، ولكن يمكن اعتباره تاريخاً عاماً للتشيّع، ويمكن الافادة منه على هذا الأساس لسببين:

الأوّل: أنّه يبحث أحوال الشيعة في فصول تاريخية عديدة ومختلفة.

الثاني: إنّ المؤلف نفسه تعرّض في مقدمة الكتاب إلى الحديث عن تاريخ التشيّع وإن جاء بشكل موجز فقد بحث على نحو خاص عهد الاضطهاد الأُموي يقول في مقدمة الكتاب: «اعلم رحمك الله إنّ شيعة أميرالمؤمنين وسائر الأئمة من ولده...» ثمّ يشير إلى أنّ حياتهم كانت بعيدة عن أعين الحاكمين وأنّهم عاشوا معاناة وقهراً بدأ مع حكم معاوية وامتدّ إلى العصر العبّاسي»[2].

ثمّ تحدّث عن فترات القهر السياسي من عهد معاوية إلى العهد العباسي.

---

(١) الشيرازي، السيد عليّ خان، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، مؤسسة الوفاء، بيروت ص٣ و٤.

(٢) المصدر السابق ص ٥.

وهذا الكتاب ـ وكما أورد المؤلف في المقدّمة ـ مقسّم إلى اثني عشر طبقة يعني أنه قسّم الشيعة إلى اثني عشر قسماً، ثمّ بحث أحوالهم بعد ذلك وطبقات الشيعة هي عبارة عن:

١ ـ طبقة الصحابة، ٢ ـ طبقة التابعين، ٣ ـ طبقة المحدّثين الذين رووا عن الأئمة الطاهرين، ٤ ـ علماء الدين، ٥ ـ طبقة الحكماء والمتكلمين، ٦ ـ طبقة علماء العربية، ٧ ـ طبقة السادة الصوفية، ٨ ـ طبقة الملوك والسلاطين، ٩ ـ طبقة الأُمراء، ١٠ ـ طبقة الوزراء، ١١ ـ طبقة الشعراء، ١٢ ـ طبقة النساء.

وما يتوافر اليوم بين أيدينا هي الطبقة الأُولى، يعني طبقة الصحابة بشكل كامل وأجزاء من الطبقة الرابعة وقسم ضئيل من الطبقة الحادية عشرة.

ويعدّ الكتاب في موضوع التشيّع لدى الصحابة في طليعة المؤلفات ومن أهم المصادر، كما يتصف بالشمول في هذا المضمار، وقد تمكن المؤلف أن يجمع آراء علماء الرجال الشيعة فيما يخصّ الصحابة الشيعة وأحجم عن إبداء رأيه الخاص أو بحث ذلك وتحليله.

٣ ـ أعيان الشيعة

مؤلف هذا الكتاب الجليل والفريد المحقّق والعالم الشيعي الكبير المرحوم السيّد محسن الأمين العاملي. وكتاب أعيان الشيعة كما هو واضح من اسمه كتاب يبحث في حياة وتراجم وشرح أحوال الأعيان من شخصيات الشيعة، وللكتاب ثلاث مقدمات؛ المقدمة الأُولى تطرّق فيها المؤلف إلى شرح طريقته وبيان منهجه حيث صدّرها بقوله: «في ذكر طريقتنا في هذا الكتاب وهي أُمور..»، ثمّ أورد أربعة عشر قسماً وفصّل في ذلك.

أمّا المقدمة الثانية فقد اختصّت في التاريخ العام للتشيّع وتألّفت من اثني عشر

بحثاً، فيما جاءت المقدمة الثالثة حول المصادر والمنابع للكتاب.

البحث الأول: معنى و مفهوم الشيعة وسائر الاصطلاحات التي تختصّ بذلك، ونقد نظرية المؤلفين من أهل السنّة حول الفرق الشيعية.

البحث الثاني: ظهور الشيعة وانتشار التشيّع، بين الصحابة، الشيعة من الصحابة، تنامي الشيعة.

البحث الثالث: إشارات إلى ما نزل من الظلم بحقّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

البحث الرابع: التعامل التعسفي مع شيعة أهل البيت عليهم السلام .

البحث الخامس: الهجمات المتتالية على أهل البيت عليهم السلام .

البحث السادس: الافتراءات العديدة على الشيعة وخاصّة العقائد الشيعية الجعفرية الإماميّة الاثني عشرية.

البحث السابع: أسباب انتشار التشيّع في البلاد الإسلاميّة.

البحث الثامن: فضائل أهل البيت عليهم السلام وخدماتهم للإسلام.

البحث التاسع: في عقائد الشيعة الإماميّة.

البحث العاشر: الإشارة إلى العلماء والشعراء والأُدباء والكتّاب وكتاباتهم ومؤلفاتهم.

البحث الحادي عشر: الوزراء والأُمراء والقضاة والنقباء من الشيعة .

البحث الثاني عشر: المدن الشيعية.

إنّ الحديث حول أهمية وقيمة كتاب أعيان الشيعة يفوق قدراتنا ذلك أنّه بحر من المعارف والمعلومات التاريخية يصعب سبر أغوارها واستكشاف مكنوناتها والغوص فيها ولكن ما يمكننا الإفادة منه هو ما يقع في نطاق ما نستطيع وما لدينا من إمكانات وقابليات وداخل إطار تقسيم البحوث وترتيبها منطقياً و...

وما يمكن نقده لا يتعدى سوى بعض الأُمور وفي نطاق بعض التفاصيل من قبيل:

إنّ البحث في الأسماء الأُخرى للشيعة جاء مختصراً وموجزاً وانحصر في ما يلي: الإماميّة، المتأولة، القزلباش، الرافضة، الجعفرية والخاصة[١].

في حين أنّ الأسماء التي أُطلقت على الشيعة أكثر من هذا فقد أطلقت على الشيعة في القرن الأوّل للهجرة فقط أسماء من قبيل: العلوية، الترابية، الحسينية.

والنقد الآخر الذي يردّ على الكتاب إنّ بعض ما أورده من رجال الحديث معتبراً إيّاهم من الشيعة وهم ليسوا كذلك.

صحيح أنّهم وقفوا إلى جانب أهل البيت خلال النزاع المحتدم بينهم وبين خصومهم فكانوا شيعة بالمعنى والمفهوم السياسي فقط الا إنّهم ليسوا شيعة بالمعنى والمفهوم العقائدي لأنّ لديهم مذاهب أُخرى في ذلك وبالتالي يجب أن يُفرد لهم فصل يختصّ بهؤلاء كما أنّ عليه أن يوضّح ما يقصد بالشيعة في مقدمة الكتاب.

٤ ـ تاريخ الشيعة

كتاب «تاريخ الشيعة» هو من تأليف العلاّمة الكبير المرحوم الشيخ محمّد حسن المظفر، ويُعدّ هذا الكتاب من المصادر الهامة والمعتبرة في تاريخ التشيّع. طبع هذا الكتاب مرّات عديدة وترجم إلى أكثر من لغة. وقد قام المرحوم المظفر بدراسة تاريخ الشيعة من عصر الرسالة وحتى عصره هو، ويشتمل الكتاب على ٨٢ عنواناً. ويمكن تقسيم هذه العناوين بشكل عام إلى ثلاثة أقسام؛ عصر انتشار ونموّ التشيّع، المناطق والأقاليم الشيعية، والدول الشيعية.

والمرحوم المظفّر كاتب ومؤلف قدير وله أُسلوب رائع في الكتابة يمتاز

---

(١) المصدر السابق ص٢٠، ٢١.

بجزالة اللفظ وعمق المعنى.

وفي طليعة امتيازات كتاب تاريخ الشيعة شموليته وجامعيته حيث بحث الحضور الشيعي في كل العصور وعلى امتداد المعمورة.

ويعدّ الكتاب من هذه الناحية في طليعة المصادر والمنابع التي لا يستغني عنها الباحث في تاريخ الشيعة والتشيّع.

وبالرغم من هذه الخصائص والمزايا التي يتمتّع بها كتاب تاريخ الشيعة الا إنّ منهجه في الإيجاز حال دون إعطاء البحث حقّه إلاّ في موارد من قبيل ؛ معنى التشيّع، ظهور مصطلح الشيعة من حيث البعد الزمني والتاريخي، بدء التشيّع وانتشاره بما يتعلق ببيان أساس الشيعة؛ فهذه الموارد بحثها المظفر بقدر من التفصيل، يفنّد المرحوم محمّد حسن المظفر في مقدّمة الكتاب:

«بل لا أريد في هذه الرسالة الا إنّ يعلم القوم أنّ التشيّع انحدر من عهد صاحب الرسالة لا من الفرس ولا من ابن سبأ»[1] .

ويمكن أن يؤخذ على الكتاب أيضاً غياب البعد التحقيقي في بحوثه ويبدو أنّ منهجه في الاختصار والإيجاز حال دون أخذ آراء الآخرين بنظر الاعتبار نقلاً ونقداً.

جدير ذكره أن الفصول التي تعرّض فيها لبحث الدول الشيعية بحاجة إلى استكمال ذلك أنه بمرور الزمن حدثت تغيّرات وتحوّلات أساسية في الدول الشيعية، وقد زال منها الكثير، ولهذا فإنّ القدم هو الطابع العام في هذه البحوث، ولم يقم مترجمه إلى الفارسية بالتوسّع في هذه البحوث فظلّت على طابعها القديم دون تغيير.

---

(١) انظر مقدّمة الكتاب.

الشيعة في التاريخ

كتاب الشيعة في التاريخ هو من تأليف محمّد حسين زين العاملي، ترجمه إلى الفارسية محمّد رضا عطائي، وطبع في انتشارات (آستان قدس رضوي). يعدّ هذا الكتاب من المصادر في حقل الدراسات لتاريخ الشيعة، والكتاب مقسّم إلى خمسة فصول وخاتمة:

الفصل الأوّل: وبحث فيه معنى ومفهوم وتاريخ وعقائد الشيعة بإيجاز.

الفصل الثاني: وبحث فيه الفِرق والمجموعات التي تفرّعت عن الشيعة.

الفصل الثالث: وبحث فيه تاريخ ما بعد النبيّ ﷺ وحتى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وقد تناول هذه الحقبة التاريخية بالبحث وتحليل الحوادث والوقائع.

الفصل الرابع: وبحث فيه مواقف الشيعة إزاء خلفاء بني أُميّة وخلفاء بني العبّاس.

الفصل الخامس: وبحث فيه براءة الشيعة من الغلو والغُلاة.

ويعدّ كتاب الشيعة في التاريخ مصدراً هاماً في مجال الانقسامات التي حدثت داخل الكيان الشيعي خاصّة فيما يتعلق بأسباب الانشقاقات وظهور الفِرق الشيعية حيث أخذ الكتاب في تحليل تلك الظاهرة وبيان عللها. والكتاب لا ينحصر في بحوثه في مسألة التشيّع فربّما يجنح المؤلف بعيداً إلى خارج موضوع التشيّع ليبحث على سبيل المثال فرقة الخوارج أو تاريخ الخلافة وهي أُمور قد لا تمتّ بصلّة وثيقه بموضوع التشيّع.

٦ ـ جهاد الشيعة

إنّ كتاب جهاد الشيعة يعدّ هو الآخر من المصادر التاريخية في موضوع الشيعة والتشيّع (وإن تمحورت بحوثه الأساسية في مجال جهاد الشيعة ونهضاتهم

وحركاتهم العسكرية)، والكتاب من تأليف الدكتورة سميرة مختار الليثي الأُستاذة في جامعة عين شمس في مصر.

يقع الكتاب في ٤٢٤ صفحة قامت بطبعه مؤسسة دار الجيل في بيروت لبنان، ويشتمل الكتاب على مقدّمة وخمسة أبواب وخاتمة وموضوعه جهاد الشيعة حتى نهاية القرن الثاني الهجري تقريباً، وقد تناولت السيّدة سميرة هذه الحقبة التاريخية بالنقد والتحليل.

وبعبارة أُخرى جاء الكتاب ليناقش جانباً من الحركات الشيعية السياسية والعسكرية ضد العبّاسيين وثورات العلويين وأسباب فشل حركاتهم وكذا دور الفرق الشيعية وحركاتها في المسارات الاجتماعية والسياسية، ومن جانب آخر ناقشت سياسة الخلفاء إزاء الأئمة الأطهار من آل البيت عليهم السلام. واشتمل كتاب جهاد الشيعة على بحوث عديدة ناقشت: مفردة الشيعة في اللغة، مفاهيم الشيعة، ظهور الشيعة، جهاد الشيعة في العراق، ظهور الشيعة الكيسانية وفرقة الشيعة الإماميَّة، وقد ناقشت الدكتورة في بحث ظهور الشيعة الآراء والنظريات المختلفة فيما يخص تاريخ الشيعة.

الإشكال الوحيد الذي يردّ على الكتاب يتعلق في بيان النظرية السياسية للأئمة الأطهار من آل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وبحسب تعبيرها أئمة الفرقة الإماميَّة، ولكون المؤلفة غير شيعية فقد بدت عاجزة عن بيان مرتكزات وأسس الفكر السياسي للأئمة عليهم السلام. من هنا فقد عرّفت مرتكزات الأئمة بعد الإمام الحسين على أنّها إمامة روحية وعلمية وأنّ مناهج الأئمة بعد الإمام الحسين تختلف تماماً مع مناهج الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب وولديه الإمام الحسن والحسين عليهما السلام[(١)].

---

(١) مختار الليثي، د. سميرة، جهاد الشيعة، دار الجيل، بيروت (١٣٩٦ هـ) ص٣٦.

تاريخ التشيّع في إيران من البداية حتى القرن السابع الهجري

مؤلف كتاب تاريخ التشيّع في إيران هو الشيخ رسول جعفريان، وهو أحد أبرز المحقّقين في الحوزة العلمية بمدينة قم .

ويعدّ الكتاب في موضوعه فريداً جداً وفي طليعة ما صدر من آثار للمؤلف والكاتب القدير.

كما يعدّ الكتاب أيضاً أحد أهم المصادر في دراسة تاريخ التشيّع، يشتمل الكتاب على كمّ هائل من المعلومات والمعطيات التاريخية الفائقة الأهمية والتي لا يستغني عنها الباحث بأي حال من الأحوال.

يمتاز الكتاب بغناه في جانب النصوص، وإذا كان من إشكال قد يردَ على الكتاب فهو بما يتعلق بالشكل والصورة، فمثلاً لم تأت الهوامش وفقاً للمعايير الفنية، إضافة إلى ما جاء من نقد لبعض المصادر التي جاءت في مواضع تربك القارئ، وكان من الأفضل أن يفرد المؤلف والكاتب لها فصلاً مستقلاً يحمل عنواناً نقدياً أو يشير إلى ذلك في الهامش على الأقل حتى لا تنقطع سلسلة البحث في الموضوع الأصلي.

خلاصة الدرس الأوّل

يمكن اعتبار جميع الكتب التاريخية مصادر جيّدة من أجل التحقيق في تاريخ التشيّع، ولكن المنابع الاختصاصية في تاريخ التشيّع عبارة عن:

ـ مقاتل الطالبيين: ويتحدّث الكتاب حول الذين قتلوا من آل أبي طالب على أيدي الحكّام الظالمين.

ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: وموضوع الكتاب هو تاريخ الشيعة وليس تاريخ التشيّع، غير أنّه يمكن الافادة من دراسة تاريخ الشيعة، وكذا مقدمة

الكتاب في التعرّف على جانب من تاريخ التشّيع.

ـ أعيان الشيعة: وبالرغم من أنّ الكتاب يتطرّق إلى ترجمة أحوال رجال الشيعة، الا إنّ المقدّمة الثانية للكتاب جاءت حول تاريخ التشيّع بشكل عام.

ـ تاريخ الشيعة: للمرحوم المظفر، ويتطرّق الكتاب إلى دراسة انتشار التشيّع في مختلف العصور، المناطق والأقاليم الشيعية والدول التي أسسها الشيعة.

ـ الشيعة في التاريخ: محمّد حسين زين العاملي، ويتحدث الكتاب عن معنى ومفهوم الشيعة وعقائد الشيعة والطرق الشيعية.

ـ جهاد الشيعة: ويتعرّض إلى دراسة الثورات الشيعية وحركات الشيعة حتى نهاية القرن الثاني الهجري.

ـ تاريخ التشيّع في إيران من البداية حتى القرن السابع الهجري: ويشتمل الكتاب على معلومات هامّة فيما يخصّ تاريخ التشيّع في إيران ما يجعله هاماً لكل باحث.

أسئلة الدرس الأوّل

١ ـ ماهي أقسام المصادر في تاريخ التشيّع؟

٢ ـ ماذا يبحث كتاب مقاتل الطالبيين؟

٣ ـ قدّم توضيحاً حول كتاب الدرجات الرفيعة.

٤ ـ ماهي علاقة كتاب أعيان الشيعة بتاريخ التشيّع؟



الدرس الثاني

المصادر العامّة

بعد أن بحثنا بشكل إجمالي بعض الكتب الاختصاصية في تاريخ التشيّع، نبحث فيما يلي المصادر العامّة لتاريخ التشيّع والتي تنقسم من حيث الموضوع إلى ما يلي:

١ ـ التاريخ العام.

٢ ـ سيرة وحياة أئمة أهل البيت.

٣ ـ كتب الفتن والحروب.

٤ ـ كتب الرجال والطبقات.

٥ ـ كتب الجغرافيا.

٦ ـ كتب الأخبار والروايات.

٧ ـ كتب الحديث.

٨ ـ كتب الملل والنحل.

التاريخ العام

إنّ ما يتعلّق بتاريخ التشيّع في مجال التاريخ العام هي الكتب التي تؤرخ للقرون الهجرية، الأوّل والثاني والثالث أو تاريخ الخلفاء وأمثال ذلك، حيث يمكن الإفادة من الكتب التالية على سبيل المثال:

تاريخ اليعقوبي، مروج الذهب، تاريخ الطبري، الكامل في التاريخ، العبر، الإمامة والسياسة، تاريخ الخلفاء، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وحتى الدراسات والكتب التاريخية التحليلية للكتّاب المعاصرين. ومن بين الكتب التي

اختصّت بالتاريخ العام يمكن الإفادة القصوى من تاريخ اليعقوبي ومروج الذهب، لأنّهما يُعَدان حياديين في تسجيل الحوادث ونقل الوقائع ولم يجنحا إلى حجب الحقيقة، فاليعقوبي مثلاً نقل بالتفصيل معارضة الصحابة لخلافة أبي بكر وأشار إلى التحزّبات التي ظهرت بعد رحيل النبيّ ﷺ[1]. فقد أورد حوادث هامة تتعلق بتاريخ الشيعة من قبيل حكومة أميرالمؤمنين[2]، صلح الإمام الحسن(٣)، شهادة حجر بن عدي[4]، شهادة عمرو بن الحمق الخزاعي(٥)، واستشهاد الإمام الحسين في كربلاء[6]، إذ بحث كل ذلك قدر المستطاع وأوفى الموضوعات حقّها إلى حدّ ما.

والأمر كذلك مع المسعودي فلم يتعمّد هذا المؤرخ التغطية على الحقيقة وإن جاء ذكره على بعض الحوادث بشكل عابر في كتابه مروج الذهب، وكذا التنبيه والإشراف إذ مرّ مروراً سريعاً بحادثة السقيفة، وكذا مسألة الاختلاف بين الصحابة وامتناع بني هاشم عن بيعة أبي بكر[7].

وقد أورد المسعودي في مكان آخر من كتابه قصّة فدك[8]، كما ذكر بالتفصيل مسألة خلافة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وشهادة الإمام الحسين عليه السلام[9]

---

(١) ابن واضح، أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص١٢٣ ـ ١٢٦.

(٢) المصدر السابق ص١٧٨ ـ ١٧٩.

(٣) المصدر السابق ص٢١٤ و٢١٥.

(٤) المصدر نفسه ص٢٣٠ و٢٣١ .

(٥) المصدر نفسه ص٢٣١، ٢٣٢.

(٦) المصدر نفسه ص٢٤٣، ٢٤٦.

(٧) المسعودي علي بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤١١هـ) ج٢ ص٣١٦، والتنبيه والاشراف، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف، القاهرة (بدون تاريخ) ص٤٢٧.

(٨) مروج الذهب ج٣ ص٢٦٢.

(٩) المصدر السابق ج٢ ص٢٤٦ ـ ٢٦٦.

إضافة إلى ما أورده المسعودي في مروج الذهب من ذكر لأسماء الشيعة وقبائلهم وأعداء أهل البيت عليهم السلام[1]، وكذا تاريخ وفيات أئمة أهل البيت حيث ترجم وبشكل محدود قسماً من حياتهم وسيرتهم[2] وبخاصّة ثورات العلويين وحركاتهم في القرن الثاني الهجري[3].

٢ ـ تراجم أئمة أهل البيت وسيرتهم

ومن بين الكتب التي لها علاقة وارتباط بتاريخ التشيّع هي الكتب التي تهتم بحياة الأئمة من آل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله من قبيل كتاب الإرشاد للشيخ المفيد، وتذكرة الخواص لابن الجوزي وهما من الكتب الهامّة في هذا المضمار.

يعدّ كتاب الإرشاد أوّل وأهم مصدر شيعي يتحدّث عن حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام الاثني عشر، ولأنّ بعضاً من سيرة الإمام عليّ كانت في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله فقد تحدث الإرشاد عن سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وبخاصّة حروب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كلّها باستثناء غزوة تبوك وهي الغزوة الوحيدة التي لم يشترك فيها الإمام عليّ عليه السلام، حيث استخلفه النبيّ صلى الله عليه وآله على المدينة المنوّرة، من هنا فإنّ كتاب الإرشاد يعدّ في الطليعة من المصادر التاريخية في حياة وسيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام والتي لا يمكن للباحث الاستغناء عنه.

تذكرة الخواص لابن الجوزي يكتسب أهمية أيضاً من هذه الزاوية، ذلك أنّه تعرّض لبحث حياة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وأنّ المؤلف ليس شيعيّاً فهو حنفي المذهب، لكنّه كان موضوعياً في ما كتب واضعاً الحقّ والحقيقة نصب عينيه.

---

(١) المصدر السابق ج٣ ص٥٩ و٧٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٨٠ و٢٤٣ و ٣١٣ و ٣٨٨.

(٣) المصدر السابق ص٣٢٤، ٣٢٦ و٣٥٨.

٣ ـ كتب الفتن والحروب

وتختصّ هذه الكتب بالحديث عن الفتن والحروب، وبهذا فهي تكتسب أهمية فائقة في عملية كتابة التاريخ لدى المسلمين ويعدّ كتاب «وقعة صفّين» لمؤلفه نصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة (٢١٢ هـ) في طليعة هذا النوع من الكتب حيث اختصّ بتاريخ واقعة صفّين وملابسات الصراع الذي اندلع سنة (٣٧ ـ ٣٨ هـ)؛ يشتمل الكتاب على معلومات غاية في الأهمية من قبيل: الرسائل المتبادلة بين الإمام عليّ عليه السلام ومعاوية، ومختلف خطب أميرالمؤمنين عليه السلام. ومن هنا يمكن الإفادة كثيراً من تلك المعلومات فيما يخصّ تلك الحادثة ومواقف صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله من الإمام عليّ عليه السلام وكذا نفوذ التشيّع بين مختلف القبائل العربية.

كتاب «الغارات» وهو من تأليف إبراهيم الثقفي الكوفي المتوفى سنة (٢٨٣هـ)، كتاب آخر في هذا المضمار وللكتاب علاقة وثيقة بخلافة الإمام عليّ عليه السلام، والغارات التي شنّها معاوية وقادته على المناطق الخاضعة لنفوذ الإمام عليّ عليه السلام، إضافة إلى ما تعرض له من الحديث عن أحوال شيعة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام والذي يمكن الإفادة منه بيسر وسهولة.

كتاب «الجمل» أو «وقعة الجمل» للشيخ المفيد، مصدر آخر من المصادر المهمة في هذا الصعيد، والكتاب يتحدث عن معركة الجمل، ولأنّ الكتاب يتحدث عن أوّل حرب اندلعت في عهد الإمام عليّ عليه السلام فقد تعرّض المؤلف للحديث عن منزلة الإمام عليّ عليه السلام لدى أهل العراق قبل وصوله واستقراره هناك.

٤ ـ كتاب الرجال والطبقات

علم الرجال من العلوم الهامّة وهو يرتبط بعلم الحديث ويهتم بدراسة سند الحديث والتحقيق إذ يناقش ويبحث في أُصول رواة الحديث من صحابة النبيّ

ويتناول وثاقتهم بالجرح والتعديل ويضيف الشيعة إلى أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله أصحاب الأئمة الأطهار عليهم السلام .

ظهر علم الرجال في القرن الثاني الهجري إلى عصرنا الراهن وقد تطوّر علم الحديث عبر العصور ووصل إلى مستويات عالية من التكامل.

وكتب الرجال لدى أهل السنّة عديدة ومعتبرة منها: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» وهو من تأليف عبدالبرّ القرطبي المتوفى سنة (٤٦٣ هـ)، و«أسد الغابة في معرفة الصحابة» لمؤلفه ابن الأثير الجزري المتوفى سنة (٦٣٠ هـ)، و«تاريخ بغداد» من تأليف الخطيب البغدادي (٣٩٢ ـ ٤٦٣ هـ)، و«الإصابة في معرفة الصحابة» تأليف ابن حجر العسقلاني.

أمّا أهم الكتب الرجالية لدى الشيعة فهي: «اختيار معرفة رجال الكشي» تأليف الشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ)، و«رجال النجاشي» (فهرست أسماء مصنفي الشيعة) المعروف بـ «الرجال»، و «كتاب الرجال» و «كتاب فهرست الشيخ الطوسي» (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ)، و«رجال البرقي» وهو من تأليف أحمد بن محمّد بن خالد البرقي المتوفى سنة (٤٨٠ هـ)، و«مشيخة الشيخ الصدوق» المتوفى سنة (٣٨١ هـ)، و«معالم العلماء» لابن شهرآشوب المازندراني (٤٨٨ ـ ٥٨٨ هـ)، و«رجال ابن داود» ومؤلفه تقي الدين حسن بن عليّ بن داود الحلّي (٦٤٧ ـ ٧٠٧ هـ) جدير ذكره إنّ علم الرجال لدى الشيعة شهد تطوراً وسيراً تكاملياً واتّسعت حقوله ومجالاته.

رتّبت بعض كتب الرجال حسب المنهج الألفبائي كما هو الحال في «أسد الغابة»، «فهرست الشيخ الطوسي»، «رجال النجاشي» و «معالم العلماء» فيما رتّبت كتب أُخرى بحسب الطبقات من قبيل: «كتاب رجال الشيخ» و «رجال البرقي» إذ رتّبت كلّ منهما على أساس طبقات صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام .

وهناك نوع آخر من كتب الرجال مقسّم بحسب طبقات الناس المختلفة وفي طليعة هذا النوع من الكتب هو «طبقات ابن سعد».

كتب الجغرافيا

ظهرت كتب الجغرافيا والرحلات بعد القرن الثالث الهجري، ولأنّ تاريخ التشيّع في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة المباركة لهذا فلا توجد ثمّة فائدة إلاّ من بعضها وبشكل محدود، غير أنّ بعض كتب الجغرافيا تطرّقت إلى ذكر الإسناد فقد حازت أهميتها من هذا الأساس لتكون أحد مصادر هذه الدراسة؛ ومن بين هذه الكتب يبرز كتاب «معجم البلدان» وذلك لشموليته بالرغم من أنّ مؤلف الكتاب «ياقوت الحموي» يعدّ ضمن المتعصّبين إزاء الشيعة، إذ إنّه لدى ذكر أسماء الأُسر الكبيرة في الكوفة لا يرد فيما يذكر اسم لعالم من الشيعة أو أُسرة شيعية مرموقة.

كتب الأخبار

لا يقصد من كتب الأخبار كتب الحديث التي تدخل في إطار الحلال والحرام، بل المقصود من هذه الكتب هي كتب التاريخ التي اعتمدت أُسلوب التدوين التاريخي في عصور الإسلام، حيث ترد بعض الأخبار وأسانيدها بعبارة أخرى الأخبار التي اعتمد في نقلها منهج أهل الحديث في ضبطها ونقلها،ولهذا الأُسلوب في التدوين التاريخي مزايا عديدة:

المزية الأولى: إنّ كلّ مجموعة من الأخبار حول حادثة ما لها استقلاليتها عن مجموعة أُخرى حول حادثة أُخرى ولا توجد ثمّة صلة بين الحادثتين.

المزية الثانية: هي في وجود بعد أدبي فيما ينقل، يعني أنّ الكاتب ربّما يستفيد

من الأشعار والقصص والمناظرات في نقولاته وهذه المزية تختصّ في الآثار الخبرية المتأثرة بروايات «أيام العرب» من هنا يرى بعض الباحثين أنّ التدوين التاريخي «للخبر» نشأ من شكل «الخبر» القصصي السائد قبل ظهور الإسلام.

والمزية الثالثة: ذكر اسناد الروايات وفي الحقيقة أنّ هذا الأُسلوب والتسجيل التاريخي وبخاصّة في القرنين الأوّل والثاني من الهجرة غالباً ما يبدو كمادة تاريخية خاصة، وتشكّل الآثار التاريخية المدوّنة بهذه الطريقة مساحة واسعة.

ويحتل كتاب «الأخبار الموفقيات» للزبير بن بكّار مكانة مرموقة في هذا المضمار. والزبير بن بكّار ينتمي إلى الأُسرة الزبيرية المعروفة بعدائها لأهل البيت، إضافة إلى ذلك فإنّ الزبير تربطه علاقات وطيدة مع الطاغية العبّاسي المتوكل المعروف باضطهاده لأهل البيت وشيعتهم. وكان الزبير معلّماً لأولاد المتوكل هذا[١]، وقد نصّبه المتوكل قاضياً في مكّة المكرّمة[٢].

وعلى أية حال، فإنّ الكتاب يشتمل على معلومات هامّة وقيّمة حول اعتراض جمع من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله على خلافة أبي بكر ونقل بعض الأشعار التي تضمّنت آراء أصحابها في عقيدتهم في وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام ما يدلّ على معارضتهم لخلافة أبي بكر.

٧ ـ كتب الأنساب

يبرز كتاب «أنساب الأشراف» للبلاذري كأفضل مصدر في هذه الدراسة، ومن جانب آخر يمكن اعتبار الكتاب من كتب التراجم، هذا على الرغم من أن كتاب «جمهرة أنساب العرب» أكثر شمولاً وهو يقدّم موجزاً عن بعض الشخصيات.

---

(١) الخطيب البغدادي، الحافظ أبي بكر أحمد بن عليّ، تاريخ بغداد، مطبعة السعادة مصر (١٣٤٩ هـ) ج٨ ص٤٦٧.

(٢) ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت (بدون تاريخ) ص١٦٠.

وكما يمكن الاستفادة من كتاب «منتقلة الطالبيين» الذي يهتمّ بهجرة السادة من ذريّة النبيّ ﷺ، ومن هنا يمكن الإفادة من هذا الكتاب في دراسة مسار التشيّع في القرون الأُولى من التاريخ الهجري ومتابعة ذلك في البلاد الإسلاميَّة.

٨ ـ كتب الحديث

كتب الحديث إحدى مجموعات المصادر في دراسة تاريخ التشيّع والحديث لدى أهل السنّة هو قول وفعل وتقرير النبيّ ﷺ، أمّا الحديث لدى الشيعة فيتّسع ليشمل حديث الأئمة المعصومين من آل بيت النبيّ ﷺ حيث يعتبر الشيعة حديث المعصوم قولاً وفعلاً وتقريراً حجّة كما هو حديث النبيّ ﷺ.

وكتب الحديث لدى أهل السنّة هي: «صحيح البخاري» للبخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ)، «المسند» لأحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ) و «المستدرك على الصحيحين» للحاكم النيسأبوري المتوفى سنة (٤٥٠ هـ) وتعدّ هذه الكتب مصادر جيّدة في دراسة التشيّع بين صحابة النبيّ الأكرم ﷺ وحقّانية الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام الذي يعدّ محور مسألة التشيّع.

أمّا الكتب الحديثية الشيعية فهي أربعة كتب: «الكافي» للكليني المتوفى سنة (٣٢٩ هـ)، «من لا يحضره الفقيه» للشيخ الصدوق المتوفى سنة (٣٨١ هـ)، «تهذيب الأحكام» و «الاستبصار» للشيخ الطوسي المتوفى سنة (٤٦٠ هـ)، إضافة إلى كتب أُخرى من قبيل «الأمالي»، «غرر الفوائد ودرر القلائد» للسيّد المرتضى (٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ)، «الاحتجاج للطبرسي» (القرن السادس)، والموسوعة الحديثية الكبرى «بحار الأنوار» للعلاّمة المجلسي المتوفى سنة (١١١١ هـ).

وتوفر الكتب الحديثية لدى أهل السنّة ـ عندما تورد أحاديث عن الأئمة المعصومين ـ معرفة مناطق انتشار الشيعة والبيئة التي يعيشون فيها ونوع العلاقات الاجتماعية وطرق الاتصال بالأئمة الأطهار عليهم السلام.

كتب الملل والنحل

وهذه الكتب من المصادر الهامّة حيث يبرز كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني (٤٧٩ ـ ٥٤٨ هـ) في الطليعة في هذا المضمار، ويعدّ هذا الكتاب انطلاقاً من شموليته وقدمه مصدراً جيداً لدى المحققين والباحثين، هذا بالرغم من تعصّب المؤلف في بحثه موضوع الدراسة، وقد ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب حديث افتراق المسلمين إلى ثلاثة وسبعين فرقة، وقوله بأنّ أهل السنّة هم الفرقة الناجية، ومن هنا سعى الشهرستاني وهو يعدّد فِرق الشيعة وتشعّبهم واختلاف مذاهبهم إلى أن يثبت بطلان المذهب الشيعي معتبراً فرق؛ المختارية، الباقرية، الجعفرية، المفضّلة، النعمانية، الهشاميّة واليونسية فِرقاً شيعيةً وهي فرق وهمية ليس لها وجود تاريخي، بينما ذكر المقريزي في خططه إنّ فرق الشيعة تناهز الثلاثمائة فرقة، وعندما راح يعدّدها لم يتمكن من تجاوز العشرين فرقة فقط.

ومن أهم كتب الملل والنحل كتاب «المقالات والفِرق» للأشعري القمّي وكتاب «فرق الشيعة» للنوبختي، والأشعري والقمّي من علماء الشيعة عاشا في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري.

يمتاز كتاب «المقالات والفِرق» باتساع المعلومات والشمولية ولكنّه يفتقد الترتيب ومعلومات متناثرة ما يجعل الإفادة منه صعبة، ويؤكّد بعض الباحثين أنّ كتاب فِرق الشيعة للنوبختي هو نفس كتاب «المقالات والفِرق».

خلاصة الدرس الثاني

المصادر العامّة لتاريخ التشيّع هي كما يلي:

ـ كتب التاريخ العامّ في القرون الأُولى من التاريخي الهجري ويبرز من بينها «مروج الذهب» و «تاريخ اليعقوبي».

ـ كتاب تراجم أئمة أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم من قبيل: «الإرشاد» للشيخ المفيد.

- كتب الفتن والحروب من قبيل «وقعة صفّين».
- كتب الرجال والحديث والطبقات وكتب التراجم.
- الكتب الجغرافية من قبيل: الرحلات وتاريخ البلدان.
- كتب الأخبار من قبيل: «أنساب العرب».
- كتب الحديث: «الملل والنحل».

أسئلة الدرس الثاني

١ ـ ماهو أوّل كتاب في تاريخ التشيّع بين كتب التاريخ العام؟
٢ ـ قدّم تعريفاً لكتاب «الإرشاد» و «تذكرة الخواص».
٣ ـ إلى أي مجموعة ينتمي كتاب «وقعة صفّين».
٤ ـ تحدث باختصار عن كتب الرجال.
٥ ـ إلى كَم قسم تنقسم كتب الجغرافيا؟
٦ ـ ماهي خصائص كتب الأخبار؟
٧ ـ اذكر كتابين من كتب الأنساب.
٨ ـ ماهي العلاقة بين كتب الحديث وتاريخ التشيّع؟
٩ ـ اذكر أهم كتب الملل والنحل.

الفصل الثاني

كيفية ظهور الشيعة

الدرس الثالث
الشيعة في اللغة والقرآن الكريم

الشيعة في اللغة

هي من مادة شيّع بمعنى المشايعة، وتُطلق على قوم يجتمعون على أمر[1]، وتُطلق غالباً على أنصار عليّ عليه السلام[2] ومواليه.

قال الأزهري: والشيعة قوم يهوون عترة النبيّ صلى الله عليه وآله ويوالونهم[3].

ويقول ابن خلدون[4]: إعلم أنّ الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويُطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من أتباع عليّ وبنيه رضي الله عنهم.

أمّا الشهرستاني فيقلّص الدائرة حيث يحدّده بقوله[5]: الشيعة هم الذين شايعوا عليّاً عليه السلام على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصباً ووصاية إمّا جلياً وإمّا خفياً واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده.

وقد استخدم القرآن مفردة الشيعة بمعنى الأنصار والأتباع فكريّاً وعقائدياً قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾[6].

---

(١) قال الشاعر:

«والخزرجي قلبه مشيّع *** ليس من الأمر الجليل يفزع»

الفراهيدي، الخليل بن أحمد ترتيب كتاب العين، انتشارات أسوة، طهران ج٢ ص٩٦٠.

(٢) الفيروزآبادي، قاموس اللغة، ط الحجرية ص٣٣٢.

(٣) الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، أبو الفيض السيّد مرتضى، تاج العروس ج١١ ص٢٥٧.

(٤) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمّد، مقدّمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٠٨ هـ) ص١٩٦.

(٥) الشهرستاني الملل والنحل، منشورات الشريف الرضي، قم (١٣٦٤ هـ. ش) ج١ ص١٣١.

(٦) الصافات: الآية (٨٣).

وقوله تعالى﴿... فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ...﴾[١] .

أمّا الشيعة في المصادر الشيعية فلا نجد إلاّ معنىً محدداً ومفهوماً واحداً وهو الاعتقاد باستخلاف النبيّ ﷺ وصيّه عليّاً عليه السلام وأحد عشر من ذريّته بعده، ولم يطرأ أي تغيير على هذا الاعتقاد منذ رحيل النبيّ ﷺ وحتى نهاية الغيبة الصغرى.

فكما أنّ الشيعة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري كانوا يعتقدون بالأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام فإنّ أوائل الشيعة من صحابة النبيّ ﷺ كانوا هم أيضاً على نفس هذا الاعتقاد، فقد ورد في الحديث النبويّ الشريف أسماؤهم وعدّتهم[٢] .

وبالرغم من الأجواء الخانقة التي كانت تحيط بالشيعة وتعرّضهم للاضطهاد ما حال دون اطّلاع أعداد كبيرة من الشيعة على هذه الروايات الا إنّ حديث النبيّ ﷺ القائل: «من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية»[٣] كان يدفع

---

(١) القصص: الآية (١٥).

(٢) أورد ابن حجر الهيثمي وهو من علماء السنّة حديث الأئمة الاثني عشر وأكّد صحّته وتواتره واتفاق الجميع عليه بعد أن نقله من طرق مختلفة، ثمّ انتقل إلى تفسير الحديث، ونقل حول ذلك آراء متضاربة لا تفضي إلى نتيجة محدّدة، ومن جملة ذلك ما ورد في الصواعق المحرقة مايلي:

قال القاضي عياض: لعلّ المراد بالاثني عشر في هذه الأحاديث وما شابهها أنّهم يكونون في مدّة عزّة الخلافة وقوّة الإسلام وإستقامة أموره والاجتماع على مَنْ يقوم بالخلافة وقد وجد هذا فيمَن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر بني أميّة ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد، وقيل: المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدّة الإسلام إلى يوم القيامة يعملون بالحقّ وإن لم يتوالوا... الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبدالعزيز والمهدي العبّاسي والطاهر العباسي ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنّه من آل بيت محمّد ﷺ. وحمل بعض المحدثّين الحديث السابق على مَن يأتي بعد المهدي لرواية: ثمّ يلي الأمر بعد اثنا عشر رجلاً ستّة من ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين وآخر من غيرهم. الصواعق المحرقة، مكتبة القاهرة، ط الثانية (١٣٨٥ هـ) ص ٢٠، ٢١.

(٣) الكليني، أُصول الكافي، دار الكتب الإسلاميّة، ط الخامسة، طهران (١٣٦٣ هـ. ش) ج١ ص٣٧٧.

بالجميع على التأكد ومعرفة إمام زمانه.

من هنا بعث زرارة بن أعين ابنه إلى المدينة المنوّرة من أجل التحقيق في هويّة الإمام بعد استشهاد الإمام الصادق.

ويبدو أنّ الرحلة قد استغرقت وقتاً تدهورت خلالها صحّة زرارة وكان شيخاً مسنّاً فرفع بيده القرآن وهو على فراش الموت وقال: «اللهمّ أنت الشاهد على أنّي أقول بإمامة من عيّنه كتابك»[1].

ومع مرور الزمن اكتسب معنى ومفهوم الشيعة شكله الواضح. من هنا نرى الأئمة الأطهار يصرّحون بعدم تشيّع المنتسبين إلى الفرق الأُخرى كما نرى ذلك في ما رواه الشيخ الطوسي عن حمران بن أعين. يقول: «قلت لأبي جعفرعليه السلام: أمن شيعتكم أنا؟ قال: أي والله في الدنيا والآخرة، وما أحد من شيعتنا إلاّ وهو مكتوب عندنا اسمه واسم أبيه إلاّ مَن يتولّى منهم عنّا.

قال: قلت: جعلت فداك أوَمَن شيعتكم من يتولّى عنكم بعد المعرفة؟ قال: يا حمران نعم وأنت لا تدركهم».

يقول حمزة الزيّات وهو أحد رواة الحديث: فتناظرنا في هذا الحديث، فكتبنا به إلى الرضاعليه السلام نسأله عمّن استثنى به أبو جعفر؟ فكتب هم الواقفة على موسى بن جعفرعليه السلام .

وانطلاقاً من هذا أصبح في عرف علماء الرجال الشيعة أنّهم لا يطلقون اسم الشيعة إلاّ على الإماميّة الاثني عشرية وعادة ما يعبّر عنهم الفقهاء بقولهم: «أصحابنا» أو «أصحابنا الإماميّة» فيما يطلقون على غيرهم من أتباع الفرق الأُخرى ممّن انحرفوا عن مسار التشيّع تحت عناوين مختلفة قولهم؛ الفطحي، الواقفي،

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم (١٤٠٤ هـ) ج١ ص٣٧١.

الناووسي و... وتدرج رواياتهم عن الأئمة قبل انحرافهم في عداد الرواة من أهل السنّة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وسنجد ذلك التعامل معهم في هذا الكتاب.

أمّا علماء الرجال من أهل السنّة فإنّهم يتّسعون في تفسير معنى الشيعة ليشمل كل الفرق التي تشعّبت عن الشيعة بما في ذلك الغُلاة.

إضافة إلى ذلك فإنّهم يُشملون بهذا المعنى حتى مَن يهوى بقلبه أهل البيت عليهم السلام هذا بالرغم من عدم إيمانهم بإمامتهم وعصمتهم كما هو الحال في سفيان الثوري وهو من أهل الفتوى في العراق إذ أنّه يفتي من منطلقات فكرية وعقائدية موافقة لمذاهب أهل السنّة وكذا الأمر مع ابن قتيبة إذ يُعدّ من ضمن الشيعة[١].

يقول ابن النديم على سبيل المثال في الشافعي: «وهو من فقهاء المذاهب الأربعة كان الشافعي شديداً في التشيّع»[٢].

مع أنّنا نرى تنامي الشيعة الزيدية في القرنين الثاني والثالث الهجريين وكانوا بطبيعة الحال شيعة بالمعنى السياسي لا بالمعنى الإعتقادي ذلك أنّهم لا يتبعون في فقهم الفقه الجعفري بل الفقه الحنفي[٣].

وحتى في عقائدهم أيضاً يقول الشهرستاني: إنّ زيد تتلمذ مدّة على يد واصل بن عطاء مؤسس المذهب المعتزلي وأخذ عنه مذهب المعتزلة في أُصولهم.

من هنا فإنّ الزيدية معتزلة في أُصولهم ولهذا يجيزون بإمامة المفضول مع وجود الأفضل ويؤيّدون خلافة الشيخين[٤] وهم في عقائدهم أقرب ما يكون إلى أهل السنّة، ولهذا يرى ابن قتيبة إنّ الزيديّة أقل فرق الرافضة غلوّاً[٥].

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، منشورات الشريف الرضي، قم ط الأُولى (١٤١٥ هـ. ش) ص٦٢٤.

(٢) ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (بدون تاريخ) ص٢٩٥.

(٣) الشهرستاني الملل والنحل، منشورات الشريف الرضي، قم (١٣٦٤ هـ. ش) ج١ ص١٤٣.

(٤) المصدر السابق ص١٣٨.

(٥) ابن قتيبة، المعارف ص٦٢٣.

ومن أجل هذا حظيت ثورة محمّد النفس الزكية وهو من قادة الزيدية بتأييد بعض فقهاء أهل السنّة، وقد نقل الواقدي أنّ أبا بكر بن سيرة[١] وابن عجلان[٢] وعبدالله بن جعفر[٣] وهم من كبار المحدّثين في مدرسة المدينة الذين روى عنهم الواقدي أنّهم اشتركوا في ثورة محمّد النفس الزكية.

وذكر الشهرستاني: إنّ من جملة شيعة محمّد النفس الزكية أبو حنيفة[٤]. وكان معتزلة أهل البصرة يؤيّدون ثورة محمّد النفس الزكية، وذكر أبو الفرج الإصفهاني إنّ جماعة من معتزلة أهل البصرة ومنهم: واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد قد بايعوه[٥].

وعلى هذا فأنّ الزيدية كانوا شيعة بالمفهوم السياسي فقط على الرغم من اعتقادهم أيضاً بتقديم أولاد فاطمةعليها السلام .

خلاصة الدرس الثالث

يُطلق اصطلاح الشيعة على اتباع وأنصار الإمام عليّعليه السلام ومفهوم الشيعة والشيعي لا يملك إلاّ معنىً واحداً فقط وهو الاعتقاد بخلافة عليّعليه السلام وأولاده الأوصياء بعد النبيّصلى الله عليه وآله .

ولهذا فإنّ الأئمة الأطهارعليهم السلام كانوا ينفون تشيّع أتباع الفرق الأُخرى.

أمّا علماء السنّة وعلماء الرجال فإنّهم يطلقون مصطلح الشيعة على كل الفرق التي

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، ط الثانية، قم.

(٢) المصدر السابق ص٢٥٤.

(٣) المصدر السابق ص٢٥٦.

(٤) الشهرستاني الملل والنحل، منشورات الشريف الرضي، قم (١٣٦٤ هـ. ش) ج١ ص١٤٠.

(٥) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين ص٢٥٨.

تفرّعت عن الكيان الشيعي وحتى محبّي أهل البيتعليهم السلام، وقد كان الشيعة الزيدية يشكّلون المرتبة الثانية بعد الشيعة الإماميَّة في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

أسئلة الدرس الثالث

١ ـ ماذا يعني مفهوم الشيعة لغوياً؟ وضّح ذلك.

٢ ـ ماهو معنى ومفهوم الشيعة في المصادر الشيعية؟

٣ ـ هل يعتبر الأئمة الأطهار الذين ينتسبون إلى الفِرق الأُخرى شيعة؟ وضّح ذلك.

٤ ـ كيف يفسّر أهل السنّة مفهوم الشيعة؟

٥ ـ أي الفِرق تعدّ من الشيعة سياسيّاً؟ ولماذا؟



الدرس الرابع

نشأة التشيّع

توجد آراء مختلفة حول نشوء التشيّع غير أنّه يمكن تقسيم هذه الآراء إلى مجموعتين:

أ: القائلون بأنّ التشيّع ظهر ونشأ بعد رحيل النبيّ ﷺ، وهم بدورهم ينقسمون إلى أقسام:

ـ منهم مَن يرى أنّ التشيّع ظهر في يوم السقيفة عندما هتف جمع من كبار الصحابة صراحةً وقالوا: إنّ عليّاً أولى بالإمامة والخلافة[1].

ـ ومنهم يرى أنّ ظهور الشيعة يعود إلى أواخر خلافة الخليفة الثالث عثمان وانتشار آراء عبدالله بن سبأ في تلك الفترة[2].

ويرى فريق ثالث أنّ ظهور الشيعة كان في يوم فتنة الدار (يوم قتل الخليفة الثالث)، إذ اصطفّ أنصار عليّ عليه السلام وهم شيعته مقابل المطالبين بدم عثمان أو العثمانيين.

فقد كتب ابن النديم: لمّا خالف طلحة والزبير عليّاً عليه السلام، وأبيا إلاّ الطلب بدم عثمان بن عفان، وقصدهما عليّ عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيا إلى أمر الله جلّ اسمه تسمّى من اتّبعه على ذلك، الشيعة، فكان يقول شيعتي»[3].

وعلى هذا يرى ابن النديم أنّ ظهور مصطلح الشيعة جاء على خلفية النزاع

---

(١) ذكر اليعقوبي إنّ عدداً من كبار الصحابة امتنعوا عن بيعة أبي بكر وقالوا: «عليّ أولى بالخلافة» تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص١٢٤.

(٢) مختار الليثي د. سميرة، جهاد الشيعة، دار الجيل، بيروت (١٣٩٦ هـ) ص: ٢٥.

(٣) ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت (بدون تاريخ) ص٢٤٩.

الذي أفضى فيما بعد إلى حرب الجمل.

ويقول ابن عبد ربّه الأندلسي هم من فضّل عليّاً على عثمان[١].

وهناك فريق رابع يرى: أنّ التشيّع ظهر في الفترة ما بين حادثة التحكيم واستشهاد الإمام أمير المؤمنين[٢].

فيما يرى فريق خامس أنّ بدء التشيّع كان بعد واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام[٣].

ب: القائلون بأنّ التشيّع جذوره في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وهم بالإضافة علماء الشيعة قاطبة[٤] وبعض علماء أهل السنّة كما نرى ذلك في آراء محمّد كرد علي ـ وهو من كبار علماء السنّة ـ الذي يقول بوجود عدد من صحابة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله معروفين بتشيّعهم لعليّ[٥] وبأخذ هذه النظريات والآراء بنظر الاعتبار يمكن القول إنّ حادثة السقيفة، أواخر خلافة عثمان، حرب الجمل، التحكيم وواقعة كربلاء هي مفاصل تاريخية لها دورها في تاريخ التشيّع، مع التأكيد على أنّ وجود شخصية باسم عبدالله بن سبأ هو مجرّد وهم لا أساس له، وفي غير ذلك فأنّ ما ذكر من آراء لا يفسّر بشكل معقول ظهور التشيّع وتبلوره، ذلك أنّ دراسة الأحاديث المرفوعة عن النبي صلى الله عليه وآله تؤكد أنّ التشيّع ظهر في زمانه صلى الله عليه وآله، حيث النبيّ صلى الله عليه وآله هو أوّل من أطلق اسم الشيعة على محبّي عليّ وأنصاره، وكل هذه الأحاديث مقبولة من قبل إخواننا أهل السنّة وجاءت في مصادرهم الحدثية، كما

---

(١) ابن عبد ربّه الأندلسي أحمد بن محمّد، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٠٩ هـ) ج٢ ص٢٣٠.

(٢) البغدادي، أبو منصور، عبدالقادر بن طاهر بن محمّد، الفرق بين الفرق، ط القاهرة (١٣٩٧ هـ) ص١٣٤.

(٣) مختار الليثي الدكتورة سميرة، جهاد الشيعة، ص٣٥ بالاستناد إلى برنارد لويس، أصول الإسماعيلية ص٨٤.

(٤) دفاع از حقانيت شيعة، ترجمة غلام حسن محرّمي، مؤمنين ط الأولى (١٣٧٨ هـ. ش) ص٤٨، والشيعة في التاريخ ترجمة محمّد رضا عطائي، انتشارات (آستان قدس رضوي) ط ص ص٣٤.

(٥) خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق ط الثالثة (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م ج٦ ص٢٤٥.

هو الحال في الأحاديث التي أوردها السيوطي ـ وهو من مفسّري أهل السنّة ـ في تفسير الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ا لْبَرِيَّةِ﴾ عليّ وشيعته وهم الفائزون يوم القيامة[١].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لعليّ[٢]: «إنّ الله قد غفر لشيعتك ولمحبّي شيعتك».

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً قال: «أنت وشيعتك تردون على الحوض رواء مرويين مبيضة وجوهكم وأنّ عدوّكم يردون عليّ ظماء مقمحين»[٣].

وأنّه عليه السلام يرد حوض الكوثر مع شيعة مبيضة وجوههم[٤].

وقد خاطب النبيّ صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة بأنّ عليّاً وشيعته هم الفائزون غداً[٥].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً: «إنّ عليّاً وأهل بيته وشيعته ومحبّيه مغفور لهم»[٦].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: «وإنّك غداً في الآخرة أقرب الناس منّي... وإنّ شيعتك على منابر من نور...»[٧].

وعن ابن عباس قال: «تُزف أنت وشيعتك مع محمّد وحزبه إلى الجنان زفاً زفاً»[٨].

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم (١٤٠٤ هـ) ج٦ ص٣٧٩.

(٢) ابن حجر الهيثمي المكّي، الصواعق المحرقة، مكتبة القاهرة، ط الثانية (١٣٨٥ هـ) ص٢٣٢.

(٣) المصدر السابق، والهيثمي، نور الدين عليّ بن أبي بكر، مجمع الزوائد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (١٤١٤ هـ) ج٩، ص١٧٧.

(٤) أخطب خوارزم، المناقب، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف (١٣٨٥ هـ)، ص٢٠٦.

(٥) المصدر السابق ص٢٠٩ والقندوزي الحنفي، الشيخ سليمان، ينابيع المودّة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ط الأولى (١٤١٨ هـ) ج١ ص٣٠٢.

(٦) أخطب خوارزم، المناقب ص ٢١٠.

(٧) المصدر السابق ص١٥٨ ح١٨٨.

(٨) المصدر السابق ص٣٢٢ (ضمن حديث ٣٢٩ فصل ١٩).

وقد روى الخوارزمي مجموعة من المناقب في حقّ عليّ عليه السلام منها:

إنّه صلى الله عليه وآله أمره أن يتختّم بالعقيق الأحمر ليكون من المقرّبين وهم جبرئيل وميكائيل لأنّ هذا الجبل (العقيق) آمن بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله ووصيّه علي عليه السلام[1].

وإنّ سبعين ألف من (أمتي) يدخلون الجنّة بغير حساب فسأل عليّ ومن هم يا رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «هم شيعتك»[2].

وروى أنس بن مالك عن النبيّ صلى الله عليه وآله:

إنّ الله يحبّ عليّاً وإنّ الله عزّ وجلّ خلق من الملائكة قدر ما سبّح به وهم يستغفرون له والشيعة[3].

ونُقل عن جابر بن عبدالله الأنصاري إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر علياً أن يبشّر شيعته بأنّه شفيعهم يوم القيامة[4].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ أوّل أربعة يدخلون الجنّة: أنا وأنت والحسن والحسين»[5].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «إنّ أوّل ما يدخلون الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرارينا وشيعتنا عن أيماننا وعن شمائلنا»[6].

ومن هنا فإنّ عدداً كبيراً من محدّثي أهل السنّة ومن مؤرّخيهم من قبيل ابن

---

(١) المصدر السابق ص٢٣٤.

(٢) المصدر السابق ص٢٣٥.

(٣) القندوزي الحنفي، الشيخ سليمان، ينابيع المودّة ص٣٠١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق ص٣٠٢.

(٦) الهيثمي نور الدين عليّ بن أبي بكر، مجمع الزوائد ص١٧٨، عن طبعة ١٤٠٧ ح٩ ص١٣١، ١٧٤.

الجوزي، البلاذري، الشيخ سليمان القندوزي الحنفي، الخوارزمي والسيوطي، رووا إنّ رسول الله ﷺ قال في عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «إنّ هذا وشيعته لهم **الفائزون يوم القيامة**»[1].

وهناك روايات عن النبيّ ﷺ في حقّ بعض الصحابة من الشيعة نقلت عن طريق بعض المحسوبين على خصوم الإمام عليّ عليه السلام من قبيل ما رُوي عن السيّدة عائشة، فقد حجّ معاوية بعد أن ارتكب مذبحة «مرج عذراء» التي قُتل فيها حجر بن عدي الكندي وولده وبعض أصحابه ولمّا زار المدينة المنورة والتقى عائشة قالت له:

يا معاوية! أقتلت حجراً وأصحابه فأين عَزَبَ حلمك عنهم؟ أمّا إنّي سمعت رسول الله يقول: «**يُقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السموات**» قال: لم يحضرني رجل رشيد يا أمّ المؤمنين[2].

وبسبب قوّة هذه الروايات التي لا يتطرق إليها الشك وهي مثبّتة في المدوّنات الحديثية لدى علماء الحديث من أهل السنّة، فقد عمد بعض علماء السنّة إلى محاولة تفسيرها بشكل ينسجم مع توجّهاتهم الفكرية.

يقول ابن أبي الحديد[3]: كان القائلون بالتفضيل هم المسمّون الشيعة وجميع

---

(١) ابن الجوزي، تذكرة الخواص، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف (١٣٨٣ هـ) ص٥٤، والبلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمّد باقر المحمودي مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ج٢ ص١٨٢، والقندوزي الحنفي، الشيخ سليمان، ينابيع المودة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ط الأولى (١٤١٨ هـ) ج١ ص٢٠١، وأخطب خوارزم، المناقب، منشورات المطبعة الحيدرية النجف الأشرف (١٣٨٥ هـ) ص٢٠٦ والسيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم (١٤٠٤ هـ) ج٦ ص٣٧٩.

(٢) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص٢٣١ مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤١٣ هـ ج٢ ص١٤١.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج ٢٠ ص٢٢٦.

ما ورد من الآثار والأخبار في فضل الشيعة وأنّهم موعودون بالجنّة، ولذلك قال: أصحابنا المعتزلة في كتبهم وتصانيفهم: نحن الشيعة حقّاً فهذا القول هو أقرب إلى السلامة وأشبه بالحقّ.

وكذا ما قاله ابن حجر الهيثمي أيضاً في الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة ـ كتاب في ردّ عقائد الشيعة ومرتكزاتهم الفكرية ـ عند نقله هذه الأحاديث[١]: أيّ أهل بيتك ومحبّوكم الذين لم يبتدعوا بسبّ أصحابي ولا بغير ذلك.

وهذا ما استدعى من المرحوم المظفر أن يرد على هذه الآراء في كتابه تاريخ الشيعة[٢].

وكذا المرحوم الشيخ كاشف الغطاء[٣].

إنّ حضور اصطلاح «الشيعة» مفردة ومعنىً في أحاديث النبيّ ﷺ مسألة في غاية الوضوح ولهذا فأنّ محاولات التأويل والتفسير والاتجاه بالمعنى بعيداً عن دلالاته الحقيقية هي مجرّد محاولات لخداع الذات، خاصّة وأنّ ظاهرة الصحابة من شيعة عليّ عليه السلام هي مسلّمة تاريخية لا غبار عليها ولا يتطرّق إليها الشكّ فهناك من بين صحابة الرسول رجال عُرِفوا بتشيّعهم لعليّ وهو أمر مشهور جداً[٤].

وكان صحابة النبيّ ﷺ يستخدمون هذا الاصطلاح «الشيعة» إذ نجد على

---

(١) الهيثمي المكّي، ابن حجر، الصواعق المحرقة، مكتبة القاهرة (١٣٨٤ هـ) ص٢٣٢.

(٢) المظفر، محمّد حسين، تاريخ الشيعة، منشورات مكتبة بصيرتي (بدون تاريخ) ص٥.

(٣) دفاع عن حقانيت شيعة، ترجمة غلام حسن محرّمي، مؤمنين ط الأولى (١٣٧٨ هـ. ش) ص٤٨، ٤٩.

(٤) يقول سعد بن عبدالله الأشعري حول هذا الموضوع: فأوّل الفرق الشيعة، وهي فرقة عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، المُسمّون شيعة عليّ في زمان النبيّ ﷺ وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته، منهم المقداد بن الأسود الكندي، وسلمان الفارسي، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وعمّار بن ياسر المذحجي المؤثرون طاعته، المؤتمون به، وغيرهم ممّن وافق مودته مودّة عليّ بن أبي طالب، وهم أوّل من سمّوا باسم التشيّع من هذه الأمّة لأنّ اسم التشيّع قديم، شيعة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى والأنبياء عليهم السلام.

سبيل المثال هاشم المرقال يتحدث مع الإمام عليّ عليه السلام حول شخص يدعى «محل بن خليفة الطائي» فيقول للإمام في معرض تعريف الرجل: «يا أمير المؤمنين هو من شيعتك»[(١)].

فيقول الإمام في معرض الجواب[(٢)]: «صُفْرُ الوجوهِ من السّهر، عمشُ العيونِ من البكاء...».

وفي موارد أُخرى نرى الإمام عليّ عليه السلام يستخدم مصطلح «الشيعة» فيطلقه على مؤيّديه وأنصاره من قبيل قوله لمّا سمع خبر استشهاد عدّة من أنصاره في البصرة على يد طلحة والزبير وإذا رفع يديه إلى السماء وقال(٣): «... اللّهمّ اقتلهم بمَن قتلوا من شيعتي...».

وهذا الاصطلاح استخدمه أعداء عليّ ومناؤوه إذ أطلقوه على أنصار عليّ ومؤيّديه إذ نرى طلحة والزبير وعائشة في مسيرهم إلى البصرة يتداولون الحديث والكلام مكان قرارهم[(٤)]: «... وإذا أسرعنا المسير إلى البصرة وأخرجنا عاملَهُ منها، وقتلنا شيعته بها...».

وعلى أيّة حال فإنّ حقيقة التشيّع التي تعني الولاء والحبّ والتأييد وتفضيل الإمام عليّ على غيره من الصحابة أمراً كان واضحاً حتى في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله ؛ الذي كان يدعو إلى حبّ عليّ وموالاته وأتباعه من قبيل ما حصل في «غدير خم»، كما يشير إلى ذلك ابن أبي الحديد[(٥)].

---

(١) الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الجمل، مكتب العلوم الإسلامي، مركز النشر، ط ٢ (١٤١٦هـ) ص٢٤٣.

(٢) الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان الإرشاد، ترجمة محمّد باقر الساعدي الخراساني، المكتبة الإسلاميّة ط الثانية ج١ ص٢٣٧، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام ١٤١٣ هـ.

(٣) الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان، الجمل ص٢٨٥.

(٤) المصدر السابق ص٢٣٥.

(٥) شرح نهج البلاغة ج٢ ص٣٤٩.

وفيما يلي طائفة من الأحاديث في هذا المضمار:

عن بريدة الأسلمي قال[١]: «إنّ الله أمرني بحبّ أربعة وأخبرني أنّه يحبّهم قيل يا رسول الله سمّهم لنا قال: عليّ منهم يقول ذلك ثلاثاً، وأبو ذر والمقداد وسلمان».

جاء في تاريخ الطبري في وقائع معركة أُحد قول رسول اللهﷺ: «عليّ منّي وأنا من علي»[٢].

وعن أمّ سلمة قالت[٣]: «كان رسول اللهﷺ إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلّمه إلاّ عليّ».

وروى سعد بن أبي وقاص عن رسول اللهﷺ[٤]: «مَن أحبّ عليّاً فقد أحبّني ومَن أحبّني فقد أحبّ الله ومَن أبغض عليّاً فقد أبغضني ومَن أبغضني فقد أبغض الله».

وروى ابن الجوزي عن النبيّ الأكرم مثل ذلكﷺ[٥].

وجاء أيضاً في مناقب الخوارزمي عن ابن عبّاس عن النبيّ الأكرمﷺ[٦].

ويروي الزبير بن بكّار ـ من أحفاد الزبير، مشهور بعدائه لأميرالمؤمنينعليه السلام ـ عن النبيّ الأكرمﷺ مثله[٧].

ويروي ابن أبي الحديد عن زيد بن أرقم عن النبيّ الأكرمﷺ قوله: «ألا

(١) الهيثمي المكّي، الصواعق المحرقة، مكتبة القاهرة، ط الثانية (١٣٥٨ هـ) ص١٢٢.

(٢) تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة (١٤٠٨ هـ) ج٢ ص٦٥.

(٣) الهيثمي المكّي، الصواعق المحرقة ص١٢٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف (١٣٨٣ هـ) ص٢٠٩.

(٦) أخطب خوارزم، المناقب، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف (١٣٨٥ هـ) ص٢١٤.

(٧) الأخبار الموفقّيات، انتشارات الشريف الرضي، قم (١٤١٦ هـ) ص٣١٢.

أدلكم على ما إن تساءلتم عليه لم تهلكوا؟ إنّ وليّكم الله وإنّ إمامكم عليّ بن أبي طالب، فناصحوه وصدّقوه، فإنّ جبرائيل أخبرني ذلك».

ويعلّق ابن أبي الحديد بعد نقله الحديث قائلاً[1]:

«فإن قلت هذا نصّ صريح في الإمامة فما الذي تصنع المعتزلة بذلك، قلت: يجوز أن يريد إنّه إمامهم في الفتاوى والأحكام الشرعية لا في الخلافة. وأيضاً فإنّا قد شرحنا من قول شيوخنا البغداديين ما محصّله: إنّ الإمامة كانت لعليّ عليه السلام إن رغب فيها ونازع عليها وإن أقرّها في غيره وسكت عنها تولّينا ذلك الغير وقلنا بصحة خلافته وأميرالمؤمنين عليه السلام لم يُنازع الأئمة الثلاثة ولا جرّد السيف ولا استنجد بالناس عليهم فدلّ ذلك على إقراره لهم على ما كانوا فيه فلذلك تولّيناهم وقلنا فيهم بالطهارة والخير والصلاح ولو حاربهم وجرّد السيف عليهم واستصرخ العرب على حربهم لقلنا فيهم ما قلنا فيمَن عامله هذه المعاملة من التفسيق والتضليل».

خلاصة الدرس الرابع

يرى بعض الباحثين أنّ ظهور التشيّع يعود إلى حادثة السقيفة ويرى آخرون أنّ ظهور التشيّع مرتبط بأواخر عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفّان.

فيما يعتقد فريق ثالث أنّ بذرة التشيّع نبتت بعد مقتل عثمان، إلى جانب هؤلاء يبرز رأي رابع فيرى ظهور التشيّع كان بعد استشهاد الإمام عليّ عليه السلام، وهناك رأي خامس يذهب إلى أنّ واقعة عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين هي وراء ظهور التشيّع.

أمّا الشيعة فيعتقدون بأنّ ظهور التشيّع يعود إلى زمن النبيّ صلى الله عليه وآله ويؤيّد بعض

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، مصر ط الأولى (١٣٧٨ هـ) ج٣ ص٩٨.

علماء السنّة هذا الرأي كما هو الحال في العلاّمة محمّد كرد عليّ الذي يعتقد بأنّ جذور التشيّع تعود إلى عهد النبيّ الأكرمﷺ وأنّ النبيّ هو أوّل من أطلق هذا الاصطلاح على محبّي عليّعليه السلام .

تاريخياً اشتهر بأنّ بعض الصحابة عرفوا بشيعة عليّ وكان ذلك على عهد النبيّﷺ.

وإضافة إلى ذلك فإنّ النبيّﷺ كان يحثّ أصحابه على حبّ عليّ وموالاته وقد حصل ذلك في مناسبات عديدة.

* * *

أسئلة الدرس الرابع

١ - كم نظرية توجد حول بدء وظهور التشيّع؟ اشرح ذلك.

٢ - مَن هو أوّل مَن أطلق مصطلح الشيعة على محبّي علي؟

٣ - اذكر حديثين عن النبي الأكرمﷺ حول الشيعة.

٤ - ماهو رأي ابن أبي الحديد في الأحاديث الشريفة حول الشيعة؟

٥ - ماهو موقف ابن حجر الهيثمي إزاء أحاديث النبيّﷺ حول الشيعة؟

٦ - ماهي حقيقة التشيّع؟

٧ - ما هو رأي ابن أبي الحديد في حديث زيد بن أرقم؟

الدرس الخامس

مصطلحات أخرى

بعد أن تسنّم الإمام عليّ عليه السلام موقع الخلافة وبعد أن اتسعت رقعة التشيّع ظهرت إلى جانب مصطلح الشيعة مصطلحات أُخرى من قبيل «العلوية»، «الإماميّة»، «الاثنا عشرية»، «الحسينية»، «الجعفرية»، «الخاصّة»، «الترابية»، و«الرافضة» كل هذه المصطلحات كانت تطلق على الشيعة وعلى محبّي أهل البيت وكانت الصفة الغالبة هي الشيعة ولكن المصطلحات الأُخرى كانت تطلق في مناسبات ما بهدف الحطّ من شأنهم في بعض الأحيان.

ففي عهد معاوية كان الأُمويون يحاولون توظيف مصطلحات محددة بهدف محاربة أتباع أهل البيت نفسيّاً فقد استخدموا مثلاً إحدى كُنى الإمام عليّ عليه السلام وهي «أبو تراب».

وبعد انتهاء حرب صفّين ونتيجة التحكيم التي أفرزت وضعاً جديداً مكّن معاوية من ارسال ولاته إلى بعض المدن كالبصرة مثلاً، إذ بعث إليها عبدالله بن الحضرمي ووضع له منهجاً في طريقة التعامل مع قبائلها فكان نصيب قبائل ربيعة الإهمال والمضايقة ووصف رجالها بالترابيين[1].

وذكر المسعودي إنّ أبا مخنف قد صنّف كتاباً أسماه «أخبار الترابيين» وقد نقل المسعودي عنه «عين الوردة»[2].

أمّا «الرافضة» فهو أكثر الاصطلاحات المستخدمة شيوعاً لدى خصوم الشيعة،

---

(١) البلاذري أنساب الأشراف، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٣٩٤ هـ) ج٢ ص٤٢٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٣٩٤ هـ) ج٣ ص ١١٠.

ولهذا يعدّ هذا الاصطلاح نوعاً من التنكيل يستخدمه المعارضون للشيعة وأعداؤهم ويعني لديهم حالة من الخروج عن الدين، وقد اتّهم الشافعي بالرفض ولهذا أعلن صراحة ذلك في لهجة مليئة بالتحدّي:

إن كان رفضاً حبّ آل محمّد فليشهد الثقلان أنّي رافضي[1][2]

وقد جاء في التاريخ أنّ لقب الرافضة أطلق على الشيعة بعد ثورة زيد الشهيد(رضي الله عنه) يقول الشهرستاني[3]:

«ولمّا سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه وعرفوا أنه لا يتبرأ عن الشيخين رفضوه حتّى أتى قدره عليه فسُمّيت رافضة».

أمّا لقب «العلويّ» فقد كتب السيّد محسن الأمين: «فبعد مقتل عثمان وقيام معاوية وأتباعه بوجه عليّ بن أبي طالب وإظهار الطلب بدم عثمان واستمالته عدداً عظيماً من المسلمين إلى ذلك صار أتباعه يُعرفون بالعثمانية وهم مَن يوالون عثمان ويبرأون من عليّ أمّا مَن يوالونهما فلا يُطلق عليهما اسم العثمانية، أمّا أتباع عليّ فيُعرفون بالعلوية مع بقاء اطلاق اسم الشيعة عليهم واستمر ذلك حتى ملك بني أميّه، وفي دولة بني العبّاس نُسخ اسم العلوية والعثمانية وصار في المسلمين اسم الشيعة والسنّة إلى يومنا هذا»[4].

وهكذا بالنسبة للإماميّة فهو لقب آخر أطلق على الشيعة في مقابل الزيدية يقول ابن خلدون: «.. ثمّ منهم مَن يرى أنّ هذه النصوص تدلّ على تعيين عليّ وتشخيصه وكذلك تنتقل منه إلى مَن بعده وهؤلاء هُم الإماميّة ويتبرّأون من

---

(١) الهيثمي المكّي، الصواعق المحرقة، ص١٢٣.

(٢) الأمين السيّد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت (بدون تاريخ) ج١ ص٢١.

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل، منشورات الشريف الرضي، قم (١٣٦٤ هـ. ش) ص ١٣٩.

(٤) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة ص١٩.

الشيخين حيث لم يقدّموا عليّاً ويُبايعوه بمقتضى هذه النصوص ويغمصون في إمامتهما... ومنهم من يقول إنّ هذه الأدلة إنّما اقتضت تعيين عليّ بالوصف لا بالشخص والناس مُقصّرون حيث لم يضعوا الوصف موضعه وهم الزيدية ولا يتبرّأون من الشيخين»[١].

وإذا ما استقصينا شعر يوم عاشوراء وما أنشده أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في أثناء المعارك، وكذا شعر ما بعد الواقعة حول كربلاء، فإنّنا سنلحظ ظهور اصطلاح جديد «دين الحسين»[٢]، ومَن ثمّ «الحسيني»: «ومن الروافض الحسينية، وهم أصحاب إبراهيم بن الأشتر، وكانوا يطوفون بالليل في أزقّة الكوفة وينادون: يا لثارات الحسين، فقيل لهم الحسينية»[٣].

ثمّ ظهر مصطلح «القطعية» ليطلق على شرائح واسعة من الشيعة في مقابل «الواقفية» الذين وقفوا على إمامة موسى الكاظم عليه السلام ونفوا استشهاده في السجن سنة (١٨٦ هـ). في حين تمثّل «القطعية» الشيعة الذين قطعوا بمسألة شهادته وآمنوا بإمامة خلفه الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام والأئمة من بعده، بينما ظلّت الواقفية تشكّل تياراً داخل الوسط الشيعي[٤].

واليوم يمثّل مصطلح «الجعفرية» الطائفة الشيعية رمزاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام بطابعه الفقهي الذي يميّزه عن فقه المذاهب الأربعة لأهل السنّة. ذلك أنّ فقه أهل البيت بشكل عام إنّما تبلّور على يد الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام كما أن معظم الروايات الفقهية ترتفع إلى الإمام الصادق عليه السلام.

---

(١) ابن خلدون، مقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٠٨ هـ) ص١٩٧.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، مؤسسة انتشارات علاّمة، قم، ج٤، ص١٠٢.

(٣) ابن عبد ربّه الأندلسي، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٠٩ هـ) ج٢ ص٢٣٤.

(٤) الشهرستاني، الملل والنحل ص ١٥٠.

وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار شعر السيِّد الحميري فإنّ الفقه وحده لا يمثّل السبب في بروز هذا المصطلح وإنّما ينسحب الأمر أيضاً على الأُصول، ذلك أنّ مذهب الإمام جعفر الصادق في الأُصول يمتاز على غيره من الأُصول المعتمدة لدى الفرق والمذاهب الأُخرى يقول السيد الحميري:

تجعّفرت باسم الله والله أكبر[١]

وهذا الإعلان القوّي يتعدّى مساحة المسائل الفقهية إلى مسائل عقائدية وجوهرية تختلف عن متبنيات فرقة الكيسانية .

منزلة الإمام عليّ عليه السلام بين الصحابة

للإمام عليّ عليه السلام موقعه الفريد بين الصحابة يقول المسعودي[٢]: «والأشياء التي استحقّ بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الفضل هي: السبق إلى الإيمان والهجرة والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله، والقربى منه والقناعة وبذل النفس له والعلم بالكتاب والتنزيل والجهاد في سبيل الله والورع والزهد والقضاء والحكم والفقه والعلم كل ذلك لعليّ عليه السلام منه النصيب الأوفر والحظ الأكبر إلى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وآله حين آخى بين أصحابه: «أنت أخي» وهو صلى الله عليه وآله لا ضدّ له ولا ندّ وقوله صلوات الله عليه: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى الا إنّه لا نبيّ بعدي» وقوله عليه الصلاة والسلام: «مَن كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهمّ والِ من والاه وعادِ مَن عاده» ثمّ دعاؤه عليه السلام وقد قدم إليه أنس الطائر: «اللّهمّ ادخل إليّ أحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطائر، فدخل عليه عليّ إلى آخر الحديث فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال ممّا تفرّق في غيره...».

---

(١) المسعودي عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤١١ هـ) ج٣ ص٩٢.

(٢) المصدر السابق، ج٣ ص٤١٩، دار الفكر ١٤٢١ هـ.

كما أنّ الإمام عليّ عليه السلام هو أقرب الناس إلى النبيّ صلى الله عليه وآله من بني هاشم قاطبة، فقد تربّى في ظلال النبيّ صلى الله عليه وآله ونشأ في منزله وتشرّب أخلاقه[١].

والإمام عليّ عليه السلام هو الفدائي الأوّل في تاريخ الإسلام نام في فراش النبيّ ليلة الهجرة التاريخية ليفديه بنفسه وليؤدّي الأمانات إلى أهلها وما لبث أن هاجر بعد أيام وكان النبيّ صلى الله عليه وآله ينتظر وصوله في مسجد قبا[٢].

والأهم من ذلك كلّه هو موقع عليّ في الإسلام وهو موقع حدّده النبيّ صلى الله عليه وآله في وقت مبكّر من التاريخ الإسلامي. وفي حديث الدار لمّا نزلت الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ ففي ذلك اليوم عندما حضر بنوهاشم وأعلن النبيّ صلى الله عليه وآله رسالته وطلب من عشيرته النصرة لم ينهض سوى عليّ، بينما اعتصم الجميع بالصمت هنالك أعلن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ عليّاً هو وصيّه ووزيره وخليفته من بعده هذا وكان الإمام في مقتبل العمر[٣].

وكان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله يؤكد في كل مناسبة موقع عليّ عليه السلام ومقامه ومنزلته وكان يوصي المسلمين ويدعوهم إلى الوقوف في جانب عليّ لأنّه يمثّل وقوفاً إلى جانب الحقّ.

وبسبب مواقف قريش المتشنّجة إزاء بني هاشم وخاصّة عليّ فقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله لا يفتأ يوصي أصحابه ويرشدهم وينبّههم إلى منزلة عليّ وموقعه الفريد. يروي ابن شهر آشوب عن عمر بن الخطاب أنّه كان يؤذي عليّاً فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لم تؤذيني؟» فيجيب عمر: معاذ الله أن أؤذي رسول الله فيقول

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٦ هـ) ص٤١.

(٢) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب ص٢٩٤.

(٣) انظر اليوسفي الغروي، محمّد هادي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ط الأولى (١٤١٧ هـ) ج١ ص٤١٠.

النبيّ ﷺ : «ولكنّك تؤذي عليّاً ومن آذى عليّاً فقد آذاني».

وروى مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقّاص أنّه كان في المسجد مع رجل فطفقا الحديث عن عليّ ووقعا فيه، فبان الغضب على وجه رسول الله وقال: «مَن آذى عليّاً فقد آذاني».

ويروي الهيثمي قائلاً[1]: «وعن بريدة قال: بعث رسول الله ﷺ عليّاً أميراً على اليمن وبعث خالد بن الوليد على الجبل فقال إن اجتمعتما فعليّ على الناس، فالتقوا وأصابوا من الغنائم مالم يصيبوا مثله وأخذ عليّ جارية من الخمس فدعا خالد بن الوليد بريدة فقال: اغتنمها فاخبر النبيّ ﷺ ما صنع فقدمت المدينة ودخلت المسجد ورسول الله ﷺ في منزله وناس من أصحابه على بابه فقالوا: ما الخبر يا بريدة فقلت: خيراً فتح الله على المسلمين فقالوا: ما أقدمك، قلت: جارية أخذها عليّ من الخمس، فجئت لأُخبر النبيّ ﷺ فقالوا: فأخبر النبيّ ﷺ، فإنّه يسقط من عين النبيّ ﷺ، ورسول الله ﷺ يسمع الكلام وخرج مغضباً فقال: ما بال أقوام يتقصون عليّاً، مَن تنقّص عليّاً فقد تنقّصني ومن فارق عليّاً فقد فارقني إنّ عليّاً مني وأنا منه خُلق من طينتي وخُلقت من طينة إبراهيم وأنا أفضل من إبراهيم ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم يا بُريدة أما علمت أنّ لعليّ أكثر من الجارية التي أخذ وأنّه وليّكم بعدي».

ويروي ابن شهر آشوب أحاديث شبيهة بهذا عن محدّثين من قبيل الترمذي، أبي نعيم، البخاري والموصلي[2].

---

(١) الهيثمي، نور الدين عليّ بن أبي بكر، مجمع الزوائد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (١٤١٤ هـ) ج٩ ص١٢٨، ١٤٠٨ هـ.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ص٢١١، ٢١٢.

ولهذا فقد كان الإمام عليّ عليه السلام يحظى بالاحترام والاجلال من لدن الصحابة، يروى ابن شهر آشوب أيضاً عن أنس بن مالك[1]: ما كنا نعرف الرجل لغير أبيه إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالب... كان الرجل من بعد يوم خيبر يحمل ولده على عاتقه ثمّ يقف على طريق عليّ فإذا نظر إليه أومى بإصبعه يا بنيّ تحبّ هذا الرجل؟ فإن قال نعم قبّله؛ وإن قال لا خرق به الأرض، وقال له: ألحق بأمّك... وقال عبادة بن الصامت: كنّا نسيّر أولادنا بحبّ عليّ بن أبي طالب فإذا رأينا أحدهم لا يحبّه علمنا أنّه لغير رشده».

وفي أواخر حياة النبيّ صلى الله عليه وآله أصبحت مسألة خلافة الإمام عليّ عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله أكثر شيوعاً، كما أنّ لقب «الوصي» أصبح من ألقاب الإمام عليّ عليه السلام الشائعة لدى الجميع بغض النظر عن مواقفهم إزاءه. وقد ظهر هذا جليّاً في وقائع غزوة تبوك، ولأوّل مرّة لم يرافق عليّ عليه السلام النبيّ صلى الله عليه وآله في هذه الغزوة لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله استخلفه على المدينة المنوّرة في خطوة لها دلالتها خاصّة بعد أن خرج النبيّ أمام الملأ العام مخاطباً عليّاً عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى الا إنّه لا نبيّ بعدي».

وسوف يتكرّر الأمر في حجّة الوداع على نطاق أوسع وأعمق إذ خرج النبيّ صلى الله عليه وآله في منى وعرفات وأخبر بأنّ عدد خلفائه اثنا عشر كلّهم من بني هاشم[2]، ثمّ توّجت هذه الإشارات بإعلان عام في منطقة «غدير خم» في عودته صلى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة وفي منتصف الطريق إذ نزلّ الوحي الإلهي: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ

(١) المصدر السابق ج٣ ص٢٠٧ دار الأضواء ١٤٠٥ هـ.

(٢) مرتضى العاملي، سيد جعفر، الغدير والمعارضون، دار السيرة، بيروت.

رِسَالَتَهُ﴾ هنالك أمر النبيّ بالتوقف وحبس قوافل الحجيج وإعادة القوافل التي اجتازت المنطقة، وَضِعَ للنبيّ منبر من أقتاب الإبل ونادى النبيّ في عشرات الأُلوف من حجاج بيت الله: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه وعادِ من عاده، وانصر مَن نصره واخذل من خذله».

ثمّ أمر الناس بأنّ يبايعوا عليّاً، ويجد الباحث تفصيلاً لهذه الواقعة الهامّة في التاريخ في موسوعة الغدير للعلاّمة الأميني في الجزء الأوّل، من هنا فإنّ النبيّ ﷺ أعلن هوية خليفته ولهذا فإنّ الرأي العام السائد بين الأنصار والمهاجرين بأنّ عليّاً سيخلف النبيّ ﷺ، وقد تحدّث الزبير بن بكّار حول هذا الموضوع، الذي صوّر وحدّد ما يشبه الإجماع على خلافة الإمام إذ إنّ عموم المهاجرين وكلّ الأنصار كانوا لا يشكّون في أنّ الخليفة وصاحب الأمر بعد رسول الله هو عليّ بن أبي طالب[1].

وانعكست هذه الحقائق التاريخية في الأشعار التي رافقت حادثة السقيفة.

يقول عتبة بن أبي لهب بعد أن انتهت إليه نتائج السقيفة وانتخاب أبي بكر للخلافة:

ماكنت أحسب أنّ الأمر منصرف	عن هاشم ثمّ منها عن أبي الحسن
أليس أول من صلّى لقبلتكم	وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وأقرب الناس عهداً بالنبيّ ومن	جبريل عون له في الغسل والكفن
مافيه ما فيهم لا يمترون به	وليس في القوم ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردّهم عنه فتعلمه	ها أن ذا غبننا من أعظم الغبن

(١) الزبير بن بكّار، الأخبار الموفقيات، منشورات الشريف الرضي قم، (١٤١٦ هـ) ص٥٨٠.

وقد أوصى الإمام عتبة بالابتعاد عن هذا النهج في قول الشعر وأكد له بأنّ سلامة الدين أهم من كل شيء[١].

وقول ابن أبي عبرة القرشي:

شكراً لمَن هو بالثناء حقيق ... ذهب اللجاج وبويع الصّديق
كنّا نقول لها عليّ والرضا ... عمر وأولاهم بذاك عتيق[٢]

وعتيق هنا أبوبكر الذي بويع بالخلافة بعدما ولّت السقيفة لكن الشعر يشير صراحةً عن وجود انطباع عام في أنّ الخلافة ستكون من نصيب عليّ وأنّ عليّاً أهلاً لها.

وفي الجدل الذي احتدم جرّاء السقيفة وموقف عمرو بن العاص المناهض للأنصار، نرى أنّ النعمان بن عجلان سوف ينبري للردّ على عمرو بن العاص، فجاءت أشعاره تمجيداً لعليّ وإعلان حقّه الشرعي في الخلافة:

فقل لقريش نحن أصحاب مكّة ... ويوم حنين والفوارس في بدر
وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم ... عتيق بن عثمان حلال أبا بكر
وهل أبو بكر لها خير قائم ... وإنّ عليّاً كان أخلق بالأمر
وكان هواناً في عليّ وأنّه ... لأهل لها يا عمرو من حيث لا تدري
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى ... وينهى إلى الفحشاء والبغي والنكر
وصي النبيّ المصطفى وابن عمّه ... وقاتل فرسان الضلالة الكفر[٣]

ولحسان بن ثابت شعر يشكر فيه الفضل بن عبّاس الذي انبرى للدفاع عن الأنصار بتوجيه من الإمام عليّ عليه السلام:

---

(١) الزبير بن بكّار، الأخبار الموفقيات، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٦ هـ)، ص٥٨١.

(٢) المصدر السابق ص٥٨٠.

(٣) الزبير بن بكّار، المصدر السابق، ص٥٩٢.

جزى الله عنّا والجزاء بكفّه ... أبا حسن عنّا ومن كان كأبي حسن
سبقت قريش بالذي أنت أهله ... فصدرك مشروح وقلبك ممتحن
حفظت رسول الله فينا وعهده ... إليك ومن أولى به منك من ومن
ألست أخاه في الهدى ووصيّه ... وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن[1]

وحتى أبو سفيان الذي أعرب عن استيائه من نتائج السقيفة وأعلن حقّ عليّ وأهليته للخلافة في شعر مشهور جاء فيه:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ... ولا سيّما تيم بن مرّة أو عدي[2]
فما الأمر إلاّ فيكم وإليكم ... وليس لها إلاّ أبو حسن عليّ[3]

وأخيراً يأتي الإعلان العام في غدير خمّ وما أنشده حسّان بن ثابت شاعر الرسولﷺ في حضرة النبيّﷺ بعد أن استأذنه في تسجيل تلك الحادثة شعرياً، يقول حسّان في قصيدته المشهورة:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخم واسمع بالنبيّ مناديا
وقد جاء جبرئيل عن أمر ربّه ... بأنك معصوم فلا تك وانيا
وبلّغهم ما أنزل الله ربّهم إليك ... ولا تخش هناك الأعاديا
فقال فمَن مولاكم ووليّكم ... فقالوا ولم يبدو هناك تعاميا
إلهك مولانا وأنت وليّنا ... ولن تجدن فينا لك اليوم عاصيا
فقال له: قُم يا عليّ فأنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمَن كنت مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أنصار صدق مواليا

---

(١) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم، ط الأولى (١٤١٤ هـ) ج٢ ص١٢٨.
(٢) تيم: هي قبيلة أبي بكر، وعدي قبيلة عمر.
(٣) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، ص١٢٦.

هنـــاك دعـــا اللهـــمّ والِ وليّـــه ... وكـن للـذي عـادى عليّـاً معاديـا
فيـاربّ انـصر ناصـريه لنـصرهم ... إمام هدى كالبدر يجلو الدياجيا[1]

ونجد هنا أنّ الشاعر حسّان بن ثابت يقرّر أدبياً حديث النبيّ ﷺ وأطلق على الإمام عليّ ألقاب: الإمام، الولي والهادي، وعلى هذا فإنّ الشاعر الذي يمثل ضمير الرأي العام تلقّى خطاب النبيّ وحديثه بهذا الفهم الواضح الذي أقرّه الرسول ﷺ في تلك المناسبة.

ومن هنا يمكن القول إنّ الرأي العام كان يتصوّر بشكل جازم إنّ خلافة النبيّ ﷺ ستكون للإمام عليّ عليه السلام ولن ينازعه في ذلك منازع أو يدفعه دافع، وهذا ما أشار إليه معاوية بن أبي سفيان في رسالته الجوابية إلى محمّد بن أبي بكر[2]: «... فقد كنّا وأبوك معنا في حياة من نبيّنا نرى حقّ ابن أبي طالب لنا لازماً وفضله علينا مبرزاً فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده... فكان أبوك وعمر أوّل مَن أنزله منزلته عندهما فدعواه إلى أنفسهما...».

وانطلاقاً من هذا الفهم العام والأكيد فأنّ الذين لم يحضروا وفاة النبيّ ﷺ في المدينة وكانوا خارجها لم يكونوا على علم بالمؤثرات التي حيكت في الشهور الأخيرة من حياة النبيّ ﷺ منهم خالد بن سعيد وأبوسفيان و... عندما عادوا إلى المدينة ورأوا أبابكر متربّعاً على منبر النبيّ ﷺ باعتباره خليفة تلقوا ذلك بقدر كبير من الدهشة[3].

---

(١) الأميني عبدالحسين، الغدير، دار الكتب الإسلاميّة، طهران (١٣٦٦ هـ. ش) ج١ ص١١ وج٢ ص٣٩.

(٢) ابن الأثير عز الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ) ج ص١٢٠ وابن واضح، تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٢٦.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٣٩٤ هـ) ج٢ ص٣٩٦.

وقد اجتمع أبوسفيان بالعبّاس بن عبدالمطلب وبالإمام فيما بعد وأعلن وقوفه إلى جانب الإمام في أيّة خطوة لاستعادة حقّه في الخلافة، وتعهّد لهما بأنّه سيملأها خيلاً ورجالاً، ولكنّ الإمام عليّ عليه السلام كان يدرك سلفاً نوايا أبي سفيان الحقيقية، ولهذا نهره وردّه خائباً[1].

وبالرغم من اعتراف أغلبية الصحابة بخلافة أبي بكر بشكل رسمي، ولكن مسألة أفضلية الإمام عليّ عليه السلام ظلّت من المسلّمات لدى الجميع، ولهذا فإنّ الفتيا كانت لعليّ عليه السلام ولم يكن أحد يجرؤ على الإفتاء وعليّ في المسجد، ذلك أنّ أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله كانت ماتزال ماثلة أمام الجميع؛ وقد سمع المسلمون النبيّ صلى الله عليه وآله يقول عن عليّ إنّه: «أفقه الأُمّة»[2]. وكان عمر بن الخطاب كثيراً ما يردّد مقولته المشهورة: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبوالحسن»[3]، وكان يخاطب أصحاب النبيّ قائلاً: «لا يفتي أحد وعليّ في المسجد» و «لا أبقاني الله لمعضلة ليس فيها أبوالحسن»[4].

وبالرغم من بقاء الإمام بعيداً عن القرار السياسي بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله ولكنّ الصحابة كانوا يروون ويتحدثون عن مناقب الإمام عليّ عليه السلام، ونجد ابن حجر الهيثمي المعروف بتعصّبه الشديد يحصي من رواة الغدير ثلاثين راوياً[5]، فيما نجد ابن شهر آشوب يورد ثمانين راوياً لحديث الغدير[6].

---

(١) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم ط الأولى، (١٤١٤ هـ) ج٢ ص١٢٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب، مؤسسة انتشارات علامة ج٣ ص٢٥، ٢٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج١ ص١٨.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الصواعق المحرقة، مكتبة القاهرة، (١٣٨٥ هـ) ص١٢٢.

وأثبت المرحوم العلاّمة الأميني صاحب موسوعة الغدير وجود ١١٠ من الصحابة رووا جميعهم حديث الغدير.

وهذه قائمة بأسماء الصحابة ممّن رووا الحديث: «أبو هريرة، أبو ليلى الأنصاري، أبو زينب الأنصاري، أبو فضالة الأنصاري، أبو قدامة الأنصاري، أبو عمر بن عمرو بن محصن الأنصاري، أبو الهيثم ابن التيّهان، أبو رافع، أبو ذؤيب، أبو بكر بن أبي قحافة، أسامة بن زيد، أُبي بن كعب، أسعد بن زرارة الأنصاري، أسماء بنت عميس، أمّ سلمة، أمّ هاني، أبو حمزة، أنس بن مالك الأنصاري، البراء بن العازب، بُريدة الأسلمي، أبو سعيد ثابت بن وديعة الأنصاري، جابر بن سميرة، جابر بن عبدالله الأنصاري، جبلة بن عمرو الأنصاري، جبير بن مطعم القرشي، جرير بن عبدالله البجلي، أبو ذر جندب بن جنادة، أبو جنيدة الأنصاري، حبّة بن جوين العرني، حبشيء بن جنادة السلولي، حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي، حذيفة بن أُسيد الغفاري، أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، خالد بن الوليد المخزومي، خزيمة بن ثابت، أبو شريح خويلد بن عمر الخزاعي، رفاعة بن عبدالمنذر الأنصاري، الزبير بن العوّام، زيد بن الأرقم، زيد بن ثابت، زيد بن يزيد الأنصاري، زيد بن عبدالله الأنصاري، سعد بن أبي وقّاص، سعد بن جنادة، سلمة بن عمرو بن الأكوع، سمرة بن جندب، سهل بن حُنيف، سهل بن سعد الأنصاري، صدى بن عجلان، ضميرة الأسدي، طلحة بن عبيدالله، عامر بن عمير، عامر بن ليلى، عامر بن ليلى الغفاري، عامر بن واثلة، عائشة بنت أبي بكر، العبّاس بن عبدالمطلب، عبدالرحمن بن عبد ربّه الأنصاري، عبدالرحمن بن عوف القرشي، عبدالرحمن بن يعمر الديلي، عبدالله بن أبي عبدالأثر المخزومي، عبدالله بن بُديل،عبدالله بن بشير، عبدالله بن ثابت الأنصاري، عبدالله بن جعفر الهاشمي، عبدالله بن حنطب القرشي، عبدالله بن ربيعة، عبدالله بن عبّاس، عبدالله بن أبي عوف، عبدالله بن عمر، عبدالله بن مسعود، عبدالله بن ياميل، عثمان بن

عفّان، عبيد بن عازب الأنصاري، أبو طريف عدي بن حاتم، عطية بن بسر، عقبة بن عامر، عليّ بن أبي طالب، عمّار بن ياسر، عمارة الخزرجي، عمرو بن العاص، عمر بن مرّة الجهني، فاطمة بنت رسول اللهﷺ، فاطمة بنت حمزة، عمر بن أبي سلمة، عمران بن الحصين الخزاعي، عمر بن الحمق الخزاعي، عمر بن شراحيل، قيس بن ثابت الأنصاري، قيس بن سعد الأنصاري، كعب بن عجرة الأنصاري، مالك بن حويرث الليثي، المقداد بن عمرو، ناجيه بن عمرو الخزاعي، أبو برزة فضلة بن عتبة الأسلمي، نعمان بن عجلان الأنصاري، هاشم المرقال، وحشي بن حرب، وهب بن حمزة، أبو جحيفة، وهب بن عبدالله ويعلي بن مرّة[1].

ومن بين رواة الغدير شخصيات لم تكن لها علاقات طيّبة مع الإمام، بل كانوا يصنّفون ضمن مناوئيه وخصومه من قبيل: أبوبكر، عمر، عثمان، طلحة، عبدالرحمن بن عوف، زيد بن ثابت، أُسامة بن زيد، حسان بن ثابت، خالد بن الوليد وعائشة. ومن بين هؤلاء مَن كان يدافع عن عليّ أمام خصومه، كما هو الحال مع سعد بن أبيوقّاص وهو أحد أعضاء مجلس الشورى التي شكّلها عمر لانتخاب خليفة بعده والذي يتألف من ستة أشخاص، وأسفر اجتماعهم عن تولّي عثمان الخلافة بعد عمر. وكان سعد بن أبيوقّاص قد اختار موقف الحياد إبّان الجدل داخل المجلس، ولسعد بن أبيوقّاص هذا موقفه الرائع لدى حواره مع معاوية[2]: «إنّك نازع رجل كان أولى منك بالخلافة، فقال معاوية: لماذا؟ قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «مَن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه وعادِ من عاداه» ولفضله وسابقته في الإسلام».

---

(١) الغدير ج١ ص١٤ ـ ٦١ دار الكتب الإسلاميّة طهران.

(٢) البلاذري أنساب الأشراف، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ط الأولى، (١٣٩٤ هـ) ج٢ ص١٠٩ وأخطب خوارزم، المناقب، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف (١٣٨٥ هـ) ص ٥٩، ٦٠.

وهكذا في موقف عبد الله بن عمرو بن العاص إبّان حرب صفّين، وكان عبدالله قد رافق أباه في الحرب، فلمّا استشهد عمار بن ياسر، وجيء برأسه إلى معاوية وكان شخصان يتنازعان وكل يقول أنّه هو الذي قتل عمّار فقال عبدالله[1]:

«لتطب نفس كل واحد منكما لصاحبه برأس عمّار، فإني سمعت رسول اللهﷺ يقول: «تقتل عمّار الفئة الباغية» فالتفت معاوية إلى عمرو بن العاص فقال ألا تغني[2] عنّا مجنونك هذا، فلِمَ يُقاتل معنا إذاً؟ قال: إنّ رسول اللهﷺ أمرني بطاعة أبي، فأنا معكم ولست أُقاتل.

لقد كان حضور عمّار بن ياسر ووقوفه إلى جانب الإمام عليّعليه السلام ومن ثمّ مصرعه على أيدي جيش الشام بقيادة معاوية قد كشف عن معسكر البغي، لأنّ المسلمين لم ينسوا حديث رسول اللهﷺ: «يا عمّار تقتلك الفئة الباغية» لقد كان عمّار دليلاً واضحاً جداً على حقّانية عليّعليه السلام وهذا ما اعترف به عبدالله بن عمرو بن العاص.

خلاصة الدرس الخامس

بعد تسنّم الإمام عليّعليه السلام مركز الخلافة، اطلقت على الشيعة تسميات عديدة حمل بعضها دلالات سلبية القصد منها الإهانة من قبيل: «الرافضة، الترابية»، وهناك ألقاب أُخرى من قبيل: «العلوية، الإماميّة، الحسينية، الاثنا عشرية، الخاصّة والجعفرية».

كان للإمام عليّعليه السلام موقعه الفريد بين سائر صاحبة النبيّﷺ، وكان أقرب بني هاشم إلى النبيّﷺ، فقد تربّى في حجر النبيّﷺ ونشأ في ظلاله مُذ كان

---

(١) البلاذري ج٣ ص٩٢، دار الفكر ١٤١٧ هـ.

(٢) أي تُخفي وتغيّب، القاموس.

صغيراً وتشرّب أخلاقه وصفاته والأهم من ذلك كلّه إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد اختاره وفي وقت مبكر من تاريخ الإسلام معلناً إنّ عليّاً وصيّه ووزيره وخليفته من بعده، ولهذا نشأ تصوّر لدى عموم المسلمين إنّ الخليفة بعد النبيّ لن يكون سوى عليّ عليه السلام .



اسئلة الدرس الخامس

١ ـ تحدّث بإيجاز عن ألقاب الشيعة الأُولى.

٢ ـ ماهي الألقاب التي يستخدمها الخصوم في تسمية الشيعة؟

٣ ـ لماذا يطلق على الشيعة اسم العلوية أو الجعفرية؟

٤ ـ اذكر نصّ ما قاله المسعودي حول موقع عليّ بين الصحابة.

٥ ـ ماذا تعكس الأشعار التي قيلت في حادثة السقيفة؟

٦ ـ كم يبلغ عدد الرواة من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله؟

٧ ـ ماهو موقف الصحابة من مسألة سبّ علي؟

الدرس السادس

دور قريش في اجتماع السقيفة

بالرغم ممّا حصل في غدير خم والذي جاء تتويجاً لمحاولات حثيثة من لدن النبيّ ﷺ في تمهيد الأوضاع لخلافة وصيّه، الا إنّ حادثة السقيفة وما أفرزته من نتائج قد فرضت نفسها على الواقع، وكان في طليعة ما أسفرت عنه السقيفة هو إقصاء الإمام عليّ عليه السلام عن موقعه القيادي، وهنا يتوجب التذكير بدور قريش فيما حصل، ذلك أنّ قريشاً تمكنت من خلال ثقلها القبلي أن تحقق ما طمحت إليه في الاستيلاء على المركز السياسي هذا المركز الخطير الذي كان حقّاً طبيعياً وقانونياً لأهل البيت عليهم السلام. ومن هنا نجد الإمام عليّ عليه السلام يُذكّر بالتاريخ الأسود لتجاوزات قريش على أهل البيت عليهم السلام وسعيها المسعور للاستيلاء على الخلافة[1].

كما ورد في رسالة الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية تذكير لهذا الدور القريشي في اجتماع السقيفة[2]: «فلمّا توفي ﷺ تنازعت سلطانه العرب فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطان محمّد في الناس وحقّه، فرأت العرب أنّ القول كما قالت قريش، وأنّ الحجّة لهم في ذلك على من نازعهم أمر محمّد ﷺ فأنعمت لهم العرب وسلّمت ذلك، ثمّ حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاجّت به العرب فلم تصنفنا قريش إنصاف العرب لها».

---

(١) الخطبة ١٧ من نهج البلاغة.

(٢) أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٦ هـ) ص٦٥.

وفي حديث للإمام الباقرعليه السلام مع أحد أصحابه جاء فيه[1]:

«يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا، وما لَقيَ شيعتنا ومحبّونا من الناس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قُبض وقد أخبر الناس إنّا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتّى أخرجت الأمر عن معدنه واحتجت على الأنصار بحقّنا وحجّتها ثمّ تداولتها قريش واحداً بعد واحد حتّى رجعت إلينا فنكثت ونصبت الحرب لنا...».

أجل لقد كانت هناك مجموعة مؤشرات حول نشاط قريش تركت انطباعاً لدى الكثير من المراقبين أنّها تسعى للاستيلاء على الخلافة، ومن هنا نجد الأنصار يقدمون على محاولة استباق حصول ذلك، فقرّروا الاجتماع في السقيفة واتخاذ الإجراءات التي تحول دون ذلك، لقد كان للأنصار هواجسهم وقلقهم الذي دفعهم إلى هذه الخطوة.

أسباب العداء القرشي لأهل البيت عليهم السلام

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا تعادي قريش أُسرة النبيّ صلى الله عليه وآله؟ أليست قريش مَدينَةٌ في دينها ودنياها لأهل البيت؟ ألم تكن على شفا جرف فانقذها ببركة هذه الأُسرة؟ جواباً على هذه التساؤلات نشير إلى مايلي:

١ ـ حبّ الزعامة

كان لقريش موقعها الفريد بين القبائل العربية في شبه الجزيرة، يقول أبو الفرج الإصفهاني في هذا المضمار[2]: «العربُ تُقرّ لقريش بالتقدّم في كلّ شيء

(١) كتاب سليم بن قيس العامري، منشورات دار الفنون، بيروت (١٤٠٠ هـ) ص١٠٨، والشيرازي، السيد عليّ خان، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، مؤسسة الوفاء، بيروت، ص٥.

(٢) الإصفهاني، الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج١ ص٧٤.

عليها إلاّ في الشعر...».

وقد حصلت قريش على هذا الموقع الهام عن طريقين:

أ: الثقل الاقتصادي:

كان لقريش نشاطها الاقتصادي التجاري الواسع الذي بدأته من فترة هاشم، وكانت رحلاتها التجارية الكبرى مع دول الجوار من قبيل: اليمن، الشام، فلسطين، العراق والحبشة، وقد مكّنت هذه الرحلات التجارية أشراف قريش وزعاماتها في الحصول على ثروات أُسطورية[1].

وقد أشار القرآن الكريم إلى تجارة قريش التي طردت عنهم شبح الفقر والجوع والحرمان ووفّرت لهم أسباب الرخاء والرفاه: ﴿لإيلاف قُرَيْش* إيلافهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ* فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[2].

ب: الثقل الروحي:

وفي وجود الكعبة بكل قداستها لدى القبائل العربية في شبه الجزيرة ما وفّر لقريش زعامة روحية واحتراماً بين قبائل العرب قاطبة، ثمّ جاءت واقعة الفيل وفشل الهجوم العسكري الذي شنّه إبرهة على مكّة من أجل هدم الكعبة جاءت هذه الواقعة لتعزّز من مكانة قريش وزعامتها الروحية خاصّة وأنّ مفاتيح الكعبة وسدانة البيت هي من اختصاص قبيلة قريش، التي حصلت على ألقاب عديدة تنطوي على بعد القداسة من قبيل: «آل الله»، «جيران الله» و «سكّان حرم الله»

---

(١) پيشوايي، مهدى، تاريخ الإسلام (١)، الجامعة الإسلاُميّة الحرّة في أراك ص ٥٠، ٥١.

(٢) القرآن الكريم، سورة قريش.

وهكذا وجدت قريش نفسها في موقع فريد بين القبائل العربية[١].

وبسبب هذا الموقع الفريد لقريش فقد سعت إلى تعزيز نفوذها وفرض سيطرتها على القبائل الأُخرى.

وقد استغلت قريش وجود الكعبة بشكل واسع، وفرضت قوانينها على الحجّاج العرب القادمين من مختلف أنحاء شبه الجزيرة من قبيل فرض نوع من اللباس للطواف حول الكعبة، ولهذا كان الحجّاج العرب يخلعون ثيابهم واستبدالها بثياب يشترونها من أسواق مكّة[٢].

ومن هنا فقد تلقّت الزعامات القرشية ظهور النبيّ ﷺ باعتباره تهديداً خطيراً لها، ولهذا اصطفّت لمواجهته وألقت بكل ثقلها في الصراع بهدف القضاء على أفكار الإسلام وتعاليمه، ولكنّ مشيئة الله سبحانه قضت بانتصار النبيّ ﷺ على أعدائه وانتصار رسالته.

وفي السنة الثامنة من الهجرة المباركة ذهب عدد من أشراف قريش إلى المدينة ولكنّهم لم ينفكّوا يظهرون عداءهم للإسلام فعلى سبيل المثال كان الحكم بن أبي العاص يسخر من النبيّ ﷺ فتمّ إبعاده إلى الطائف بأمر من رسول الله ﷺ[٣].

وعندما وجدت قريش نفسها عاجزة عن مواجهة النبيّ ﷺ قررت التآمر من جديد لتستهدف هذه المرّة وصيّه وخليفته وكان عمر لا ينفك يردّد على ابن عبّاس في حواراته المتكرّرة معه قوله[٤]: «كرهت العرب أن تجتمع فيكم يا بني

---

(١) پيشوايي، مهدي، تاريخ الإسلام (١) ص٥٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت ج١ ص٧٢.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ) ج٢ ص٣٤.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج١ ص١٩٤.

هاشم النبوّة والخلافة».

وقالوا أيضاً: «إنّ وَليَ الأمر بنو هاشم لم يخرج منهم أبداً، وما كان في غيرهم فهو متداول في بطون قريش»[(١)].

وكان بعض الصحابة يدركون ما تفكر به قريش وما يدور في مجالسها الخاصّة كما هو الحال في الصحابي الجليل البرّاء بن عازب الذي كانت تنتابه الهواجس من تفكير قريش في إخراج الخلافة من بني هاشم كلّما رأى النبيّ صلى الله عليه وآله[(٢)].

وقد جاء رضا قريش بخلافة أبي بكر وعمر من هذا المنطلق، وقد عاد بعضهم أبابكر قبيل وفاة الأخير فقال لهم[(٣)]: «إنني أعلم إنّ كل واحد منكم يطلب الخلافة بعدي ولكنّي وليّت عليكم خيركم».

يقول ابن أبي الحديد[(٤)]: «ما قُتل عمر بن الخطاب حتّى ملّته قريش واستطالت خلافته وقد كان يعلم فتنتهم فحصرهم في المدينة».

٢ ـ المنافسة القبلية والحسد

كانت المنافسة الشديدة بين القبائل أحد أبرز الظواهر في شبه الجزيرة العربية ونجد إشارة إلى ذلك في سورة التكاثر[(٥)]، وكذا في سورة سبأ[(٦)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص٥١.

(٣) المصدر السابق ج١ ص٣١٠.

(٤) المصدر السابق ج٢ ص١٥٩.

(٥) ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾(التكاثر: ١ ـ ٢).

(٦) ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ (سبأ : ٣٦-٣٧).

ومنذ العصر الجاهلي كلّفت هذه الظاهرة بني هاشم الكثير، فقد اصطفّت كل القبائل لمواجهة بني هاشم ولم تسمح لعبدالمطلب أن ينفرد بحفر بئر زمزم[1] والحصول على هذا المجد ومن هنا قال أبوجهل[2]: «... تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاذبنا على الرّكبَ وكُنّا كفرسي رهان؛ قالوا: منّا نبي يأتيه الوحيّ من السماء فمتى نُدرك مثل هذه، والله لا نُؤمن به أبداً ولا نصدّقه...».

وعلى الرغم من كون أميّة بن أبي الصلت وهو من أشراف الطائف وزعمائها من الحنفاء الا إنّه لم يعتنق الإسلام وظلّ ينتظر ظهور النبيّ الموعود بل إنّه كان يتصور أنّ ذلك سيكون من نصيبه، ولهذا رفض الإذعان لنبوّة خاتم الأنبياء محمّدﷺ وبرّر ذلك بأنّه خجل من نساء ثقيف[3]:

«... وكان يخبر بأنّ نبيّاً يُبعث قد أظلّ زمانه، فلمّا سمع بخروج النبيّﷺ كفر حسداً له...».

وبالرغم من حجم المنافسة والحسد الذي واجهه النبيّﷺ الا إنّه انتصر في النهاية وهزم أعداؤه وبعد انتقال معظم الشخصيات من أشراف قريش إلى المدينة المنوّرة بعد السنّة الثامنة الهجرية الا إنّ ذلك لم يمنعهم من مواصلة الأذى ولم يطفئ نار الحسد المشتعلة في نفوسهم إزاء أهل بيت النبيّﷺ والكفّ عن التآمر ضدّهم.

يروي ابن سعد[4]: «... إنّ رجلاً من المهاجرين لقي العبّاس بن عبدالمطلب

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، دار المعرفة بيروت (بدون تاريخ) ج١ ص١٤٣ ـ ١٤٧.

(٢) المصادر السابق ج١ ص٣١٦ دار الوفاق، بيروت.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٥ هـ ٩ ص ٦٠، وپيشوايى، مهدي، تاريخ الإسلام في الجاهلية حتى حجّة الوداع، الجامعة الإسلاميّة الحرّة، أراك ص٨٨

(٤) الطبقات الكبرى، دار بيروت، (١٤٠٥ هـ) ج٤ ص٢٤.

فقال: يا أبا الفضل أرأيت عبدالمطلب بن هاشم والغيطلة كاهنة بني سهم جمعهما الله جميعاً في النار؟... فرفع العبّاس يده فوجأ أنفه فكسره، فانطلق الرجل كما هو إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا رآه قال: ماهذا؟ قال العبّاس، فأرسل إليه فجاءه فقال صلى الله عليه وآله: ما أردت إلى رجل من المهاجرين؟ فقال:... والله ما ملكت نفسي فقال صلى الله عليه وآله: ما بال أحدكم يؤذي أخاه في الأمر...؟

وقد عانى الإمام عليّ بسبب موقعه المتميز والفريد من أمواج الحسد يقول الإمام الباقر عليه السلام[1]: «في قوله: يستغشون ثيابهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا حدّث بشيء من فضائل عليّ عليه السلام أو تلا عليهم ما أُنزل فيه نفضوا ثيابهم وقاموا...».

ومن هنا كثيراً ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله[2]: «مَن حسدَ عليّاً فقد حسدني ومن حسدني فقد كفر».

ولم يمنع وجود النبيّ بعض الحاسدين من اظهار حسدهم في حضرة النبيّ صلى الله عليه وآله وإيذاء الإمام عليّ عليه السلام فقد روي عن سعد بن أبيوقّاص قوله[3]:

«كنت أنا ورجلان في المسجد فَنِلنَا من عليّ، فأقبل النبيّ صلى الله عليه وآله مغضباً فقال: مالكم ولي؟ من آذى عليّاً فقد آذاني...».

٣ ـ العداء الشخصي لعليّ عليه السلام

ويبقى العداء الشخصي لعليّ عليه السلام في طليعة الأسباب التي حالت دون بلوغه الموقع القيادي بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله.

ذلك أنّ قريش تحمل ما لقيها من أضرار وخسائر النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّاً عليه السلام فلقد

---

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، مؤسسة انتشارات علاّمة، قم ج٣ ص٢١٤.

(٢) المصدر ج٣ ص٢١٣.

(٣) المصدر ج٣ ص٢١١.

كان ذو الفقار السيف الذي حطّم أطماعهم وقضى على امتيازاتهم، وقد قتل أبرز أشرافهم في الصراع المسلّح مع الإسلام على يد عليّ عليه السلام، ولهذا فقد كان أبناؤهم وإخوانهم ينظرون إلى الإمام نظرة مليئة بالحقد والكراهية والانتقام، يذكر اليعقوبي في تاريخه بعض الحوادث في الأيام الأُولى من خلافة الإمام عليّ عليه السلام[1] فيقول: «... وبايع الناس إلاّ ثلاثة نفر من قريش: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة، وكان لسان القوم. فقال: يا هذا إنّك قد وترتنا جميعاً، أمّا أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر، وأمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر وكان أبوه من أنور قريش وأمّا مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمّه...».

وقد طلب عبيدالله بن عمر من الإمام الحسن أن يجتمع إلى الإمام عليّ وقال للإمام الحسن[2]: «إنّ لي إليك حاجة فالقني فلقيه قال: إنّ أباك قد وتر قريشاً أوّلاً وآخراً وقد شنئوه فهل لك أن تخلعه ونوليك هذا الأمر؟ قال عليه السلام: كلاّ والله لا يكون ذلك ثمّ...».

وعندما سئل ابن عبّاس[3]: «لِمَ أبغضت قريش عليّاً؟، قال: لأنّه أورد أوّلهم النار، وقلّد آخرهم العار.

وقد استثمر بعض الساسة هذا الحقد القرشي المسعور ضد الإمام كما هو الحال في قول عمر لسعيد بن العاص[4]: «مالي أراك مُعرضاً كأنّك ترى أنّي قتلت أباك؟ ما أنا قتلته ولكنّ قتله عليّ بن أبي طالب...».

---

(١) ابن واضح، أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص٧٥ الأعلمي بيروت ١٤١٣ هـ.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١ ص٤٩٨.

(٣) ابن شهرآشوب المصدر السابق ص ٢٢٠.

(٤) الطبقات الكبرى ج٥ ص٣١.

وللإمام عليّ عليه السلام شعر بعد تعرّضه لحادثة الاغتيال على يد ابن ملجم يشير فيه إلى عداء قريش له يقول:

تلكم قريش تمناي لتقتلني   فلا وربّك ما فازوا وما ظفروا[1]

خلاصة الدرس السادس

يتوجّب على الباحث ألاّ يغفل دور قريش في حادثة السقيفة، ذلك أنّ قريشاً هي القبيلة الوحيد التي بإمكانها إقصاء أهل البيت عليهم السلام عن الخلافة قد أشار الإمام عليّ عليه السلام وفي مناسبات عديدة إلى ظلم قريش وعدوانها عليه.

وينطلق عداء قريش لأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله من الاعتبارات التالية:

١ - حبّ الزعامة الذي دفع بزعامات قريش إلى رفض دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله لاعتناق الدين الإسلامي، لأنّ ذلك يهدّد زعامتها .

٢ ـ المنافسة والحسد الذي تكنّه القبائل إزاء بني هاشم.

٣ ـ العداء الشخصي للإمام عليّ عليه السلام بسبب ما لحقها من خسائر على يديه.

* * *

أسئلة الدرس السادس

١ ـ ماهو دور قريش في حادثة السقيفة؟ اشرح ذلك.

٢ ـ ماهي أسباب العداء القرشي لأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله؟

٣ ـ اشرح بإيجاز ظاهرة المنافسة والحسد بين القبائل.

٤ ـ تحدّث عن العداء القرشي لشخص الإمام عليّ عليه السلام .

---

(١) ابن شهر آشوب ج٣ ص٣١٢.

الدرس السابع

سكوت الإمام عليّ عليه السلام

السؤال هنا: لماذا سكت عليّ ولم يطالب بحقّه القانوني وهو يرى أبا بكر في موقعه القيادي كخليفة؟ ولماذا لم يستخدم القوّة المسلحة بعد أن شهد عدم جدوى احتجاجه وقوّة استدلاله المنطقي؟ خاصّة وقد وقف إلى جانبه بعض كبار الصحابة، كما أنّ الرأي العام الشعبي سوف لن يعارضه، بشكل عام؟ يمكن القول: إنّ الإمام عليّ عليه السلام وضع نصب عينيه مصلحة المسلمين العليا واختار السكوت وهذا ما صرّح به عليه السلام في خطبته المعروفة بـ«الشقشقية».

«فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت ارتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً»[1].

وانطلاقاً ممّا ورد في خطبة الإمام يمكن الإشارة إلى أسباب سكوت الإمام عليه السلام:

١ ـ التفرقة بين المسلمين

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «إنّ الله لمّا قبض نبيّه استأثرت علينا قريش بالأمر ودفعتنا عن حقّ نحن أحقّ به من الناس كافّة، فرأيت أنّ الصبر على ذلك

(١) نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم، والناس حديثوا عهد بالإسلام والدين يمخص مخص الوطب، يفسده وهن ويعكسه أقل خلف»[1].

٢ ـ خطر المرتدّين

بعد وفاة النبيّ ﷺ ارتدّت بعض القبائل العربية التي اعتنقت الإسلام في الشهور الأخيرة من حياة النبيّ ﷺ، وكان خطر المرتدّين يهدد المدينة المنوّرة، ولهذا رأى الإمام عليّ عليه السلام عدم القيام بأيّة خطوة تفضي إلى زعزعة الوضع السياسي في المدينة المنورة ولهذا اختار الصمت، يقول الإمام عليّ عليه السلام :

«فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي، أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته ولا أنّهم منعوه عنّي من بعده، فما راعني الا إنّثيال الناس على فلان يبايعونه، فامسكت يديّ حتى رأيت رجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمّد ﷺ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم إنّما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى يزاح الباطل وزهق واطمأنّ الدين وتهنه»[2].

وقد وردت هذه المخاوف حول مصير الإسلام في رسالة للإمام الحسن إلى معاوية[3]: «.. فأمسكنا عن منازعتهم مخافةً على الدين أن يجد المنافقون

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار الجيل، بيروت ط الأولى (١٤٥٧ هـ) ج١ ص٣٠٨.

(٢) نهج البلاغة، الرسالة ٦٢.

(٣) أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم، (١٤١٦ هـ) ص٦٥.

والأحزاب بذلك مغمزاً يثلمونه به...».

وقد أثبت القرآن الكريم أنّ إيمان الكثيرين ممّن اعتنقوا الإسلام بعد فتح مكّة كان إيماناً ظاهرياً ولم يلج إلى داخل قلوبهم، ونحن نعرف حجم ظاهرة النفاق التي شكّلت معلماً بارزاً في المجتمع الإسلامي الحديث التكوين، ولهذا فإنّ هناك رفضاً لولاية الإمام عليّ عليه السلام برز حتى في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله، يقول الطبرسي في تفسير آية: ﴿سَأَلَ سَآئِلُ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ وبالاستناد إلى حديث للإمام الصادق عليه السلام[1]: قال: لمّا نصّب رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام يوم غدير خم وقال: «مَن كنت مولاه فعليّ مولاه» طار ذلك في البلاد، فقدم على النبيّ صلى الله عليه وآله النعمان بن الحرث الفهري فقال: أمرتنا عن الله أن نشهد أن لاإله إلاّ الله، وأنك رسول الله، وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها. ثمّ لم ترض حتى نصّبت هذا الغلام فقلت: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فهذا شيء منك أو أمر من عند الله؟ فقال: «والله الذي لا إله إلاّ هو إنّ هذا من الله» فولى النعمان بن الحرث وهو يقول: اللهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء! فرماه الله بحجر على رأسه فقتله، وأنزل الله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾.

وقد ساند بعض سكّان البادية الأعراب قريشاً فيما تمخّض عن اجتماع السقيفة، وقد ذكر أبومخنف أنّ عدداً من سكّان البادية من الأعراب الذين صادف وجودهم في المدينة يوم وفاة النبيّ، كان لهم دور ملحوظ في دفع الناس إلى بيعة أبي بكر[2].

---

(١) مجمع البيان، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط الثانية (١٤٠٨ هـ) ج١٠ ص٥٣٠.

(٢) الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الجمل، مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر ص١١٨ ـ ١١٩.

٣ ـ حماية عترة النبيّ ﷺ

إنّ آل البيت عليهم السلام هم ورثة النبيّ وحماة الدين بالحقّ، إنّهم عدل القرآن والإرث الثاني للنبيّ ﷺ بعد القرآن، وهم مفسّروا الشريعة الذين يمثّلون مسار الإسلام الأصيل، ولذا فإنّ القضاء عليهم سيكون ضربة قاصمة للإسلام، يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «**فنظرت فإذا ليس لي معين إلاّ أهل بيتي فضننت بهم عن الموت**»[١].

التجمّع السياسي للشيعة بعد السقيفة

بالرغم من أنّ نتائج السقيفة أفضت إلى اقصاء الإمام عليّ بعيداً عن مركز القرار السياسي الا إنّ ذلك أدّى إلى ظهور أوّل تجمع سياسي للشيعة بعد السقيفة، وقد قام أعضاؤه بشكل جماعي أو فردي في التصدّي للدفاع عن حقّانية الإمام عليّ. وقد تشكّل التجمّع في بيت فاطمة بادئ ذي بدء وامتنعوا عن بيعة أبي بكر، لكنّهم واجهوا هجوماً من بعض الشخصيات التي كسبت نتائج الاجتماع[٢].

ولكنّ الإمام عليّ عليه السلام الذي وضع نصب عينيه الدفاع عن الإسلام وحمايته من كل الأخطار طلب من الصحابة المؤيّدين له أن يتوخوا أسلوب الحوار ومقابلة العنف بموقف سلمي والاحتجاج على خصومهم بالدليل والحجّة والمنطق، يقول البرّاء بن عازب[٣]: «.. فكنت أكابد ما في نفسي، فلمّا كان بليل، خرجت إلى المسجد... وأجد نفراً يتناجون... المقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وسلمان الفارسي وأباذر وحُذيفة وأبا الهيثم بن التّيهان وإذا حذيفة

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٦.

(٢) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم، (١٤١٤ هـ) ج٢ ص١٢٦.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج٢ ص٥١.

يقول لهم: والله ليكونن ما أخبرتُكم...».

وقد تجمّع شيعة عليّ من الصحابة في يوم الجمعة في مسجد النبيّ ﷺ وناظروا أبابكر واستنكروا ما قام به، يقول الطبرسي[1]: «عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، جعلت فداك، هل كان أحد في أصحاب رسول الله ﷺ أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه في مجلس رسول الله ﷺ فقال عليه السلام: نعم، كان الذي أنكر على أبي بكر اثنا عشر رجلاً، من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بني أُميّة، وسلمان الفارسي(رضي الله عنه)، وأبوذر الغفاري، والمقداد بن الأسود الكندي وعمّار بن ياسر، وبُريدة الأسلمي. ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيّهان، وسهل و عثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأُبي بن كعب، وأبو أيّوب الأنصاري رضي الله عنهم أجمعين قال عليه السلام: فلما صعد أبوبكر المنبر تشاوروا بينهم، فقال بعضهم لبعض: والله لتأتينّه ولننزلنّه عن منبر رسول الله ﷺ وقال آخرون منهم: والله لئن فعلتم ذلك، إذاً أعنتم على أنفسكم فقد قال الله عزّ وجل ﴿ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾، قالوا: فانطلقوا بنا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام لنستشيره ونستطلع رأيه. فانطلق القوم إلى أميرالمؤمنين بأجمعهم قالوا:... ولقد هممنا إليه فننزله عن منبر رسول الله ﷺ فجئنا إليك نستشيرك ونستطلع رأيك فما تأمرنا؟ فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: وأيم الله لو فعلتم ذلك لأتيتموني شاهرين بأسيافكم مستعدين للحرب والقتال وإذاً لأتوني فقالوا لي: بايع وإلاّ

---

(١) الطبري، الاحتجاج ج١ ص١٨٦ ـ ٢٠٠، ح٣٧ دار أسوة قم ١٤١٣ هـ.

قتلناك فلابدّ لي من أن أدفع القوم عن نفسي... فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل فعرّفوه ما سمعتم من قول نبيّكم محمّدﷺ ليكون ذلك أوكد للحجّة وأبلغ من قطع العذر وأبعد لهم من رسول اللهﷺإذ وردوا عليه. فسار القوم حتى أحدقوا بمنبر رسول اللهﷺ فلما صعد أبوبكر المنبر... فأوّل من تكلّم به خالد بن سعيد بن العاص... وقال: اتق الله يا أبا بكر فقد علمت أنّ رسول اللهﷺقال ونحن محتوشوه يوم بني قريظة حين فتح الله عزّ وجل... يا معاشر المهاجرين والأنصار إنّي موصيكم بوصية فاحفظوها وأنّي مودعكم أمراً فاحفظوه الا إنّ عليّ بن أبي طالبعليه السلامأميركم بعدي وخليفتي فيكم، بذلك أوصاني ربّي... ثمّ قام سلمان الفارسي(رضي الله عنه) وقال: «كرديد نكرديد» أي فعلتم ولم تفعلوا... فنزل ثمّ وانطلق إلى منزله وبقى ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول اللهﷺ فلمّا كان اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألفا رجل... وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل فمازال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع إليهم أربعة آلاف رجل فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول اللهﷺ، فقال عمر: والله يا أصحاب عليّ لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذي تكلّم بالأمس لنأخذنّ الذي فيه عيناه...».

هذا وقد كان بعض أنصار الإمام عليّعليه السلام وشيعته خارج المدينة في مهمات رسمية ولم يشهدوا وفاة النبيّﷺ من قبيل: خالد بن سعيد وإخوته أبان وعمرو، ولهذا ما إن عادوا إلى المدينة واحيطوا علماً بما حصل سجّلوا اعتراضهم الشديد ضد أبي بكر، وامتنعوا عن مواصلة عملهم في جباية الزّكاة وقالوا: إنّا لا نعمل

لأحد بعد رسول الله[١] .

وقال خالد بن سعيد للإمام عليّ عليه السلام[٢] : «هلّم أبايعك، فوالله ما في الناس أحدٌ أولى بمقام محمّد منك...».

وطوال خمسة وعشرين سنة من حكم الخلفاء الثلاثة كان الإمام عليّ جليس بيته، ومع ذلك فإنّ عدداً كبيراً من الصحابة كان ينظر إليه كخليفة وأميراً للمؤمنين . يقول عبدالله بن مسعود: الخلفاء في القرآن أربعة: آدم، داود، هارون وعليّ[٣] .

ويقول حذيفة[٤] : «مَن أراد أن ينظر إلى أميرالمؤمنين بالحقّ فليلقَ عليّ».

ويروي حارث بن خزرج صاحب لواء الأنصار في غزوات النبيّ صلى الله عليه وآله عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله[٥]: «.. وإنّ أهل السموات يُسمّونك أميرالمؤمنين».

ويقول اليعقوبي[٦]: «بعد تمّ إنتخاب عثمان عن طريق الشورى التي جعلها عمر بين الأشخاص الستّة المعروفين.. مال قوم مع عليّ بن أبي طالب وتحاملوا

---

(١) ابن الأثير عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرام، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ) ج٢ ص٨٣

(٢) اليعقوبي ج٢ ص١١.

(٣) قال سبحانه وتعالى في آدم عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: ٣٠ .

وقال عزّ وجل في داود: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ . سورة ص: الآية ٢٦.

وقال عزّ من قائل في هارون على لسان موسى عليه السلام : ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ . سورة الأعراف: الآية ١٤٢

وقال تبارك وتعالى في عليّ عليه السلام : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ سورة النور: الآية ٥٥.

انظر ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، الاضواء، بيروت، (١٤٠٥ هـ) ج٣، ص٧٧، ٧٨.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٣٩٤ هـ) ج٣ ص١١٥ .

(٥) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، مؤسسة انتشارات علاّمة، قم، ج٣ ص٥٤.

(٦) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي ص٥٧.

في القول على عثمان. فروى بعضهم قال: دخلت مسجد رسول الله ﷺ فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه يتلهّف كأنّ الدنيا كانت له فسلبها وهو يقول: واعجباً لقريش ودفعهم هذا الأمر على أهل بيت نبيّهم وفيهم أوّل المؤمنين وابن عمّ رسول الله ﷺ أعلم الناس وأفقههم في دين الله وأعظمهم غناءً في الإسلام وأبصرهم بالطريق وأهداهم للصراط المستقيم والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الطاهر النقي وما أرادوا إصلاحاً للأُمّة ولا صواباً في المذهب ولكنّهم آثروا الدنيا على الآخرة فبُعداً وسحقاً للقوم الظالمين فدنوت منه فقلت: مَن أنت يرحمك الله ومَن هذا الرجل؟ فقال: أنا المقداد بن عمرو وهذا الرجل عليّ بن أبي طالب قال: فقلت: ألا تقوم بهذا الأمر فأعينك عليه؟ فقال: يابن أخي! إنّ هذا الأمر لا يجري فيه الرجل ولا الرجلان...».

كما وقف الصحابي الجليل أبوذر في مسجد النبيّ وذلك في خلافة عثمان ونادى: «... أيّها الناس مَن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبوذر الغفاري، أنا جُندب بن جنادة الربذي... ومحمّد ﷺ وارث علم آدم وما فُضّل به النبيّون وعليّ بن أبي طالب وصيّ محمّد ﷺ ووارث علمه أيّتها الأُمّة المتحيّرة بعد نبيّها! أما لو قدّمتم مَن قدّم الله وأخرتهم من أخّر الله وأقررتم الولاية والوراثة من أهل بيت نبيّكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم... ولا اختلف اثنان في حكم الله إلاّ وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنّة نبيّه فأمّا إذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم...»[1].

---

(١) المصدر السابق ص٦٧.

خلاصة الدرس السابع

١ ـ وضع الإمام عليّ عليه السلام مصلحة الإسلام نصب عينيه وغضّ الطرف عن حقوقه واختار السكوت، ومن خلال تصريحات الإمام عليّ حول الموضوع يمكن الإشارة إلى الأسباب التالية:

أ: الفرقة بين المسلمين.

ب: خطر المرتدّين.

ج ـ حماية آل البيت.

٢ ـ بعد حادثة السقيفة ظهر أوّل تشكيل وتجمّع للشيعة واتّخذ اتجاهاً سياسيّاً خاصاً وقد تصدّى للدفاع عن حقّانية الإمام عليّ عليه السلام. وكان بيت فاطمة عليها السلام أوّل مكان للتجمّع وقد قام أعضاء التجمّع السياسي بالاحتجاج على أبي بكر في مسجد النبيّ، وقد ظلّ أعضاء التجمّع يدافعون عن حقّ عليّ طوال ٢٥ سنة.



أسئلة الدرس السابع

١ ـ ماهي أسباب سكوت الإمام عليّ عليه السلام؟

٢ ـ ماهي المرحلة التي مرّ بها الشيعة بعد حادثة السقيفة؟

الدرس الثامن

الشيعة من الصحابة

ذكرنا فيما مضى أنّ أوّل من أطلق اصطلاح «الشيعة» على أنصار عليّ ومحبّيه ومؤيديه هو سيدنا محمّد المصطفى ﷺ، ولقد عرف في عهده ﷺ وجود مجموعة من الصحابة كان يشار إليهم على أنّهم شيعة لعليّ ﷺ وأورد العلاّمة محمّد كرد علي في خطط الشام أسماء عدد من الصحابة الأجلاّء كانوا يرون حبّ الإمام عليّ عليه السلام والولاء له واجباً كالصلاة والصوم من قبيل: سلمان الفارسي الذي عدّ مودّة الإمام جزءً من البيعة للنبيّ ﷺ وأبو سعيد الخدري أشار إلى أنّ المسلمين أمروا بخمسة فعملوا بأربعة ولمّا سئل عن ذلك قال: إنّ الأربعة هي: الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحجّ بيت الله، أمّا الخامسة فهي: الولاية لعليّ عليه السلام ولمّا سئل عن الولاية هل هي واجبة أجاب نعم.

وكذلك أبو ذر الغفاري وعمّار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان وخزيمة بن ثابت، وذو الشهادتين وأبو أيّوب الأنصاري وخالد بن سعيد وقيس بن سعد[1].

ويقول ابن أبي الحديد حول الشيعة من الأوائل[2]: «والقول بالتفضيل قولٌ قديم، قد قال به كثيرٌ من الصحابة والتابعين فمن الصحابة عمّار، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان، وجابر بن عبدالله، وأُبيّ بن كعب، وحذيفة، وبُريدة، وأبو أيوب، وسهل بن حُنيف، وعثمان بن حنيف، وأبو الهيثم بن التيّهان، وخزيمة بن ثابت، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، والعبّاس بن عبدالمطلب وبنوه، وبنو هاشم كافةً، وبنو

---

(١) خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق ط الثالثة (١٤٠٣ هـ) ١٩٨٣م ج٦ ص٢٤٥.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث العربي: بيروت ج ٢٠ ص٢٢١، ٢٢٢.

المطلب كافةً، وكان الزبير من القائلين به في بدء الأمر؛ ثمّ رجع، وكان من بني أُميّة قومٌ يقولون بذلك، منهم خالد بن سعيد بن العاص، ومنهم عمر بن عبدالعزيز.

فيما يؤكد السيّد علي خان الشيرازي في الدرجات في طبقات الشيعة بعضاً من الصحابة ويشير إليهم على أنّهم كانوا شيعة للإمام عليّ عليه السلام، فيورد بني هاشم ثمّ يعقبهم بسائر الصحابة ويورد في الباب الأوّل فيما يتعلق بالصحابة الشيعة من بني هاشم الأسماء والشخصيات التالية[1]:

«أبو طالب، العبّاس بن عبدالمطلب، عبدالله بن عبّاس، الفضل بن العبّاس، عبيدالله بن العبّاس، قثم بن العبّاس، عبدالرحمن بن العبّاس، تمام بان العبّاس، عقيل بن أبي طالب، أبو سفيان بان الحارث بن عبدالمطلب، نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، عبدالله بن الزبير بن عبدالمطلب، عبدالله بن جعفر، عون بن جعفر، محمّد بن جعفر، ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، الطفيل بن الحارث بن عبدالمطلب، المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، العبّاس بن عتبة بن أبي لهب، عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطب، جعفر بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب».

أمّا في الباب الثاني فيقول عن الشيعة الصحابة من غير بني هاشم[2]:

عمر بن أبي سلمة، سلمان الفارسي، المقداد بن الأسود، أبوذر الغفاري، عمّار بن ياسر، حذيفة بن اليمان، خزيمة بن ثابت، أبو أيّوب الأنصاري، أبو الهيثم مالك بن التيّهان، أُبي بن كعب، سعد بن عبادة، قيس بن سعد، سعد بن سعد بن

---

(١) سيد عليّ خان الشيرازي، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، مؤسسة الوفاء بيروت ص٤١ ـ ١٩٧.

(٢) المصدر السابق ص١٩٧ ـ ٤٥٥.

عبادة، أبو قتادة الأنصاري، عديّ بن حاتم، عبادة بن الصامت، بلال بن رباح، أبو الحمراء، أبو رافع، هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عثمان بن حنيف، سهل بن حنيف، حكيم بن جبلة العدوي، خالد بن سعيد بن العاص، وليد بن جابر بن طليم الطائي، سعد بن مالك بن سنان، البراء بن مالك الأنصاري، ابن حصيب الأسلمي، كعب بن عمرو الأنصاري، رفاعة بن رافع الأنصاري، مالك بن ربيعة الساعدي، عقبة بن عمر بن ثعلبة الأنصاري، هند بن أبي هالة التميمي، جعدة بن هبيرة، أبو عمرة الأنصاري، مسعود بن أوس، فضله بن عبيد، أبو برزة الأسلمي، مرداس بن مالك الأسلمي، المسور بن شداد النهري، عبدالله بن بُديل الخزاعي، حجر بن عدي الكندي، عمرو بن الحمق الخزاعي، أُسامة بن زيد، أبو ليلى الأنصاري، زيد بن أرقم، البراء بن عازب الأوسي».

أمّا مؤلف رجال البرقي فيقول عن شيعة عليّ وأنصاره من صحابة النبيّ ﷺ إذ يورد قائمة باسمائهم[1]: «سلمان، المقداد، أبوذر، عمّار، وبعد هؤلاء الأربعة: أبو ليلى، شبير أبو عمرة الأنصاري، أبو سنان الأنصاري، وبعد هؤلاء الأربعة: جابر بن عبدالله الأنصاري، أبو سعيد الأنصاري واسمه سعد بن مالك الخزرجي، أبو أيّوب الأنصاري الخزرجي، أُبي بن كعب الأنصاري، أبو بزرة الأسلمي الخزاعي وإسمه نضلة بن عبيدالله، زيد بن الأرقم الأنصاري، بريدة بن حصيب الأسلمي، عبدالرحمن بن قيس ويُلقّب بسفينة راكب أسد، عبدالله بن سلام، العبّاس بن عبدالمطلب، عبدالله بن عبّاس، عبدالله بن جعفر، والمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، حذيفة بن اليمان ويُعدّ من الأنصار، أُسامة بن زيد، أنس بن مالك، أبو الحمراء البراء بن عازب الأنصاري، وعرفة الأزدي».

---

(١) أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، رجال البرقي، مؤسسة القيّوم، ص٢٩ ـ ٣١.

هذا ويذهب فريق من علماء الشيعة وبخاصة علماء الرجال إلى أنّ عدد الشيعة من الصحابة أكثر ممّا ورد في المصادر السنّية فالشيخ المفيد يرى أنّ كلّ الصحابة ممّن بايع عليّاً في المدينة وبخاصة الذين رافقوه في حروبه كانوا شيعة له عليه السلام وممن يعتقد بإمامته وقد حضر معركة الجمل منهم ألف وخمسمائة (١٥٠٠) صحابي[١].

وجاء في رجال الكشي[٢]: «إنّ من ـ الصحابة ـ السابقين الذين رجعوا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أبو الهيثم بن التيّهان، أبو أيّوب، خزيمة بن ثابت، جابر بن عبدالله، زيد بن الأرقم، أبو سعيد سهل بن حنيف، البراء بن مالك، عثمان بن حنيف، عبادة بن الصامت». وبعد هؤلاء قيس بن سعد، عديّ بن حاتم، عمرو بن الحمق، عمران بن الحصين، بُريدة الأسلمي، وآخرين عبّر عنهم «بشرٌ كثير».

ويقول المرحوم ميرداماد في تعليقه وشرحه على رجال الكشي وتفسيره لـ «بشر كثير» أنّه يعني أعداد كبيرة من كبار الصحابة والتابعين[٣].

ويقول السيّد عليّ خان الشيرازي[٤]: «واعلم أنّ أعداد كثيرة من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله رجعوا إلى إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام، ولا يمكن لنا عدّهم. ويتفق نقلة الأخبار والرواة إنّ أكثر الصحابة قد كانوا مع أميرالمؤمنين عليه السلام في حروبه».

ونجد أن محمّد ابن أبي حذيفة يستدل على حقّانية عليّ بحضور الصحابة ووقوفهم إلى جانبه وقد جاء ذلك في رسالته إلى معاوية[٥].

---

(١) الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان، الجمل، مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر، قم ص١٠٩، ١١٠.

(٢) الشيخ الطوسي، أبوجعفر، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم (١٤٠٤ هـ) ج١ ص١٨١ ـ ١٨٨.

(٣) المصدر السابق ص١٨٨.

(٤) الأمين السيد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات (بدون تاريخ) ج٢ ص٢٤.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت (١٣٩٤ هـ) ج٢ ص٣٩٥.

وهذا محمّد بن أبي حذيفة أحد أبرز أنصار الإمام عليّ الأوفياء يُرمى في السجن بأمر من معاوية وهو ابن خالته لا لشيء إلاّ لوقوفه إلى جانب عليّ، خاطب معاوية ذات مرّة[1]: «... قال: والله إنّي لأشهد أنّك منذ عرفتك في الجاهلية والإسلام لعلى خلق واحد مازاد الإسلام فيك قليلاً ولا كثيراً، وإنّ علامة ذلك فيك لبيّنة تلومني على حبّي عليّاً، كما خرج مع عليّ كل صوّام قوّام مهاجري وأنصاري، وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعتقاء...».

وقد توفي محمّد بن أبي حذيفة في سجون معاوية ومعتقلاته.

غير أنّنا إذا ما أردنا تحرّي الحقيقة فإنّ كل الذين كانوا في جيش عليّ لا يمكن عدّهم من الشيعة، ولكنهم يعترفون بخلافته رسمياً وليس أكثر من ذلك، الا إنّ كل الصحابة الذين شهدوا معارك الإمام ووقفوا إلى جانبه يعدّون من الشيعة، ولهذا كان الإمام يستدلّ بشهاداتهم ومواقفهم على حقانيته كما نرى ذلك فيما اثبته سليم بن قيس[2]: «.. ثمّ صعدعليه السلام المنبر في عسكره وجمع الناس ومَن بحضرته من النواحي والمهاجرين والأنصار ثمّ حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: **معاشر الناس إنّ مناقبي أكثر من أن تحصى وبعد ما أنزل الله في كتابه من ذلك وما قال رسول اللهصلى الله عليه وآله اكتفي بها عن جميع مناقبي وفضلي، أتعلمون إنّ الله فضّل في كتابه الناطق السابق إلى الإسلام في غير آية من كتابه على المسبوق وأنّه لم يسبقني إلى الله ورسوله أحد من الأمّة، قالوا: اللّهمّ نعم، قال: أنشدكم الله سئل رسول اللهصلى الله عليه وآله عن قوله تعالى:﴿السابقون السابقون أولئك المقرّبون﴾ فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: أنزلها الله في الأنبياء**

---

(١) الشيخ الطوسي، أبوجعفر، رجال الكشي ص٢٧٨.

(٢) كتاب سليم بن قيس العامري، منشورات دار الفنون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (١٤٠٠ هـ) ص١٨٦ والطبرسي أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب، الاحتجاج، انتشارات أسوة ج١ ص٤٧٢.

وأوصيائهم وأنا أفضل أنبياء الله ورسله ووصيّي عليّ بن أبي طالب أفضل الأوصياء، فقام نحو من سبعين بدرياً جلّهم من الأنصار وبقيتهم من المهاجرين... فقالوا نشهد إنّا قد سمعنا رسول الله ﷺ قال ذلك...».

خلاصة الدرس الثامن

إنّ أوائل الشيعة كانوا من كبار الصحابة، فقد ذكر العلامة محمّد كرد عليّ في خطط الشام إنّ عدّة من صحابة الرسول ﷺ كانوا يعرفون بشيعة علي وذلك في حياته ﷺ .

ويقسّم السيّد علي خان الشيرازي في كتابه الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة الصحابة الشيعة إلى قسمين: بنو هاشم وغير بني هاشم.

وهكذا في رجال البرقي فقد كان هناك فريق من الصحابة يعدون شيعة لعليّ.

ويعتبر الشيخ المفيد في كتابه «الجمل» كلّ الصحابة الذين شهدوا حروب عليّ ووقفوا إلى جانبه شيعة للإمام عليه السلام .

والشيخ الطوسي في رجال الكشي أحصى عدداً كبيراً من الصحابة آمنوا بإمامة عليّ عليه السلام .

إنّ وجود كبار الصحابة في جانب عليّ وتأييدهم له في مواجهة معاوية أحد أبرز الأدلة على حقّانية الإمام عليّ عليه السلام .



أسئلة الدرس الثامن

١ ـ تحدّث بإيجاز عن الصحابة الشيعة.

٢ ـ ماهو عدد الصحابة الذين شهدوا حرب الجمل مع الإمام علي؟

الفصل الثالث

فصول التحول التاريخي للشيعة

الدرس التاسع

أوّلاً: الشيعة في عصر الخلفاء الثلاثة

امتاز الشيعة في عصر الخلفاء الثلاثة الأوائل بمواصفات خاصّة يمكن الإشارة إليها بما يلي:

١ ـ لم يواجه الشيعة أيّة ضغوطات سياسية باستثناء الأيام التي أعقبت اجتماع السقيفة، بالرغم من أنّ الشيعة أو كثير منهم واجهوا حالة من الإقصاء السياسي والحرمان من المناصب الهامّة بسبب تشيّعهم[١].

٢ ـ أعقب السقيفة بروز تصدّع في المرجعية الفكرية والعلمية حيث انقسم المسلمون إلى فريقين أهل السنّة ويتبعون خلفاء الوقت ويرجعون في مشكلاتهم العلمية والفقهية والعقائدية إليهم فيما يرجع الشيعة إلى الإمام عليّ عليه السلام.

وانتقلت هذه المرجعية بعد استشهاد الإمام عليّ عليه السلام إلى الأئمة الأطهار من ولده وأبنائه فكان الأئمة يمثّلون المرجعية العلمية والفقهية وبشكل عام جميع المعارف الإسلاميّة.

وبسبب الاختلاف في وجهات النظر فقهياً وكذا في الحديث والتفسير والكلام مع أهل السنة فقد حصل اختلاف بين المرجعيات السنّية والشيعية تطور مع مرور الزمن.

٣ ـ كان للإمام عليّ عليه السلام تعاون مع الخلفاء في إطار حفظ مصالح

---

(١) مثالاً على ذلك ما قام به أبوبكر في عزل خالد بن سعيد عن القيادة من جيوش المسلمين التي كانت تحارب في الشام، وكان عمر قد قاله له: «أتولّي خالداً وقد حبس عنك بيعته، وقال لبني هاشم ما قد بلغك؟ فوالله ما أرى أن توجّهه. فحلّ لواءه، ودعا يزيد بن أبي سفيان، وأبا عبيدة بن الجرّاح، وشرحبيل بن حسنة، وعمرو بن العاص فعقد لهم» تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٩ الأعلمي ١٤١٣ هـ.

الإسلام[١] وقد اتّخذ هذا التعاون أبعاداً سياسيّة وعسكرية.

كما أنّ بعض كبار الصحابة من الشيعة تقلدوا وبموافقة الإمام عليّ عليه السلام مناصب عسكرية ومواقع سياسية، فمثلاً الفضل بن عباس - وهو ابن عمّ الإمام عليّ وأحد المدافعين عنه في حادثة السقيفة - كان قد تولّى منصباً عسكرياً في جيش الشام، وقد توفي في فلسطين سنة (١٨ هـ)[٢].

وكان حذيفة وسلمان قد تولّيا على التوالي الحكم في المدائن[٣].

وهكذا بالنسبة إلى عمّار بن ياسر الذي ولاّه الخليفة الحكم على الكوفة بعد سعد بن أبي وقّاص[٤]، أمّا هاشم المرقال الذي كان في طليعة المخلصين من شيعة الإمام عليّ عليه السلام والذي استشهد في صفين[٥]، فقد كان يتسنّم منصباً

---

(١) اقتراح الإمام عليّ عليه السلام على أبي بكر في مسألة إرسال الجيش إلى الشام. انظر ابن واضح، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ص١٣٣.

وكذا ما أشار به الإمام عليّ عليه السلام على عمر لدى استشارة الأخير حول الذهاب بنفسه إلى جبهات القتال وقيادة الجيوش هناك: «... إنّك متى تسرْ إلى هذا العدوّ بنفسك فتلقهم بشخصك فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفةٌ دون أقصى بلادهم وليس بعدك مرجع يرجعون إليه فأبعث إليهم رجلاً محرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة فإن أظهره الله فذاك ما تحبّ وإن تكن الأخرى كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين» الخطبة ١٣٤ نهج البلاغة.

واستشار عمر الإمام عليّ عليه السلام عندما أراد الشخوص لقتال الفرس بنفسه قال الإمام عليه السلام له: «.. فكن قطباً، واستدر الرّحا بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنّك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك ممّا بين يديك أنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشدّ لكلبهم عليك، وطمعهم فيك». الخطبة ١٤٦ نهج البلاغة.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المسعودي عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤١٤ هـ) ج٢ ص٣٢٤.

(٤) ابن واضح، أحمد بن أبي يعقوب نفس المصدر ص١٥٥.

(٥) المسعودي عليّ بن الحسين، نفس المصدر ص٤٠١.

عسكرياً رفيعاً على عهد الخلفاء الثلاثة وهو الذي فتح اقليم آذربيجان في سنة (٢٢ هـ)[١]، وعثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان اللّذين بعثهما عمر بن الخطاب في مهمة وضع قياسات للأراضي العراقية[٢].

وكان عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ـ من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام وقد استشهد ابنه في معركة الجمل[٣] ـ من طليعة القادة العسكريين وعلى يديه تمّ فتح إصفهان وهمدان[٤] وهكذا بالنسبة لشخصيات أخرى من قبيل جرير بن عبدالله البجلي[٥] وقرظة بن كعب الأنصاري(٦).

وهم من رجال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في خلافته، وكان لهم في عهود الخلفاء الثلاثة مناصب إدارية وعسكرية، فجرير فتح منطقة الكوفة[٧] وكان على عهد عثمان حاكماً على همدان[٨]، أما قرظة بن كعب فقد فتح الريّ في عهد عمر بن الخطاب[٩].

إظهار التشيّع (في عهد وخلافة عليّ عليه السلام)

---

(١) ابن واضح أحمد بن أبي يعقوب، نفس المصدر ص١٥٦.

(٢) نفس المصدر ص١٥٢.

(٣) الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان، الجمل، مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر، قم (١٤١٦هـ) ص٣٤٢.

(٤) ابن واضح أحمد بن أبي يعقوب، نفس المصدر ص١٥٧.

(٥) البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت (١٣٩٤ هـ) ج٢ ص٢٧٥.

(٦) ابن الأثير، عز الدين عليّ بن أبي الكرم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج٤ ص٢٠٢.

(٧) ابن واضح، أحمد بن أبي يعقوب، المصدر نفسه، ص١٤٣.

(٨) ابن قتيبة، أحمد بن عبدالله بن مسلم، المعارف، منشورات الشريف الرضي (١٤١٥ هـ) ص٥٨٦.

(٩) ابن واضح، أحمد بن أبي يعقوب، المصدر نفسه ص١٥٧.

بالرغم من أنّ التشيّع كان ظاهرة معروفة في عهد النبيّ ﷺ الا إنّ إظهاره جاء بعد مصرع عثمان وخلافة الإمام عليّ، ففي تلك الفترة حدث الاصطفاف وأعلن التشيّع عن نفسه جِهاراً وأمام الجميع، فالشيخ المفيد يروي أنّ جماعة جاءت إلى الإمام عليّ وقالوا[1]: «... نحن شيعتك يا أميرالمؤمنين، فتفرّس في وجوههم، ثمّ قال عليه السلام: فما لي لا أرى عليكم سيماء الشيعة؟ قالوا: وما سيماء الشيعة يا أميرالمؤمنين؟ فقال: صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من البكاء، حدب الظهور من القيام، خمص البطون من الصيام، ذُبل الشفاه من الدعاء عليهم غبرة الخاشعين».

وهكذا بالنسبة للشعر الذي أُنشد في خلافة وزمن الإمام عليّ عليه السلام والذي يشهد بحقّه ووصيته وخلافته بعد النبيّ ﷺ كقول قيس بن سعد:

وعلـــي إمامنـــا وإمـــام ... لـــسوانا أتـــى بـــه التنزيـــل[2]

وكذا ما أنشده خزيمة بن ثابت المعروف بـ«ذي الشهادتين»:

فـــديت عليّـــاً إمـــام الـــورى ... ســـراج البريّـــة مـــأوى التّقـــى

وصـــيّ الرســـول وزوج البتـــول ... إمـــام البريّـــة شـــمس الـــضحى

تـــصدّق خاتمـــه راكعـــاً ... فأحـــسن بفعـــل إمـــام الـــورى

ففـــضّله الله ربّ العبـــاد ... وأنـــزل فـــي شـــأنه هـــل أتـــى[3]

ونرى أنّ بعض الشيعة يعلنون أنّهم على دين عليّ كما جاء في شعر عمّار بن ياسر في حرب الجمل ولدى مواجهته لشخص يدعى عمرو بن اليثربي من

---

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد، ترجمة الشيخ محمّد باقر الساعدي الخراساني، (كتاب فروشى) المكتبة الإسلاميّة (١٣٧٦ هـ. ش) ج١ ص٢٣٧، آل البيت ١٤١٣ هـ.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، مؤسسة انتشارات علاّمة قم، ج٣ ص٢٨.

(٣) المصدر السابق ص٦.

معسكر الجمل:

لا تبــرح العرصــة يــابن اليثربــي حتــى أقاتلــك علــى ديــن علــيّ

نحن وبيت الله أولى بالنبيّ[1]

وحتى خصوم وأعداء الشيعة استخدموا هذه المفردات في تصريحاتهم من قبيل ما قاله عمرو ابن اليثربي الذي سبقت الإشارة إليه، فلقد كان يفخر بقتله أنصار عليّ كقوله:

إن تنكرونــي فأنــا ابــن اليثربــي قاتــل عليــاء وهنــد الجمــلِ

ثمّ ابن صوحان على دين عليّ[2]

٢ ـ الشيعة في زمن بني أميّة

كانت حقبة الحكم الأموي من أصعب وأقسى المراحل التاريخية التي مرّ بها الشيعة والتي بدأت بعد سنة (٤٠ هـ) وامتدت حتى سنة (١٣٢ هـ)، فلقد أعلن خلفاء بني أُميّة باستثناء عمر بن عبدالعزيز الحرب والعداء السافر للشيعة. بالرغم من أنّ بني أُميّة كانوا ما بعد فترة هشام بن عبدالملك منصرفين إلى معالجة القلاقل الداخلية وتحركات العبّاسيين، ممّا أدّى إلى تراجع سياسة التشدّد والقسوة إزاء الشيعة. فالخلفاء الأُمويون في الشام (مركز بني أُميّة وحصنهم) كانوا يعتمدون في إدارة الأقاليم والمناطق الشيعة على حكّام دمويّين، وكان الحكّام المنتخبين لحكم مناطق الشيعة عادة ما يكونوا من ألدّ أعداء الشيعة فكانوا لا يألوا جهداً في التضييق عليهم وإذلالهم، ومن بين أُولئك الحكّام الطغاة يبرز زياد بن أبيه، عبيدالله بن زياد والحجّاج بن يوسف الثقفي الذين فاقوا

---

(١) الشيخ المفيد، الجمل، مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر، قم (١٤١٦ هـ) ص٣٤٦.

(٢) المصدر السابق.

بوحشيتهم الجميع، يقول ابن أبي الحديد العالم المعتزلي المعروف: «.. فقتلت شيعتنا بكل بلد وقُطّعت الأيدي، والأرجل على الظنّة، وكان مَن يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سُجن أو نُهب ماله أو هُدّمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد... حتى أنّ الرجل ليُقال له: زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال: شيعة عليّ... وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة مَن بها من شيعة عليّ عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سُمية وضم إليه البصرة فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنّه كان منهم أيّام عليّ عليه السلام قتلهم تحت كلّ حجر ومدر وأخافهم وقطّع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشرّدهم عن العراق فلم يبقَ بها معروف منهم...»[1].

ويقول أبوالفرج عبدالرّحمن بن علي الجوزي في هذا المضمار[2]: «فخُصب وهو على المنبر، فدعا قوماً من خاصته فأمرهم أن يأخذوا بأبواب المسجد... ومَن لم يحلف حبسه حتى صاروا إلى ثلاثين وقيل: ثمانين فقطع أيديهم على المكان واتّخذه مقصورة، وكان يجمع الناس بالمسجد ويدعوهم إلى أنّ يتبرّوا من عليّ عليه السلام، ومن يمتنع عن ذلك يهدم داره...».

وكان زياد ابن أبيه يحكم كلاً من الكوفة والبصرة بالتناوب ستة أشهر هنا وستة أشهر هناك، وقد استخلف على حكم البصرة سمرة بن جندب الذي قام بقتل ثمانية آلاف (٨٠٠٠) نسمة من أهلها حتى أنّ زياد خاطبه قائلاً[3]:

«... لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت...».

---

(١) ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (١٩٦١م) ج١١ ص٤٣ ـ ٤٥.

(٢) ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن عليّ. المنتظم في الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى (١٤١٢ هـ) ج٥ ص٢٢٧.

(٣) الطبري، محمّد بن جرير تاريخ الأمم والملوك، دار القاموس الحديث، بيروت ج٦ ص١٣٢.

ويقول أبو سوار العدوي[1]:

«قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً قد جمع القرآن...».

وكان معاوية بن أبي سفيان قد عمّم أوامره إلى كلّ حكّام الأقاليم وقادته العسكريين في عدم قبول شهادة من يثبت تشيّعه لعليّ عليه السلام، كما جاء ذلك في إحدى رسائله.

وجاء في رسالة أخرى له: «... انظروا مَن قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته فأمحوه من الديوان، واسقطوا عطاءه ورزقه...»[2].

وبعدما قام الحجّاج بن يوسف الثقفي بسحق المقاومة في مكّة والمدينة في سنة (٧٥ هـ) وفرض بيعة عبدالملك بن مروان على الجميع انتدب لحكم العراق مركز الشيعة الكبير، فاتجه إلى مدينة الكوفة بعد أن دخلها ملثّماً لا يعرف هويته أحد، وشقّ طريقه إلى المسجد الجامع في الكوفة ليعتلي المنبر، ثمّ يجلس ساكتاً مدّة طويلة، وارتفعت همهمة النّاس ترى مَن يكون هذا الرجل، وقال بعضهم: لرجمه، فيما قال آخرون: دعونا نعرف مَن يكون؟! حتى إذا سكت الجميع حينئذ ازاح الحجّاج عن وجهه اللثام وبدأ خطبته المليئة بالتهديد والوعيد ورائحة الدم[3]:

«... يا أهل الكوفة... فإنّكم لطالما أوضعتم في الفتن وسننتم سنن الغيّ... وأنّي لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإنّي لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللّحى... والله لتستقيمنّ على سُبل الحقّ...».

---

(١) المصدر السابق ج٦ ص١٣٢.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ج١١ ص٤٥.

(٣) الزبير بن بكّار، أخبار الموفقيات، منشورات الشريف الرضي، حتى نهاية العهد الأموي مركز النشر الجامعي، طهران (١٣٦٣ هـ. ش) ص١٨٤ و پيشوائي، مهدى، سير پيشوايان، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام قم، ط الثامنة (١٣٧٨ هـ. ش) ص٢٤٦.

وقد عمّ الرعب والخوف ربوع العراق بعد أن قتل الآلاف من الشيعة ومن كبار الشخصيات المعروفة، يقول المسعودي في جرائم الحجّاج[1]: «.. وكان تأمّره على الناس عشرين سنة وأُحصي مَن قتله صبراً سوى مَن قتل في عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفاً ومات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف إمرأة منهنّ ستة عشر ألفاً باكراً وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد ولم يكن في الحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف ولا من المطر والبرد في الشتاء وكان له غير ذلك من العذاب...».

وعندما توفي الحجّاج وجد في سجنه الرهيب خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة كان ستّة عشر ألف منهم عُراة ليس عليهم من الثياب ما يسترهم، وكان الحجّاج يسجن الجميع نساءً ورجالاً في مكان واحد، وسجن الحجّاج يختلف عن غيره من السجون بعدم وجود سقف يقيهم حرّ القيظ اللاهب وبرد الشتاء القارس والمطر[2]، وكان الشيعة عادة ما يتعرضون للتعذيب والقتل ولعلّ أبرز وثيقة تعكس ما تعرض له الشيعة من أوضاع مؤسفة هي شكوى أحدهم للإمام السجاد عليه السلام يقول المرحوم المجلسي[3]: «... اشتكت الشيعة إلى زين العابدين عليه السلام وقالوا: يا ابن رسول الله أجلونا عن البلدان وأفنونا بالقتل الذريع، وقد أعلنوا لعن أميرالمؤمنين عليه السلام في البلدان وفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى منبره، ولا ينكر عليهم منكر، ولا يُغير عليهم مغيّر فإن أنكر واحد منّا على لعنه قالوا: هذا ترابي ورفع ذلك إلى سلطانهم وكتب إليه إنّ هذا ذكر أبا تراب بخير حتى ضُرب وحُبس ثمّ قتل...».

---

(١) مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤١١ هـ) ج٣ ص١٨٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) بحار الأنوار ج٤٦ ص٢٧٥.

خلاصة الدرس التاسع

كان الشيعة بعد السقيفة يرجعون في مشكلاتهم الفقهية والعلمية والعقيدية إلى الأئمة الأطهار من آل البيتعليهم السلام بالرغم من تعاون البعض منهم مع أجهزة الحكم في كلّ الخلفاء فيما الغالبية تعاني من الإقصاء والحرمان.

وفي خلافة الإمام عليّعليه السلام نجد الشيعة يظهرون عقيدتهم بشكل علني.

ويعدّ العهد الأُموي من أصعب الحقب الزمنية وأقساها على الشيعة، فقد كان خلفاء بني أُميَّة جميعاً باستثناء عمر بن عبدالعزيز يصبّون العذاب على شيعة أهل البيتعليهم السلام ويمارسون شتى صنوف الاضطهاد بحقّهم وعادة ما ينتخب لحكم الأقاليم والمناطق الشيعية حكّام دمويون.

* * *

أسئلة الدرس التاسع

١ ـ ماهي خصائص الشيعة في زمن الخلفاء الأوّل؟

٢ ـ ماهي الخصيصة التي طبت مسار الشيعة في عهد الإمام عليّعليه السلاموخلافته؟

٣ ـ تحدّث بإيجاز عن ظروف الشيعة في العصر الأُموي.

الدرس العاشر

انتشار التشيّع في عصر بني أميّة

بالرغم من أجواء القهر والاضطهاد التي عانى منها الشيعة في عهد الأُمويين الا إنّ التشيّع كان في حالة انتشار وتمدّد؛ ذلك أنّ مظلومية آل البيت جعلت منهم قضية عادلة ما أفضى إلى تأجّج العواطف الإنسانية تجاههم، وكانت نسبة الشيعة في حالة تنامي، وسنجد هذه الظاهرة واضحة تماماً في نهاية العهد الأُموي ومن هنا يمكن تقسيم تلك الحقبة التاريخية من مسار الشيعة إلى ثلاثة أقسام:

أ: من سنة (٤٠ هـ) وحتى سنة (٦١ هـ) وهي مرحلة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

ب: من سنة (٦١ هـ) إلى حوالي سنة (١١٠ هـ) وهي مرحلة الإمامين السجاد والباقر عليهما السلام.

ج: من سنة (١١٠ هـ) وحتى سنة (١٣٢ هـ) أي إلى نهاية الحكم الأُمويّ وهي مرحلة الإمام الصادق عليه السلام.

أ: مرحلة الإمام الحسن والحسين عليهما السلام

منذ عهد الإمام عليّ عليه السلام اتّخذ الشيعة شكلاً من أشكال التجمّع السياسي وكان هناك كيان واضح ومميز ومن هنا نجد في وثيقة الصلح بنداً يشترط فيه الإمام الحسن على معاوية عدم المساس بأمن شيعة والده ولا يتعرّض لهم أو يلاحقهم[1].

وكان الشيعة في حالة تمرّن حول مفهوم طاعة الإمام التي لا ترتبط بوجود

---

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، مؤسسة انتشارات علاّمة، قم، ج٤ ص٣٣.

الإمام في مركز القرار السياسي والحكم وأنّ معاوية لا يمكن أن يكون إماماً مفترض الطاعة وهذا ما نلاحظه في الخطبة التي أعقبت توقيع معاهدة السلام والتي أصرّ معاوية فيها على الإمام الحسن في إبقائها إذ جاء فيها[١]: «إنّما الخليفة مَن سار بكتاب الله، وسنّة نبيه ﷺ وليس الخليفة مَن سار بالجور، ذلك مَلك مَلك مُلكاً يُمتّع به قليلاً ثمّ تنقطع لذّته وتبقى تبعته...».

ومن خصائص المجتمع الشيعي في ذلك المقطع التاريخي هي حالة التضامن والاتحاد الذي ينطلق من موقع قادة الشيعة. إذ أنّنا لا نجد أبداً أي تصدّع في الكيان الشيعي حتى اسشتهاد الإمام الحسين عليه السلام، فلقد كان الحسنان عليهما السلام يتمتعان بموقع فريد لدى الأُمّة الإسلاميّة وهو موقع لم يحظَ به أي إمام آخر من أهل البيت عليهم السلام، فهما سبطا رسول الله ﷺ، لذا نجد أميرالمؤمنين عليه السلام يهتف في حرب صفّين عندما رأى سبط النبيّ ﷺ الحسن عليه السلام يسرع نحو القتال[٢]:

«املكوا عنّي الغلام لا يُهدّني، فانّني أنفس بهذين - يعني الحسن والحسين عليهما السلام - على الموت لئلاً ينقطع بهم انسل رسول الله ﷺ».

ولقد كان الحسنان عليه السلام ينفردان بمنزلة خاصة لدى حماية النبيّ ﷺ وهذا ما يتّضح بشكل جليّ في مبايعة الناس للإمام الحسن عليه السلام إذ نجد حالة من الإجماع الكامل حول ذلك أنّه ولم يسجل التاريخ ثمّة اعتراض، ولهذا فإنّنا لا نجد أيّة مشكلة في خلافة الإمام الحسن سوى في أطراف الشام، وعندما آلت الأُمور إلى تنازل الإمام الحسن عليه السلام عن الخلافة وعزمه السفر من الكوفة إلى المدينة تدفقت الجموع إلى شوارع الكوفة وهي تبكي وتذرف الدموع، كما نجد تقريراً

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الشرضي، قم (١٤١٦ هـ) ص٨٠ الأعلمي بيروت ١٤٠٨ هـ.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة خ ٢٠٧ ص٤٠٦ د. صبحي الصالح، دار الهجرة قم ١٤١٩ هـ.

يرفعه أحد القرشيين إلى معاوية يعكس موضع الإمام الحسن عليه السلام ومنزلته بين الناس؛ يقول التقرير:

فالإمام الحسن يصلّي الصبح في المسجد ويجلس على سجادته حتى شروق الشمس ثمّ يستند إلى اسطوانة في المسجد فكل مَن يأتي يجلس عنده ويحدّثه إلى أن ترتفع الشمس فيصلّي ركعتين ثمّ ينهض ثمّ يزور زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله ويتفقّدهنّ ثمّ يذهب إلى منزله»[1].

وهكذا بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام فقد كان يتمتع بذات المنزلة التي انفرد بها أخوه وشقيقه، ولهذا فإنّنا نجد شخصية حاقدة على آل البيت عليهم السلام مثل شخصية عبدالله بن الزبير لا يمكنها إنكار مكانة الإمام الحسين عليه السلام التي غطّت تماماً على شخصية ابن الزبير في مكّة يوم وصلها الإمام عليه السلام ولهذا كان يتوق جداً إلى أن يغادر الإمام الحسين مكّة في أسرع وقت ولهذا نراه يقول للإمام[2]:

«... أما لو أنّ لي بها مثل أنصارك ما عدلت عنها...».

هذا الموقع الفريد للإمام الذي وضع حكم يزيد في حالة إحراج وقلق بسبب رفض الإمام الحسين لبيعة يزيد. ولهذا نرى إصرارا من أجهزة الحكم على أخذ البيعة من الإمام بأي شكل من الأشكال.

وللسبطين الحسن والحسن موقع رفيع جداً لدى بني هاشم بحيث لا نرى أيّة شخصية تحاول تزعّم بني هاشم، وقد حاول معاوية إيجاد انشقاق داخل هذه الأُسرة فعندما وصله نبأ اشتهاد الإمام الحسن اثر دسّه السم إليه قال لابن عبّاس وكان في مجلسه[3]: «.. يا ابن عباس لقد تُوفي الحسن وأصبحت كبير بني

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، دار التعارف للمطبوعات، بيروت (١٣٩٤ هـ) ج٣ ص٢١.

(٢) ابن عبد ربّه الأندلسي أحمد بن محمّد، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٠٩ هـ) ج٤ ص٣٦٦، مروج الذهب ج٣ ص٦٧ دار الفكر بيروت ١٤٢١ هـ.

(٣) المسعودي عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤١١هـ) ج٣ ص٩.

هاشم... فقال ابن عبّاس: لا، مازال الحسين فينا».

وما يتمتع به ابن عبّاس من موقع علمي وسياسي فهو حبر الأُمّة ومفسّر القرآن إضافة إلى آنّه كان أكبر سنّاً من الإمامين الحسن والحسين الا آنّه لم يكن يرى نفسه زعيماً لبني هاشم في وجودهما يقول مبارك بن أبي زياد[1]:

«قلت لابن عبّاس: وقد أمسك للحسن والحسين بالركاب وسوّى عليهما أنت أسن منهما تمسك لهما بالركاب فقال: يالكع وما تدري من هذا؟ هذان ابنا رسول الله أوليس ممّا أنعم الله به عليّ أن أمسك لهما وأسوّي عليهما».

تأثير النهضة الكربلائية في تنامي التشيّع

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء عمّ الكيان الشيعي لفقده قاعدة قويّة يستند إليها، ولهذا شعروا باليأس من أيّة حركة مسلحة لمواجهة العدو، ولهذا فقد كانت مأساة عاشوراء ضربة ماحقة واجهت مسار التشيّع وحركته، فقد عمّ الرعب في ربوع العالم الإسلامي بعد تناقل خبر المأساة خاصّة في العراق والحجاز وأصيبت الأوساط الشيعية بصدمة مروّعة إذ ثبت للجميع أنّ يزيد على استعداد تام لارتكاب أكبر الجرائم وأبشعها من أجل تثبيت دعائم حكمه بعد أن أقدم على قتل سبط النبيّ صلى الله عليه وآله وسبي عياله.

وقد ظهرت ملامح الرعب في الكوفة والمدينة المنوّرة خاصّة بعد مذبحة الحرّة واستباحة مدينة النبيّ صلى الله عليه وآله من قبل جيش يزيد، وهكذا عمّ الخوف والاضطهاد وسادت أجواء القهر والقمع في العراق والحجاز وبخاصّة المناطق التي يتركّز فيها الشيعة من قبيل الكوفة والمدينة، وشهد الكيان الشيعي حالة رهيبة من التمزق والتصدّع والانهيار، يقول الإمام الصادق عليه السلام حول تلك الظروف:

---

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب مؤسسة انتشارات علاّمة قم، ج٣ ص٤٠٠.

«ارتد الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلا ثلاثة أبو خالد الكابلي، ويحيى بن أُمّ الطويل، وجبير بن مطعم، ثمّ إنّ الناس لحقوا وكثروا»[١].

ويقول المسعودي المؤرخ في وصف تلك الفترة الزمنية:

«وقام أبو محمّد عليّ بن الحسين عليه السلام بالأمر مستخفياً على تقية شديدة في زمان صعب...»[٢].

واستمر هذا الوضع حتى نهاية حكم يزيد ثمّ بدأت النهضات الشيعية بالتنامي والانشار إلى أن استقرّت حكومة عبدالملك وخلافته وكانت هذه الفترة الزمنية فرصة طيّبة لنشر مبادئ التشيّع.

إنّ في طليعة ما أسفرت عنه النهضة الكربلائية في عاشوراء هو القضاء التام على مشروعية الحكم الأُموي لدى الرأي العام، وفقد مركز الخليفة كل درجات الاحترام ولم يعد يتمتع بتلك القداسة التي تمتع بها فيما مضى، فهذا شاعر يخاطب قبر يزيد قائلاً:

أيّهـــا القبـــر بحوارينـــا[٣] قد ضمنت شرّ الناس أجمعينا[٤]

وباستثناء إقليم الشام فقد بدا الرأي العام سواء كان سنياً أو شيعيّاً معارضاً لحكومة الأُمويين واتسع نطاق الحركات المسلحة الشيعية والسنيّة ، يقول اليعقوبي المؤرخ:

«وكان عبدالملك قد كتب إلى الحجّاج وهو على الحجاز: جنّبني دماء آل

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، قم (١٤٠٤ هـ) ج١ ص٣٣٨.

(٢) إثبات الوصية، المطبعة الحيدرية، النجف ط ٤، (١٣٧٣ هـ) ص١٦٧.

(٣) حوارين: مدينة في الشام.

(٤) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط الأولى (١٤١١هـ) ج٣ ص٦٥.

بني أبي طالب، فإنّي رأيت آل حرب لمّا تهجموا بها لم يُنصروا»[(١)].

وأخيراً انتصرت دماء الحسين الشهيد ودمّرت قصور الأمويين يقول المقدسي فقد غضب الله على بني أُميَّة بسبب الظلم الذي صبّوه على آل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله فتجمعت العساكر في خراسان كقطع الليل وانقضت عليهم»[(٢)].

ومن جانب آخر كانت لقضية الإمام الحسين العادلة والمأساة التي حلّت به الدور الأكبر في ترسيخ مودّة أهل البيت في قلوب الناس الذين راحوا ينظرون إليهم باعتبارهم ذرية النبيّ صلى الله عليه وآله ومراجع الدين.

إنّ أكثر الثورات الشيعية قامت باسم الحسين الشهيد عليه السلام ومن أجل الثأر له وأصبح شعار: «يا لثارات الحسين» هو شعار الحركات المسلحة للشيعة حتى تلك الثورات التي يقوم بها أشخاص من قبيل ثورة ابن الأشعث في إقليم «سيستان» شرق إيران[(٣)].

---

(١) المصدر السابق ج٢ ص ٢٣٠ الأعلمي بيروت ١٤١٣ هـ.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ترجمة منزوي، شركة المؤلفين والمترجمين في إيران، ج٢ ص٤٢٦ ـ ٤٢٧.

(٣) عيّن عبدالرحمن من قبل الحجّاج حاكماً على إقليم «سيستان» على الحدود مع الهند، وقد حدثت اشتباكات مع الهنود حيث كان الحجّاج يهدف من وراء ذلك إلى إبعاد الجيش العراقي وقيادته عن العراق، وقد انتبه عبدالرحمن بن محمّد بن الأشعث إلى خطط الحجّاج فاعلن الثورة سنة (٨٢ هـ)، وبسبب الاستياء العام من سياسة الحجّاج فقد امتدّ لهيب الثورة التي عرفت بثورة القرّاء إلى البصرة والكوفة وكان في طليعة الذين التحقوا بصفوف الثائرين قرّاء القرآن الكريم، وهكذا زحفت قوات الثورة من سيستان صوب العراق وكان عبدالرحمن يهدف إلى الإطاحة بحكم الحجّاج فقط إلا أنّ حماس الثائرين وغضبهم من الحكم الأمويّ دفعهم إلى خلع عبدالملك بن مروان وقد شعر الأخير بالخطر عندما ألحق الثائرون الهزيمة بجيوش الحجّاج ووصلت طلائع الثائرين إلى الكوفة، فأرسل عبدالملك جيشاً قوياً من الشام لتعزيز قوات الحجّاج وحدثت المعركة في منطقة «دير الجماجم» على بعد أميال من الكوفة وأسفرت الاشتباكات والمعارك الضارية عن هزيمة ابن الأشعث الذي فرّ نحو الهند وطلب اللجوء لدى أحد الأُمراء هناك، ولكن عملاء الحجّاج ظلّوا يلاحقوه إلى أن تمكّنوا من اغتياله. (المسعودي المصدر السابق ج٣ ص١٤٨، وياقوت الحموي،

هذه الثورة التي جيّرت باسم الحسن المثنى (نجل الإمام الحسن السبط عليه السلام)[1] ذلك أنّ أحاديثاً حول الإمام المهدي الذي سيأخذ بثأر آل محمّد قد انتشرت في تلك الفترة العاصفة[2] وكان الناس في حالة ترقّب وانتظار للحظة الانتقام من بني أميّة[3] وبسبب مرارة المعاناة وقسوة الظروف فقد كان الناس ينظرون إلى بعض رموز الثورات على أنها الإمام المهدي[4].

من جهة أخرى سعى أهل البيت عليهم السلام وتحديداً الإمام السجّاد عليه السلام إلى ترسيخ مشاهد مأساة كربلاء في ضمير الرأي العام فقد كان لا يشرب ماءً حتى يبكي ويذرف الدموع وعندما يُسأل عن سبب ذلك كان يقول(٥): «... وكيف لا أبكي؟ وقد منع أبي الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش. وقال له مولى له: أما آن لحزنك أن ينقضي؟! فقال له: ويحك إنّ يعقوب النبيّ عليه السلام كان له اثنا عشر ابناً فغيّب الله واحداً منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه واحدودب ظهره من الغمّ وكان ابنه حياً وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمّي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني».

وكان الإمام الصادق عليه السلام يشجّع الشعراء ويوجّه حركة الأدب باتجاه رثاء

شهاب الدين أبوعبدالله، معجم البلدان دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى (١٤١٧ هـ) ج٤ ص٣٣٨.

(١) ابن عنبه، عمدة الطالب في أنساب أبي طالب، منشورات الشريف الرضي، قم، ص١٠٠.

(٢) أبوالفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم ط الثانية (١٤١٦ هـ) ص ٢١٦.

(٣) يقول اليعقوبي: «وأتاه أبوالطفيل عامر بن واثلة وكان من أصحاب عليّ، فقال له: يا أميرالمؤمنين! لم منعتم عطائي؟ قال له: بلغني أنّك صقلت سيفك وشحذت سنانك ونصّلت سهمك وغلّفت قوسك تنتظر الإمام القائم حتى يخرج فإذا خرج وفّاك عطاءك. فقال: إنّ الله سائلك عن هذا فاستحيا عمر من هذا وأعطاه». (تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص٢٣٤، الأعلمي بيروت ١٤١٣ هـ.

(٤) أبو الفرج الإصفهاني، المصدر السابق ص٢١٠.

(٥) العلاّمة المجلسي، بحار الأنوار، المكتبة الإسلاميّة، طهران، ط الثانية (١٣٩٤ هـ) ج٤٦، ص١٠٨.

سيّد الشهداء الحسينعليه السلام يقول عليه السلام[١]: «... ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلاّ أوجب الله له الجنّة وغفر له».

وهكذا أصبح الإمام الحسين رمزاً للتشيّع ومن هنا نفهم جانباً من سياسة المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ) الذي أقدم على تدمير مرقد الإمام الحسين ومنع زيارته[٢].

خلاصة الدرس العاشر

اتّخذ الشيعة منذ عهد الإمام عليّعليه السلام وخلافته شكل التجمّع السياسي وأصبح الكيان الشيعي واضحاً ومميّزاً من جهة أُخرى، وتمتّع هذا الكيان بسبب موقع الإمامين الحسن والحسينعليهما السلام بالتوحّد والتضامن ولم يشهد أي شكل من أشكال التصدّع.

بعد استشهاد الإمام الحسينعليه السلام، فقد الشيعة أهم قاعدة لهم وسيطرت حالة الخوف ولهذا نجد عدداً ضئيلاً يقف إلى جانب الإمام السجادعليه السلام، لكن الأمر سرعان ما تغيّر بعد وفاة يزيد، استطاعت النهضة الكربلائية بما تضمنته من زخم المأساة أن تسحب الشرعية عن الحكم الأُموي، ولم يعد مركز الخلافة يحظى بالقداسة ليصل أسوأ درجات الانحطاط فيما زادت هذه النهضة من رسوخ حبّ ومودّة أهل البيتعليهم السلام في قلوب الناس.



(١) الشيخ الطوسي، أبو جعفر، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) مؤسسة آل البيتعليهم السلام، قم (١٤٠٤هـ) ج٢ ص٥٧٤.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية (١٤٠٨ هـ) ج٥ ص٣١٢.

أسئلة الدرس العاشر

١ ـ ماهي مراحل اتّساع التشيّع في العصر الأُموي؟

٢ ـ ماهي الخصيصة التي تمتّع بها الشيعة في عهد الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام؟

٣ ـ ماهي تأثيرات النهضة الكربلائية في تنامي التشيّع؟

الدرس الحادي عشر

ب: عصر الإمام السجاد عليه السلام

يمكن تقسيم حياة الإمام السجاد إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: تبدأ بعد شهادة الإمام الحسين، وزعزعة الحكم الأموي وبالتالي نهاية الحكم السفياني وصعود المروانيين والصراع الذي احتدم بين الأمويين ومواجهتهم للثورات والحركات المسلحة واستقرار الحكم المرواني.

المرحلة الثانية: وتبدأ من حكومة الحجّاج وهزيمة عبدالله بن الزبير[1]

---

(١) بدأ حكم عبدالله بن الزبير في مكّة بعد وفاة معاوية وإعلانه عدم البيعة ليزيد سنة (٦٠ هـ) حيث دعا الناس إلى نفسه واستمر في ذلك حتى مصرعه في المعارك التي دارت في مكّة سنة (٧٢ هـ) عندما حاصرته جيوش الحجّاج وقد استمرت حكومة عبدالله بن الزبير ١٢ سنة، وقد عبّر ابن عبد ربّه في كتابه «العقد الفريد» من هذه الفترة بـ«فتنة ابن الزبير» ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

«بعد موت معاوية، طلب حاكم المدينة البيعة من ابن الزبير ليزيد، ولأجل أن لا يُبايع يزيد خرج والحسين عليه السلام إلى مكّة... وكان ثقيلاً عليه دخول الحسين عليه السلام لكونه أجل منه وأطوع في الناس فلا يُبايع له مادام الحسين فيها.... وقال للإمام عليه السلام: وفقّك الله! أما لو أن لي بها مثل أنصارك ما عدلت عنها «أي الكوفة»... بعد شهادة الإمام الحسين أظهر الدعوة لنفسه... وفي عام ٦٢ هجري كما فعل أهل المدينة إلى يزيد فسيّر إليهم بالجيوش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المرّي، ثمّ خرج إلى الحرّة وبعدها اتجه إلى مكّة وفي الطريق وافته المنية واستخلف على الجيش الحصين بن نمير ونصّب عام ٦٤ هجري فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على مكّة والمسجد من الجبال والفجاج فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت ورُمي مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات وانهدمت الكعبة واحترقت البنية وخلال المعركة وصل نبأ هلاك يزيد إلى مكّة. نمي ذلك إلى الحصين بن نمير ومَن معه في جيش الشام وهو على حرب ابن الزبير، فهادنوا ابن الزبير، ونزلوا مكّة فلقي الحصين عبدالله في المسجد فقال له: هل لك يا ابن الزبير أن أحملك إلى الشام وأبايع لك بالخلافة؟ فقال عبدالله... أبعد قتل أهل الحرّة «والله... وبعد هلاك يزيد بايعت سائر الأمصار الإسلاميّة ابن الزبير ماعدا الأردن خليفة للمسلمين وبايع بنو أميّة مروان في الجابيه.. وكان مروان أوّل مَن أخذها بالسيف كرهاً... وبعده وُلّي الأمر ابنه عبدالملك وبعد أن تغلّب على مصعب بن الزبير

إلى بدء الحركة العباسية .

في عهد الإمام الباقر عليه السلام

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام واجه الأمويون صراعاً داخلياً نشب بين البيت السفياني والبيت المرواني هذا من جهة، ومن جهة أخرى وجدوا أنفسهم في مواجهة الثورات في العراق والحجاز، ولم تستمر حكومة يزيد إذ سرعان ما انهارت بعد مصرعه في ظروف غامضة وذلك سنة (٦٤ هـ)[١] .

وبعد هلاك يزيد جاء إلى الحكم معاوية الثاني الذي لم يستمر في موقعه أكثر من أربعين يوماً إذ أعلن استقالته ثمّ أُعلن عن وفاته بعد ذلك بفترة قصيرة[٢] .

وقد أعقب وفاته انفجار الصراع داخل البيت الأمويّ حيث استعرت حمى التنافس حول الزعامة والرئاسة، وقد وصف المسعودي ذلك المقطع التاريخي قائلاً:

«ومعاوية بن يزيد قبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ودُفن بدمشق وصلّى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ليكون الأمر له من بعده فلمّا كبر الثانية طُعن فسقط ميتاً قبل تمام الصلاة فقُدم عثمان بن عتبة بن أبي سفيان قالوا: نبايعك؟ قال: على أن لا أحارب ولا أباشر قتالاً، فأبوْا ذلك عليه فصار إلى مكّة ودخل في جملة ابن الزبير»[٣] .

لم تمض سوى ثلاثة أعوام على استشهاد الإمام الحسين في كربلاء حتى

أخو بن الزبير أرسل الحجّاج بن يوسف الثقفي من العراق على رأس جيش كبير إلى مكّة لقتال عبدالله بن الزبير فحاصر ابن الزبير فيها مدة ورمى الكعبة بالمنجنيق من جبل أبي قبيس... وهرب أتباع عبدالله بن الزبير وتركوه يُقاتل لوحده حتى قُتل وبعد ١٢ سنة انتهت ثورة ابن الزبير...».

(١) ابن واضح، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي قم، (١٤١٤ هـ) ج٢ ص٢٥٢.

(٢) المصدر السابق ص٢٥٦.

(٣) مروج الذهب ج٣ ص٨٣ ـ ٨٤ دار الفكر بيروت ١٤٢١ هـ .

إنهار الحكم السفياني، ونجد أثر ذلك تحولاً أساسياً لدى قناعات العديد من الزعامات السياسية والقبلية على امتداد رقعة العالم الإسلامي التي بدأت تتجه في الغالب نحو ابن الزبير كما هو الحال لدى الضحّاك بن قيس والنعمان بن بشير وخلال ذلك قام ابن الزبير بطرد الأُمويين من المدينة المنوّرة وفي طليعتهم مروان بن الحكم، فاتجهوا نحو الشام، وبسبب الفراغ السياسي في دمشق، انتخب الأُمويون مروان بن الحكم خليفة، وقد حدث ذلك في منطقة تدعى «الجابية» كما تم انتخاب خالد بن يزيد وبعده عمرو بن سعيد الأشدق لولاية العهد.

ولم تمض سوى فترة قصيرة جداً حتى قام مروان بإقالة خالد بن يزيد من ولاية العهد وانتخب ابنه عبدالملك، وأثر هذه الخطوة قامت أم خالد التي تزوّج بها مروان بدس السمّ إليه، فيما قام عبدالملك بالتخلص من عمرو بن سعيد الأشدق وانتخاب أولاده لولاية العهد[١].

وفي هذه الفترة احتدمت الثورات التي واجهت الحكم الأُمويّ والتي يمكن تقسيمها إلى قسمين:

الأوّل: الثورات غير الشيعية، من قبيل: ثورة الحرّة في المدينة المنوّرة وثورة ابن الزبير وثورة الأخير معروفة المضمون من خلال شخصية قائد الثورة فهو معروف بعدائه الشديد لآل البيت عليهم السلام، وهو يحمل أحقاداً دفينة منذ حرب الجمل، وما آلت إليه تلك الواقعة، أمّا شقيقه مصعب فله ميول شيعية، وقد تزوّج من السيّدة سكينة[٢]، ولهذا فقد زحف بجيشه إلى العراق لمواجهة الجيوش الأُموية القادمة لاستعادة العراق، ولعلّ وقوف القائد العسكري إبراهيم بن مالك الأشتر بعد نهاية ثورة المختار إلى جانبه جاء وفقاً لذلك حيث قتل في المعارك

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن قتيبة أبو محمّد عبدالله بن مسلم، المعارف، منشورات الشريف الرضي، قم، ط الأولى (١٤١٥ هـ) ص٢١٤.

الفاصلة، وثورة الحرّة أيضاً لم يكن لها مضمون شيعي[1] ولم يتدخل الإمام

---

(١) وقعت ثورة الحرّة في المدينة المورّة سنة (٦٢هـ)، ويعزو المسعودي تلك الثورة إلى الإستياء العام من فسق يزيد وإقدامه على قتل سبط النبيّ صلى الله عليه وآله في كربلاء فقد عمّ الغضب المدينة المنوّرة التي تُعد موطناً لأُسرة النبيّ صلى الله عليه وآله والصحابة والتابعين.

وكان حاكم المدينة المنوّرة شاباً عديم التجربة وقد قام بإرسال وفد من أعيان المدينة كممثلين ونوّاب عن أهلها إلى لقاء يزيد والتعرّف عليه، ولكي تشملهم مكارمه وبالتالي يكون لهم دورهم في تعزيز نفوذ الحكم من خلال دفع الناس إلى الطاعة والانقياد.

وقد اختار عثمان حاكم المدينة وفداً في طليعته عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة. ولم يكن يزيد يتمتّع بحنكة والده وذكائه لهذا لم يتظاهر بالوقار أو التزام حدود الدين فكان يتصرّف على طبيعته ومارس أمامهم ألواناً من الفسق والفجور الا إنّه احتفى بهم وقدّم لهم الهدايا السنية وخلع عليهم الخلع الثمينة من أجل أن يعكسوا لأهل المدينة المنورة صورة ايجابية عنه، وقد أدّت هذه الخطوة إلى نتائج معاكسة تماماً فقد أطلع الوفد، الرأي العام على حقيقة يزيد البشعة وأعلنوا صراحة: «... وأظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الخراب ـ وهم اللصوص ـ وأنّا نشهدكم إنّا قد خلعناه...».

وقد أعقب هذه المواقف الغاضبة اشتعال لهيب الثورة في المدينة المنوّرة ومبايعة أهلها لعبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة وقامت حكومة الثورة بطرد بني أُميّة كافّة من المدينة.

وعندما وصلت التقارير إلى يزيد صدرت الأوامر إلى مسلم بن عقبة ـ قيادي في حكومة معاوية لا يعرف غير تنفيذ أوامرهم ـ بالزحف إلى المدينة المنوّرة وسحق الثورة، فقاد مسلم الذي عُرف آنذاك بـ «مسرف بن عقبة» جيشاً جرّاراً وقد أمهل بن عقبة قادة المدينة المنوّرة ثلاثة أيام ـ كما قضت التعليمات ـ للاستسلام وإلاّ فإنّه سيقوم بالهجوم واحتلالها بالقوّة واستباحتها ثلاثة أيام.

وقامت جيوش الشام بمهاجمة المدينة المنوّرة وحدثت معارك ضارية واستبسل الثائرون في الدفاع، ولكن المقاومة لم تستمر طويلاً بسبب عدم التكافؤ في ميزان القوى حيث انهارت المقاومة بعد مصرع قادة الثورة في المعارك وأعلن مسلم بن عقبة استباحة المدينة ثلاثة أيام ارتكب خلالها جنود الشام الفظائع التي يندى لها جبين الإنسانية، ونفذّت بأصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله واحدة من أبشع المجازر في تاريخ الحروب، وقد استمر مسلسل القتل واجبر الناس على البيعة على أنّهم عبيد ليزيد. (انظر: ابن عبدربّه الأندلسي، أحمد بن محمّد، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج٤ ص٣٦٢، ابن واضح أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢، ص٢٥٠، المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج٣ ص٨٢، ابن الأثير، الكامل، دار صادر، بيروت، ج٤ ص١٠٢، ١٠٣ و ٢٥٥، ٢٥٦).

السجّاد في تلك الثورة.

ولهذا تعرض أهل المدينة إلى أقسى معاملة وعُوملوا على أنّهم خول وعبيد ليزيد، فيما عُومل الإمام السجاد بكل إجلال واحترام[١].

أمّا القسم الثاني: فهو الثورات الشيعية.

الثورات الشيعية

الثورات الشيعية عبارة عن ثورة التوّابين وثورة المختار وكان العراق منطلق الثورتين وتحديداً مدينة الكوفة، حيث يشكّل الشيعة فيها قوات الثورة، وتمتاز ثورة المختار بحضور فاعل للشيعة من غير العرب (الموالي).

لا يوجد أدنى غموض في ماهية ثورة التوّابين، فالثورة تستند إلى بواعث صحيحة وأهداف استشهادية وكانت الغاية الوحيدة لها هي الثأر لسيد الشهداء الحسين السبط عليه السلام والتكفير عن الذنوب والعار الذي لحق بهم جرّاء تخاذلهم عن نصرة الإمام الحسين الشهيد عليه السلام .

وقد غادر الثوّار مدينة الكوفة بعد تجمعهم فيها واتجهوا نحو كربلاء حيث مرقد الإمام الحسين سيّد الشهداء وبدأوا حركتهم بهذا الإعلان:

«يا ربّ إنّا قد خذلنا ابن بنت نبيّنا فاغفر لنا مامضى وتبّ علينا إنّك أنت التوّاب الرحيم وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين وإنّا نشهدك ياربّ إنّا على مثل ما قُتلوا عليه فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين».

أمّا المختار الثقفي فقد بدأ نشاطه مع وصول مسلم بن عقيل إلى الكوفة، وكان مسلم(رضي الله عنه) قد اتّخذ من منزل المختار مقراً له ومركزاً لنشاطه في

---

(١) أبو حنيفة، الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال، منشورات الشريف الرضي، قم، ص٢٦٦.

تعبئة الرأي العام تمهيداً لقدوم الإمام الحسين عليه السلام. وقد اعتقل المختار الثقفي بأوامر من عبيدالله بن زياد الذي عيّن حاكماً على الكوفة.

وقد ظلّ المختار رهن الاعتقال إلى ما بعد واقعة كربلاء حيث أُطلق سراحه بوساطة عبدالله بن عمر زوج أُخت المختار إذ بعث برسالة إلى يزيد في هذا الموضوع.

وبدأ المختار الثقفي يحضّر للثورة بعد عودته إلى الكوفة سنة (٦٤ هـ) وذلك بعد أن أُبعد عنها ثلاث سنين قمعت خلالها ثورة التوّابين.

رفع المختار شعار الثورة: «يا لثارات الحسين» فالتفّ حوله الشيعة وبخاصّة الموالي، وسرعان ما سيطر على الكوفة وأنزل القصاص بقتلة الإمام الحسين بعد محاكمات سريعة، فقد قام بمعاقبة مئتين وثمانين من المتورطين في مذبحة كربلاء ونفّذ بهم عقوبة الاعدام في يوم واحد.

كما دمّر بيوت آخرين كانوا قد فرّوا من وجه العدالة، ومن بين ما دمّر من البيوت دار محمّد بن الأشعث، ونقل حجارتها ليعيد بناء منزل حجر بن عدي الذي قام النظام الأموي بتخريبه بسبب وفائه للإمام عليّ عليه السلام وكان معاوية قد أصدر أمراً بقتل حجر وأصحابه وتخريب بيوتهم[1].

وقد تضاربت وجهات النظر حول المختار بين من يعتبره شيعيّاً حقيقياً وبين من يراه كذّاباً. يقول ابن داود في رجاله حول المختار[2]: «غمز فيه بعض أصحابنا بالكيسانية وأصبح على ذلك بردّ مولانا زين العابدين عليه السلام أنّه قال: «لا تسبّوا المختار فإنّه قتل قتلتنا وطلب بثأرنا وزوّج أراملنا وقسّم فينا المال على العسرة».

وقد زار أبو الحكم بن المختار الإمام الباقر عليه السلام فلقي من لدن الإمام ترحيباً

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين، منشورات المفيد، قم، ج٢ ص٢٠٢.

(٢) رجال ابن داود ص٢٧٧، منشورات الشريف الرضي قم ١٣٩٢ هـ.

حاراً، فسأل أبو الحكم الإمام حول الموقف من والده قائلاً[١]: «... إنّ الناس قد أكثروا في أبي والقول قولك فمدحه وترحّم عليه وقال عليه السلام: سبحان الله! أخبرني أبي أنّ مهر أمي كان ممّا بعث به المختار...».

وهنا نرى الإمام يترحّم على المختار ويمجّد ما قام به قائلاً[٢]: «... رحم الله أباك، يكررها، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلاّ طلبه، قتل قتلتنا وطلب بدمائنا...».

وكان المختار قد أرسل رأس عبيدالله بن زياد إلى الإمام السجّاد، فسجد الإمام شكراً لله ودعا للمختار، والى جانب هذه الأخبار جاءت روايات تذمّ المختار وهو من وضع وضّاعين من أعدائه وخصومه، وفيما يخصّ تأسيس المختار لفرقة الكيسانية فقد انبرى آية الله الخوئي لتفنيد هذا الاتهام وقال في معرض دفاعه عن المختار[٣]: «أنّه نسب بعض العامة المختار إلى الكيسانية وقد استشهد لذلك بما في الكشي من قوله: والمختار هو الذي دعا الناس إلى محمّد بن عليّ بن أبي طالب بن الحنفية وسمّوا الكيسانية وهم المختارية. وكان بقية كيسان إلى آخر ما تقدم وهذا القول باطل جزماً فإنّ محمّد بن الحنفية لم يدع الإمامة لنفسه حتى يدعو المختار الناس اليه وقد قُتل المختار ومحمّد بن الحنفية حيّ وإنّما حدثت الكيسانية بعد وفاة محمّد بن الحنفية وأمّا لقب مختار، هو كيسان فإن صح ذلك فمنشؤه ما تقدم في رواية الكشي من قول أميرالمؤمنين عليه السلام له مرتين يا كَيس يا كيسّ فمعنى كلمّة كَيس وقيل: كيسان».

---

(١) رجال ابن داود ص٢٧٧، الشريف الرضي قم ١٣٩٢ هـ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) معجم رجال الحديث، السيّد أبو القاسم الخوئي ج١٨ ص١٠٢ ـ ١٠٣، بيروت.

الحكم المرواني (فترة الاضطراب)

ذكرنا إنّ المرحلة الثانية هي عصر الإمام السجاد، وقد واكبت فترة ترسيخ دعائم الحكم المرواني وكان بنو مروان قد نجحوا في تثبيت حكومتهم بعد تمكّنهم في القضاء على ثورة عبدالله بن الزبير الذي لقي مصرعه في مكّة سنة (٧٣ هـ)[١].

واعتمد الحكم المرواني على شخصيات دموية غاية في القسوة والايغال بسفك الدماء من قبيل الحجّاج بن يوسف الثقفي، وكان الأخير لا يعرف شيئاً سوى الطاعة المطلقة لخلفاء بني أُميَّة، وكان لا يتورّع عن اتخاذ أيّة وسيلة من أجل تحقيق أهدافه خدمةً لأسياده.

فقد قام من أجل سحق ثورة ابن الزبير بمحاصرة مكّة المكرّمة وقصف بيت الله الحرام بالمنجنيق ودمّر أجزاء من الكعبة ونشب حريق فيها، ولهذا فقد كان يبطش بكل خصوم بني أُميَّة وأعدائهم من الشيعة وغيرهم: وقد أخمد الحجّاج ثورة ابن الأشعث في سنة (٨٠ هـ)[٢] وقتل العديد من القرّاء وهي شريحة

---

(١) ابن واضح، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص٢٦٧.

(٢) ص ١١٠. في سنة ٨٠ للهجرة بعث الحجّاج عبدالرحمن بن الأشعث عاملاً على سجستان وزابل على الرغم من عدم الاطمئنان له. وطلب منه أن يُخرج رتبيل من سجستان، فلمّا صار إلى سجستان أقام ببست ثمّ سار يريد رتبيل ملك البلد وكان قد ضبط أطرافه فلما أوغل في بلاد رتبيل خاف غدره فرجع إلى بست وكتب إلى الحجّاج يعلمه برجوعه... فكتب اليه كتاباً يتوعده فيه... فجمع أطرافه إليه وحرّض الناس على الحجّاج ودعاهم إلى خلعه فخلعوه وبايعوا له فلمّا اجتمعت الكلمة قال لهم: نسير إلى العراق... وأقبل حتى صار إلى قرب الأهواز... ثمّ خرج الحجّاج في جيش... فقاتله قتالاً شديداً فهزمه حتى رجع الحجّاج إلى البصرة... ولحق ابن الأشعث بالكوفة مع جماعة من قرّاء البصرة... وطلب الحجّاج الامدادات من الشام والتقى ثانياً بابن الأشعث في دير الجماجم في معركة طاحنة كانت لصالح ابن الأشعث حتى وصل الخبر إلى عبدالملك بن مروان وأراد مخادعتهم في رسالة بعثها للعراقيين مضمونها إذا كنتم تريدون عزل الحجّاج فإني أعزله... ولم يقبل العراقيون الصلح منه... وأخيراً استطاع الاحتيال على بعض قادة ابن الأشعث ويقضي على جيشه ويضطر

اجتماعية كانت تتمتّع بالاحترام البالغ.

وقد استمرَّ الحجّاج في حكمه الدكتاتوري للعراق والحجاز حتى سنة (٩٥هـ)[١].

لقد عاصر الإمام السجادعليه السلام تلك الحقبة العاصفة من تاريخ الإسلام، وبسبب الأجواء الخانقة فقد اتّخذ الإمام من الدعاء وسيلة لنقل العديد من القيم المعرفية والدينية والأخلاقية إلى المجتمع، وكان الشيعة يعيشون أقسى الظروف بين الاعتقالات وحياة التشرّد واعتمدت شرائح واسعة حالة من التقية المكثّفة للخلاص من سجون الحجّاج وسيوف جلاّديه.

ولهذا لم يكن أحد ليجرؤ على الاقتراب من الإمام السجاد وكان أصحابه نفر قليل يعدّون بالأصابع يقول المرحوم العلاّمة المجلسي: إنّ الحجّاج قتل سعيد بن جبير لعلاقته بالإمام السجادعليه السلام[٢].

وقد أدّت سياسة القتل والقمع والاضطهاد إلى هجرة أعداد كبيرة من الشيعة إلى مناطق بعيدة من العالم الإسلامي ما أدى إلى انتشار التشيّع وتناميه[٣].

وقد امتدت هذه السياسة إلى الفترة الأولى من عصر الإمام الباقرعليه السلام حيث كان الحكم الأُموي فيها أوج قدرته وكان الخليفة الأُموي يومذاك هشام بن عبدالملك الذي عُرف بقسوته وبطشه ودمويته، فقد قام باستدعاء الإمام الباقر إلى

ابن الأشعث للهروب إلى رتبيل وبعدها يضطر رتبيل بسبب تهديدات الحجّاج إلى قتل ابن الأشعث ويبعث برأسه إليه...».

(١) المسعودي، عليّ بن الحسين، المصدر السابق ص١٨٧.

(٢) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال المعروف بـ «رجال الكشي»، مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث قم (١٤٠٤ هـ) ج١ ص٣٣٥.

(٣) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الأولى (١٤١٧ هـ) ج٧ ص٨٨

دمشق مع نجله الإمام الصادقعليه السلام ولم يأل جهداً في مضايقة الإمام ومحاولة الحطّ من شأنه[١].

وفي عهده ثار زيد بن عليّ بن الحسينعليه السلام واستشهد. وبالرغم من أن الأوضاع شهدت انفراجاً لا بأس به في زمن عمر بن عبدالعزيز الا إنّ مدّة خلافته كانت قصيرة للغاية إذ لم يحكم سوى عامين تقريباً ليموت في ظروف غامضة.

وبالرغم ممّا قام به بنو أُميّة من نشاط محموم على كلّ الأصعدة بما في ذلك الدعاية المناهضة لأهل البيتعليهم السلام الا إنّهم أخفقوا تماماً في إطفاء نور الحقّ وحجب شمس الحقيقة فقد كانت فضائل أميرالمؤمنينعليه السلام ومناقبه تسطع وتملأ الخافقين وبهذه المناسبة يقول ابن أبي الحديد[٢]: «.. فالأحاديث الواردة في فضله في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة لانقطع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طول المدة وشدّة العداوة ولولا أنّ لله تعالى في هذا الرجل سرّاً يعلمه مَن يعمله لم يُرو في فضله حديث ولا عُرفت له منقبة...».

خلاصة الدرس الحادي عشر

ينقسم عصر الإمام السجادعليه السلام إلى مرحلتين:

الأُولى: تزعزع الحكم الأموي، وسقوط البيت السفياني وصعود البيت المرواني.

المرحلة الثانية: مرحلة تثبيت دعائم الحكم المرواني.

وقد شهدت المرحلة الأُولى نشوب الثورات الشيعية وغير الشيعية في الحجاز

---

(١) الطبري، محمّد بن جرير بن رستم، دلائل الإمامة، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف (١٣٨٣ هـ) ص١٠٥.

(٢) عبده، محمّد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ج٤ ص٧٣.

والعراق.

أمّا المرحلة الثانية: فتبدأ عقب مقتل عبدالله بن الزبير سنة (٧٣ هـ) حيث نجد الحكم المرواني يعتمد في تثبيت دعائمه على قيادات غاية في القسوة والدموية من قبيل الحجّاج.

* * *

أسئلة الدرس الحادي عشر

١ ـ إلى كم مرحلة ينقسم عصر الإمام السجاد عليه السلام ؟

٢ ـ تحدّث باختصار عن طبيعة الثورات التي شهدها عصر الإمام السجاد عليه السلام .

٣ ـ اشرح بإيجاز فترة الاضطرابات التي شهدتها حكومة المروانيين في مطلع عهدها.

الدرس الثاني عشر

بدء الدعوة العبّاسية وأثرها في نشر التشيّع

في عام (١١١ هـ) بدأت الدعوة العبّاسية نشاطها[1]، وقد أفضت هذه الحركة إلى اتساع نطاق التشيّع ليمتدّ إلى مناطق عديدة من العالم الإسلامي كما أدّت هذه الحركة إلى التخفيف من أجواء الاضطهاد الأُموي، إذ بدأ الشيعة يتنفسون الصعداء كما أن الأئمة المعصومين تمكّنوا من التصريح بمرتكزاتهم الفقهية والكلاميّة والعمل على ترسيخها في أذهان المسلمين وهكذا بدأ التشيّع فصلاً جديداً.

وبشكل عام لم تكن هناك حالة من التمايز بين العبّاسيين والعلويين في ظلّ الحكم الأُموي، ولم تكن هناك حالة من الاختلاف، وهذا ما أشار إليه السيّد محسن الأمين بقوله: «سمّوا شيعة آل محمّد ولم يكن إذاك بين بني عليّ وبني العبّاس افتراق في رأي ولا مذهب فلمّا ملك بنو العباس وتسلّمها سفاحهم من بني أُميّة نزغ الشيطان بينهم وبين بني عليّ فبدا منهم في حقّ بني عليّ ما بدا فنفر عنهم فرقة من الشيعة وأنكرت فعلهم ومالت إلى بني عليّ فلزمهم هذا الاسم (الشيعة)»[2].

ولهذا السبب كان دعاة بني العبّاس يتحركون بين الناس تحت شعار: «الدعوة إلى الرضا من آل محمّد» لا يفتأون يتحدثون عن مظلومية أهل بيت النبيّ ﷺ يقول أبو الفرج الإصفهاني[3]: «... وخرجت دعاة بني هاشم إلى النواحي عند مقتل الوليد بن يزيد واختلاف كلمة بني مروان فكان أوّل ما

---

(١) ابن واضح، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي ج٢ ص٣١٩.

(٢) السيّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ج١ ص١٩.

(٣) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي (١٤١٦ هـ) ص٢٠٧.

يظهرونه فضل عليّ ابن أبي طالب وولده ومالحقهم من الفتك والخوف والتشريد...».

وقد أدّى ذلك إلى تنامي التشيّع وانتشاره بشكل ملحوظ، وشهدت تلك الفترة من الدعوة العبّاسية انتشار أحاديث النبيّ ﷺ حول ظهور الإمام المهدي عليه السلام وكان إقليم خراسان مسرحاً كبيراً للنشاط الدعوي العبّاسي، وقد تزايدت أعداد الشيعة في ذلك الإقليم بشكل كبير وقد بلغت في ذلك مديات جعلت اليعقوبي يقول[1]:

«وكان مقتل زيد سنة ١٢١ هـ ولمّا قتل وكان من أمره ما كان تحرّكت الشيعة بخراسان وظهر أمرهم وكثر مَن يأتيهم ويميل معهم وجعلوا يُذكّرون الناس أفعال بني أميّة وما نالوا من آل رسول الله حتى لم يبقَ بلد إلاّ فشا فيه هذا الخبر وظهرت الدعاة ورُئيت المنامات وتُدورست كتب الملاحم...».

وهكذا بالنسبة للمسعودي إذ أشار إلى انتشار التشيّع في خراسان ففي سنة (١٢٥ هـ) وهي السنة التي قتل فيها يحيى بن زيد الشهيد في الجوزجان بخراسان سمى الناس أطفالهم الذكور الذين وُلِدوا في ذلك العام باسم يحيى[2].

ومن هنا نفهم عمق النفوذ العبّاسي في خراسان، فقد ذكر أبو الفرج في ترجمته أحوال عبدالله بن محمّد بن عليّ بن أبي طالب علّة ذلك قائلاً[3]:

«... وهو الذي يزعم الشيعة من أهل خراسان أنّه ورث الوصية عن أبيه وأنّه الإمام وإنّه أوصى إلى محمّد بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس وأوصى محمّد إلى

---

(١) ابن واضح، أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ٢٥٦، الأعلمي، بيروت ١٤١٣ هـ.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت (١٤١٧هـ).

(٣) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبين، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٦ هـ) ص١٣٣.

إبراهيم الإمام فصارت الوصية في بني العبّاس من تلك الجهة».

ومن هنا يشكّل الخراسانيون الغالبية العظمى في القوات العبّاسية، وهذا ما أشار إليه المقدسي كما أشار إلى أنّ أنصار جيش المهدي سيكونون من أهل هذا الإقليم[١].

وهكذا فإنّ منزلة أهل البيت عليهم السلام كانت في غاية الجلال لدى عموم الناس، ولهذا فعندما انتصرت الثورة العالمية وبدأ الناس يتعرفون حقائق حول الحكم الجديد فإنّنا نجد استياءً لدى بعض الزعامات هنا وهناك من ظلم بني العباس من قبيل ثورة رجل يدعى شريح بن شيخ المهري الذي ثار في بخارى ضد بني العباس مبرراً ثورته بقوله[٢]: «... ما على هذا بايعنا آل محمّد أن نسفك الدماء ونعمل غير الحقّ فوجّه إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله».

ج: التشيّع في عصر الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام

عاصرت المرحلة الثانية من حياة الإمام الباقر عليه السلام والمرحلة الأُولى من عهد الإمام الصادق فترة النشاط العباسي الدعوي واندلاع الثورات العلوية من قبيل ثورة زيد الشهيد وثورة نجله يحيى بن زيد، وثورة عبدالله بن معاوية ـ من أحفاد جعفر الطيّار[٣].

ومن ثمّ ظهور أبي مسلم الخراساني على رأس دعاة بني العبّاس في خراسان وتعبئة الرأي العام في إقليم خراسان ضد الأُمويين[٤].

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ترجمة الدكتور عليّ نقي منزوي، شركت المؤلفين والمترجمين الإيرانيين ج٢ ص٤٢٦، ٤٢٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص٣٥٤.

(٣) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين منشورت الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ)ص، ص٣٣٢.

(٤) ابن واضح، أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص٣٣٢.

هذا من جهة، ومن جهة أُخرى اندلاع الصراع العصبي بين أقوى تجمعين قبليين يؤيدان الحكم الأُموي وهما تجمّع مضر والتجمّع اليماني حيث تطور الصراع إلى اشتباكات مسلحة[١].

وقد استقطبت هذه الصراعات جلّ اهتمام الأُمويين وحوّلت أنظارهم بعيداً عن الشيعة، ما جعلهم يتنفسون الصعداء ويخرجون من حالة التقيّة ومحاولة إعادة بناء تنظيماتهم ومدّ العلاقات مع قادتهم، ولهذا نشهد حركة ونشاطاً وتدفقاً للشيعة صوب الإمام الباقر عليه السلام والانتهال من النعم التي حرموا منها طويلاً، نعمة العلم والمعرفة، وقد نهض الإمام الباقر عليه السلام من أجل ترسيخ دعائم مدرسة أهل البيت عليهم السلام فتشكّلت حلقات الدراسة في المدينة وفي مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله على وجه التحديد، وأصبحت مرجعية الإمام الباقر هي المرجعية العليا في حلّ المشكلات العلمية والفقهية، يروي قيس بن الربيع عن أبي إسحاق حول مسألة المسح فوق النعلين على سبيل المثال[٢]:

«.. أدركت الناس يمسحون حتى لقيت رجلاً من بني هاشم لم أر مثله قطّ وهو محمّد بن عليّ بن الحسين فسألته عن المسح على الخفين. فنهاني عنه وقال: **لم يكن أميرالمؤمنين يمسح عليهما وكان يقول: سبق الكتاب المسح على الخفين. قال أبو إسحاق: فما مسحت مذ نهاني عنه وقال قيس بن الربيع: وما مسحت أنا مذ سمعت أبا إسحاق».**

ودخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟ فقال عليه السلام: الله قال الرجل: رأيته؟ قال عليه السلام: بلى، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته

---

(١) المصدر السابق ص٣٢٣.

(٢) حيدر، أسد، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، دار الكتاب العربي، ط الثالثة (١٣٠٣ هـ) ج١ ص٤٥٢، ٤٥٣.

القلوب بحقائق الإيمان، لا يُعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس، ولا يشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالدلالات لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلاّ هو فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته»[١].

وقصده العلماء للسؤال وكشف الحقائق كعمرو بن عبيد وطاووس اليماني والحسن البصري ونافع مولى ابن عمر وغيرهم ممّن يطول ذكرهم... وكان يزود الوافدين بتعاليم قيّمه[٢].

وكان الناس ينتهزون فرصة الحجّ ووجود الإمام الباقر في مكّة المكرمة للاستفتاء عن الحلال والحرام ويغتنمون فرصة الحديث معه فينتهلون من علومه ومعارفه، فكانت له عليه السلام حلقته في مكّة التي يحضرها كثيرون من أرباب العلم والمعرفة[٣].

ولمّا حجّ هشام بن عبدالملك ورأى[٤]: «.. اجتماع الناس حوله وحضور العلماء عنده فثقل عليه ذلك فأرسل رجلاً من أصحابه وقال له: قل له: يقول أميرالمؤمنين: ما الذي يأكله الناس ويشربوه في المحشر إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟ فلمّا سأله الرجل قال له الإمام الباقر: يحشر الناس مثل قرص النقي فيها أشجار وأنهار يأكلون ويشربون منها حتى يفرغوا من الحساب.

فقال هشام للرسول: إذهب إليه فقل له يقول: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ؟ فقال أبو جعفر: هم في النار أشغل ولم يشتغلوا عن أن قالوا: أفيضوا علينا من الماء أومما رزقكم الله فسكت هشام ولم يظفر بما أراد من سؤاله للإمام...».

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) العلاّمة المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، المكتبة الإسلاميّة ج٤٦ ص٣٥٥.

(٤) حيدر أسد، المصدر نفسه ص٤٥٢ - ٤٥٣.

وقال زرارة: كنت جالساً إلى جنب أبي جعفرعليه السلام وهو مستقبل القبلة فقال: أما أن النظر إليها عبادة، فجاءه رجل من بجيلة فقال لأبي جعفر: إنّ كعب الأحبار كان يقول: إنّ الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل يوم غداة فقال أبوجعفر: فما تقول فيما قال كعب؟ فقال الرجل: صدق كعب فقال له أبوجعفر: كذبت وكذب كعب الأحبار معك[1].

وقد تربّى في ظلاله علماء وفقهاء من قبيل زرارة بن أعين الذي قال فيه الإمام الصادق[2]: «لولا زرارة لظننت أنّ أحاديث أبيعليه السلام ستذهب».

«... وعن محمّد بن مسلم قال: ما شجر في رأيي شيء قطّ إلاّ سألت عنه أبا جعفرعليه السلام حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث...»[3].

«... عن جميل بن درّاج قال: سمعت أبا عبداللهعليه السلام يقول: بشر المخبتين بالجنة، بريد بن معاوية العجلي وأبا بصير بن ليث البختري المرادي ومحمّد بن مسلم وزرارة، أربعة بخباء أمناء الله على حلاله وحرامه لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوّة واندرست»[4].

إلى جانب العديد من العلماء مثل يزيد بن معاوية العجلي، جابر بن يزيد، حمران بن أعين وهشام بن سالم وغيرهم ممّن تربّوا في مدرسته.

ولا ينحصر ذلك في علماء الشيعة فحسب بل إنّ كثيراً من علماء الشيعة تتلمذوا على يديه ورووا عنه يقول السبط بن الجوزي: إنّ جعفر يروي عن أبيه

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الشيخ الطوسي اختيار معرفة الرجال، مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث، قم (١٤٠٤ هـ) ج١ ص٣٤٥.

(٣) المصدر السابق ص٢٨٦.

(٤) المصدر نفسه ص٣٩٨.

حديث النبيّ، ولهذا فقد كان بعض التابعين من قبيل عطاء بن أبي رباح سفيان الثوري، مالك بن أنس (إمام المذهب المالكي)، شعبة، وأبو أيوب السجستاني يروون عنه وينقلون[١].

وقد أحصى الباحثون في تاريخ العلم أعداداً كبيرة ممّن رووا آلاف الأحاديث وكانوا من الكثرة جعلت جابر الجعفي وهو من كبار المحدّثين يقول أنّه روى سبعين ألف حديث[٢].

وقد استمرّ الإمام في نشاطه الثقافي حتى شهادته في السابع من ذي الحجّة سنة (١١٤ هـ)[٣].

الجامعة الجعفرية

عاصر الإمام الصادقعليه السلام الظروف الانتقالية وانهيار الحكم الأُموي وقيام الحكم العباسي الجديد ومن ثمّ فقد توفرت فرصة مناسبة وأجواء مساعدة ليتابع مشروع والده الراحل الذي بدأ نهضة علمية كبرى سمّي أثرها بـ«الباقر» لأنّه بقر العلم بقراً وفي عهد الإمام الصادق تبلّورت نشاطات الإمام العلمية والفكرية في شكل جامعة كبرى طار صيتها في الآفاق يقول الشيخ المفيد[٤]:

«... ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نُقل عنه ولا لقيَ أحدٌ منهم من أهل

---

(١) ابن الجوزي تذكرة الخواص، منشورات الشريف الرضي، قم (١٣٧٦ هـ . ش ـ ١٤١٨ هـ) ص ٣١١.

(٢) المظفر، محمّد حسين، تاريخ الشيعة، منشورات مكتبة بصيرتي ص٤٢.

(٣) الكليني، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق، أصول الكافي، دار الكتب الإسلاميّة، طهران (١٣٦٣هـ. ش) ج١ ص٤٧٢.

(٤) الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الإرشاد، ترجمة محمّد باقر الساعدي الخراساني، المكتبة الإسلاميّة، طهران (١٣٧٦ هـ. ش) ص٥٢٥.

الآثار ونقلة الأخبار ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبدالله عليه السلام...».

ويقول أمير عليّ عن الإمام عليه السلام[١]: «ولا مشاحة أنّ انتشار العلم في ذلك الحين قد ساعد على فك الفكر من عقاله، فأصبحت المناقشات الفلسفية عامّة في كل حاضرة من حواضر العالم الإسلامي ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الذي تزعم تلك الحركة هو حفيد عليّ بن أبي طالب المسمى بالإمام الصادق وهو رجل رحب أفق التفكير بعيد أغوار العقل ملم كلّ الإلمام بعلوم عصره ويعتبر في الواقع أنّه أول من أسس المدارس الفلسفية المشهورة في الإسلام ولم يكن يحضر حلقته العلمية أولئك الذين أصبحوا مؤسسي المذاهب الفقهية فحسب بل كان يحضرها طلاب الفلسفة والمتفلسفون من الأنحاء القاصية».

ولهذا نجد الآلاف من طلاب العلم والمعرفة يتدفقون نحوه من كل حدب وصوب لينهلوا من فيض علومهم وصافي معارفه:

يقول السيد الأهل[٢]: «... وكان يؤمّ مدرسته طلاب العلم ورواة الحديث من الأقطار النائية... فأرسلت الكوفة والبصرة وواسط والحجاز إلى جعفر بن محمّد أفلاذ أكبادها...».

ويقول المرحوم المحقق في المعتبر: لقد انتشرت علوم الإمام الصادق ما حيّر العقول، وقد بلغ عدد طلابه أربعة آلاف كلّهم يقول: حدّثني أبو عبدالله الصادق وقد تبحّر بعضهم في مختلف العلوم وجمعت أجوبته عن المسائل في أربعمائة مصنّف دعيت بالأصول الأربعمائة[٣].

---

(١) أمير عليّ، تاريخ العرب والإسلام، ترجمة فخر داعي الگيلاني، انتشارات گنجينه، طهران (١٣٦٦ هـ. ش) ص٣١٢.

(٢) حيدر، أسد الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثالثة (١٤٠٣ هـ)، ص٥٣.

(٣) المعتبر طبعة حجرية ص٤، ٥.

ويقول الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي في كتابه الذكرى[1]: «... إنّ أبا عبدالله جعفر بن محمّد الصادق كتب من أجوبة مسائله أربعمائة مصنف لأربعمائة مصنف ودوّن من رجاله المعروفين أربعة آلاف رجل من أهل العراق والشام والحجاز».

وعلى هذا فإنّ الذين تتلمذوا على يديه كانوا من العلماء الذين نبغوا في مختلف حقول العلم من قبيل: هشام بن الحكم، محمّد بن مسلم، أبان بن تغلب، هشام بن سالم، مؤمن الطاق، المفضّل بن عمر، جابر بن حيّان الذي نبغ في الكيمياء.

وقد عرفت مصنفاتهم الأُصول الأربعمائة التي كانت أساساً للكتب الشيعية الحديثية الأربعة: «الكافي»، «من لا يحضره الفقيه»، «التهذيب» و«الاستبصار».

ولم يكن تلامذة الصادقعليه السلام من الشيعة فقط بل إنّ أكثرهم من السنّة يقول ابن حجر الهيثمي ـ وهو من علماء أهل السنّة ـ في هذا المضمار[2]:

«... ونقل الناس عنه من العلم ماسارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريح ومالك والسفيانيين وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السجستاني...».

ويقول أنس بن مالك[3]: «اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلاّ على إحدى ثلاث خصال إمّا مصلٍّ وإمّا صائم وإمّا يقرأ القرآن ولم أره يروي حديثاً إلاّ وهو على وضوء، وما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمّد الصادق علماً وعبادة وورعاً»[4].

ولم تضم مجالسه أئمة المذاهب الفقهية بل طلاب الفلسفة القادمين من

---

(١) الذكرى، طبعة حجرية ص٦.

(٢) الصواعق المحرقة، مكتبة القاهرة (١٣٨٥ هـ.) ص٢٠١.

(٣) ابن حجر العسقلاني، التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط الأولى (١٤٠٤ هـ) ج١ ص٨٨.

(٤) حيدر أسد، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، دار الكتب العربية، بيروت ج١ ص٥٣.

مناطق نائية الذين ينهلون من فيض علمه ثمّ يعودون إلى مناطقهم ليكونوا أساتذة العلم والمعرفة في أوطانهم فيجتمع حولهم المسلمون ويأخذون عنهم علوم أهل البيت عليهم السلام فانتشر التشيّع في كل مكان. وكان أبان بن تغلب يأتي إلى مسجد النبيّ فيستند إلى الاسطوانة التي كان النبيّ صلى الله عليه وآله يستند إليها ويحدث الناس[1]: «قال له أبو جعفر الباقر: اجلس في مسجد المدينة وأفتِ الناس فإنّي أحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك».

وكان غزير العلم متضلعاً في عدة علوم وله كتب منها: كتاب معاني القرآن وكتاب القراءات وكتاب من الأُصول في الرواية، على مذهب الشيعة».

«... فلو رُدّ هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبويّة وهذه مفسدة بيّنة»[2].

يقول أبو خالد الكالبي[3]: «رأيت أبا جعفر صاحب الطاق وهو قاعد في الروضة قد قطع أهل المدينة أزراره وهو دائب يجيبهم ويسألونه...».

وقد انتشر التشيّع بشكل واسع ولهذا استغل البعض هذه الظاهرة وحاول أن يصنع له مركزاً اجتماعياً من خلال وضع الأحاديث أو تأويلها بما يعود عليهم بالنفع وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام في جوابه عن سؤال أحد أصحابه ويدعى الفيض بن المختار معللاً ظاهرة الاختلاف والتضارب في الأحاديث.

خلاصة الدرس الثاني عشر

بدأ النشاط الدعوي للعبّاسيين سنة (١١١ هـ)، ولم يظهر الشرخ بين العلويين والعبّاسيين في تلك الفترة، وبسبب انشغال الأُمويين في معالجة الخطر العبّاسي

---

(١) المصدر السابق ج١ ص٥٥.

(٢) الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد، ميزان الاعتدال، دار المعرفة، بيروت ج١ ص٤.

(٣) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ج٢ ص٤٢٢.

فقد شهد التشيّع نمواً ملحوظاً خاصّة في تلك الفترة الانتقالية حيث توفرت فرصة للإمامين الباقر والصادق عليهما السلام لتأسيس وتوسعة مدرسة أهل البيت عليهم السلام وفي عهد الإمام الصادق حدثت قفزة كبرى في توسعة علوم أهل البيت عليهم السلام وتبلورت حلقات الدرس في شكل جامعة علمية كبرى يمكن تسميتها بالجامعة الجعفرية التي خرّجت عشرات بل مئات العلماء والفقهاء والمتكلمين، وقد أحصى الشيخ المفيد أربعة آلاف من تلامذة الإمام الصادق كلّهم في عِداد الثقاة.

* * *

أسئلة الدرس الثاني عشر

١ ـ ماهي تأثيرات الدعوة العبّاسية في انتشار التشيّع؟

٢ ـ تحدّث بإيجاز عن مسار التشيّع في عصر الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

٣ ـ كيف استثمر الإمام الصادق عليه السلام الفرصة التي أتيحت له؟

الدرس الثالث عشر

٣ ـ الشيعة في عصر العبّاسيين

إنّ معدل نموّ وانتشار التشيّع مع بدء العصر العبّاسي سنة (١٣٢ هـ) وحتى نهاية الغيبة الصغرى سنة (٣٢٩ هـ) كان أوسع بكثير قياساً بالعصر الأُموي. فقد انتشر الشيعة في كل مكان من العالم الإسلامي حتى في المناطق النائية وهذا ما نجده ينعكس في التقارير السرّية التي كانت ترد هارون الرشيد حول الإمام الكاظم وتدفّق الحقوق الشرعية إليه من المشرق والمغرب[1].

وعندما وصل الإمام الرضا مدينة نيسأبور[2]:

(... فأملى صلوات الله عليه هذا الحديث وعُدّ من المحابر أربع وعشرون ألفاً سوى الدُّوي والمستملي أبو زرعة الرازي ومحمّد بن أسلم الطوسي... فقال عليه السلام:..... قال: حدّثني أخي وابن عمّي محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله قال: حدّثني جبرئيل عليه السلام قال: سمعت ربّ العزّة سبحانه وتعالى يقول: كلمة لا إله إلاّ الله حصني فمَن قالها دخل حصني ومَن دخل حصني أمن من عذابي...».

وجاء في جواب الإمام الرضا عليه السلام للمأمون حول ولاية العهد ما يشير إلى سعة نفوذه عليه السلام[3]: «وما زادني هذا الأمر الذي دخلت فيه في النعمة عندي شيئاً ولقد كنت في المدينة وكتابي ينفذ في المشرق والمغرب...».

وهناك اعتراف لابن أبي داود وهو من كبار فقهاء السنّة ويعد في طليعة

---

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد، ترجمة محمّد باقر الساعدي الخراساني، المكتبة الإسلاُميّة (١٣٧٦ هـ.ش) ص٥٨١.

(٢) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا.

(٣) العلاّمة المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، المكتبة الإسلاُميّة، طهران (١٣٥٨ ـ) ج٤٩ ص١٥٥.

خصوم أهل البيت وأعدائهم وقد تسنّم منصب رئيس السلطة القضائية في عهد المعتصم هذا الاعتراف الصريح الذي جاء في حيثيات مسألة قطع يد السارق، حيث دارت مناقشات للفقهاء في حضور المعتصم وتبنّي الأخير رأي الإمام الجواد في هذه المسألة؛ فقد جاء في التاريخ إنّ ابن أبي دواد خلى بالخليفة وانتقد موقفه في تبنّي رأي شخص يعتقد شطر الأمّة بإمامته[1]؟!

وقد نفذ التشيّع داخل أجهزة الحكم وأركان النظام العبّاسي يقول يحيى بن هرثمة[2][3]: «... أمرني المتوكل بالذهاب إلى المدينة والشخوص بالإمام إلى سامراء.. ولمّا مرّ الركب ببغداد ـ في طريقه إلى سامراء ـ تقابل مع واليها إسحاق بن إبراهيم الطاهري فأوصاه بالإمام خيراً واستوثق من حياته بقوله: «يا يحيى إن هذا الرجل قد ولده رسول اللهﷺ والمتوكل مَن تعلم وإن حرّضته على قتله كان رسول اللهﷺ خصمك فأجابه يحيى: والله ما وقفت له إلاّ على كل أمر جميل وحين وصل الركب إلى سامراء بدأ ابن هرثمة بمقابلة وصيف التركي ـ وهو ممّن كان يشارك في تنصيب الخليفة وعزله ومناقشته في أعماله ـ وممّا قال وصيف ليحيى: والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل... ويقصد به الإمامعليه السلام شعرة لا يكون المطالب بها غيري...».

يورد السيّد محسن الأمين في الجزء الأوّل من كتابه (أعيان الشيعة) أسماء بعض شخصيات الدولة العباسية باعتبارهم من الشيعة وهم كل من: أبو سلمة الخلال[4] هو أوّل وزير في الدولة العبّاسية وقد منح لقب وزير آل محمّد، أبو

---

(١) المصدر السابق ج ٥٠ ص٦.

(٢) أحد القادة الأتراك.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ط الأولى، ج٤ ص١٨٢.

(٤) يرى بعض الباحثين أنّ رسالة أبي سلمة الخلال إلى الإمام الصادقعليه السلام واقتراحه نقل الخلافة من

بجير البصري وهو من كبار القادة والأمراء في عهد المنصور، محمّد بن الأشعث وزير هاورن الرشيد ولهذا الشخص ذكر في قصة اعتقال الإمام الكاظم ووجود ما يدلّ على تشيّعه، عليّ بن يقطين وهو أحد وزراء هارون الرشيد، يعقوب بن داود وزير المهدي العباسي والد الرشيد، وطاهر بن الحسين الخزاعي، حاكم إقليم خراسان في عهد المأمون وفاتح بغداد في الحرب الأهلية ولهذا السبب (تشيّعه) لم ينتدبه الحسن بن سهل وزير المأمون للقضاء على ثورة أبي السرايا[١].

أمّا القضاة من الشيعة فهم كل من: شريك بن عبدالله النخعي قاضي الكوفة، والواقدي المؤرخ المشهور الذي عيّن للقضاء في عهد المأمون[٢].

وقد انتشر التشيّع حتى في مناطق النفوذ العباسي وبات يشكّل تهديداً خطيراً، فمشهد تشييع جثمان الإمام الكاظم عليه السلام حيث أقدم سليمان بن منصور عمّ هارون الرشيد على خطوة من أجل امتصاص الغضب الشعبي الذي كان ينذر بالانفجار في صبيحة ذلك اليوم. كانت اعداد الشيعة تتضاعف حول الجثمان الذي وضع على الجسر ببغداد ويبدو أنّ لغطاً حول استفزازات قام بها رجال الشرطة دفعت سليمان إلى أن يحتفي[٣] وينظم تشييعاً مهيباً لنعش الإمام الكاظم الذي لقي مصرعه مسموماً في سجون هارون وعندما أُغتيل الإمام الجواد سنة (٢٢٠ هـ) بنفس الطريقة التي أُغتيل بها الإمام الحسن السبط أرادت السلطات

العبّاسيين إلى البيت العلوي، لا تعد دليلاً كافياً على تشيّعه، لأنّها لا تعدو أن تكون خطوة سياسية. (انظر: پيشوائى، مهدى، سيرة الأئمة، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط الثامنة (١٣٧٨ هـ. ش) ص٣٧٨.

(١) أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ج١ ص١٩١.

(٢) المصدر السابق ص١٩٢ ـ ١٩٣، وفي تشيّع الواقدي اختلاف بين الباحثين والمحقّقين.

(٣) الأمين السيّد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت (بدون تاريخ) ج١ ص٢٩.

دفنه سرّاً، ولكن الأنباء انتشرت في الأوساط الشيعية فهبّ ما يقارب الاثني عشر ألف كان بعضهم مسلحاً أخذوا الجثمان ونظّموا للإمام تشيعاً مهيباً ليوارى الثرى إلى جانب جدّه الكاظم عليه السلام .

وهكذا بالنسبة للإمام الهادي عند وفاته في مدينة سامراء إذ كان عدد المشيعين بالأُلوف وتعطّلت الأسواق ذلك اليوم، وقد نظم التشييع للنعش من المسجد الجامع حيث أُجريت مراسم الصلاة ليدفن في منزله الكائن في درب الحصا[1] .

ويبدو من خلال بعض المؤشرات أنّ سياسة الحكم العباسي تجاه أئمة أهل البيت شهدت تغييراً ملحوظاً بعد إمامة الرضا عليه السلام وكانت السلطات تعامل الإمام باحترام خشية انفجار الغضب الشعبي الشيعي، ولهذا فقد تمتع الإمام الرضا بقدر من الحرية حتى في أخريات عهد هارون الرشيد وكان يمارس نشاطه العلمي والثقافي وحواره مع أصحاب الفِرق والمذاهب بعيداً عن أُسلوب التقية، وقد آمن بإمامته العديد من رجالات أهل السنّة، بعد أن أعلن بشكل صريح إمامته يقول الأشعري القمّي[2] :

«وفرقة تسمى المحدّثة كانوا من أهل الإرجاء وأصحاب الحديث من النابتة (العامّة) فدخلوا في القول بإمامة موسى بن جعفر وبعده لعليّ بن موسى وصاروا شيعة...».

وقد اعتمدت السلطات في بعض الأحيان أُسلوب المراقبة عن بعد والتدخل في الوقت المناسب للسيطرة على علاقات الإمام بعموم الناس، ولهذا فإنّ

---

(١) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي قم، ج٢ ص٤٨٤.

(٢) المقالات والفِرق، مركز انتشارات العلم والثقافة طهران، ص٩٤.

استدعاء الإمام الرضاعليه السلام من المدينة المنوّرة إلى مرو في أقصى إقليم خراسان رافقته مجموعة خطوات احترازية في طليعتها تحديد خريطة لرحلة الإمام بحيث لا يكون مسيره في المناطق ذات التواجد السكاني الشيعي، ومن هنا نرى بعض المحطات التي مرّ بها الإمام في رحلته من قبيل البصرة والأهواز ولم يكن طريقه على الكوفة وقم، ومناطق الجبل في إيران، وهي مراكز شيعية في الغالب[١] .

ويروي اليعقوبي جوانب من رحلة الإمام الهادي من المدينة المنوّرة إلى سامراء مروراً ببغداد وكان المتوكل الطاغية العبّاسي المعروف قد قام باستدعاء الإمام إلى العاصمة لتسهل مراقبته، فعندما وصلت الأخبار أنّه بات قريباً من بغداد تجمّع الآلاف من سكان بغداد لاستقباله وهذا ما دفع بالمسؤولين إلى الانتظار قرب بغداد لحين حلول المساء ومن ثمّ دخول بغداد ومغادرتها إلى سامراء[٢] .

وبسبب اتساع التشيع وانتشاره في مختلف أقاليم الدولة العباسية فقد اعتمد الأئمة الأطهارعليهم السلام نظام الوكالات وانتخاب وكلاء ونواب لهم وإرسالهم إلى المناطق البعيدة ليكونوا حلقات وصل بينهم وبين قواعدهم الشعبية.

وقد بدأ العمل بالوكالات في عهد الإمام الصادق، وقد أصبح هذا النظام فعّالاً جداً بعد تشديد المراقبة على الأئمة وتعذّر اللقاء بهم، وجاء في بعض الدراسات التاريخية: إنّ نظام الوكالة تم تأسيسه في عهد الإمام الصادقعليه السلام ووصل ذروة فعاليته وأهميته في عهد الإمامين الهاديوالعسكريعليهما السلام[٣] .

وجاء في دراسة أُخرى: واجه الأئمة ظروفاً صعبة في عهد العبّاسيين كانت تتفاقم بمرور الزمن ولهذا ظهر الوكيل كأداة ارتباط بين الإمام وقواعده،

---

(١) انظر، پيشوائی، مهدي، سيرة الأئمة، مؤسسة الإمام الصادقعليه السلام، ط الثالثة (١٣٧٨ هـ. ش) ص٤٧٨.

(٢) ابن واضح المصدر السابق ص٥٠٣.

(٣) پور طباطبائي، سيد مجيد، تاريخ عصر الغيبة، المركز العالمي للعلوم الإسلاميّة ص٨٤.

ويتمحور نشاط الوكلاء في جمع الخمس والزكاة والنذور والهدايا في مختلف المناطق وإرسالها إلى الإمام وكذا رفع بعض الأسئلة والاستفسارات عن المشكلات الفقهية والعقيدية والارشادات السياسية[١].

والمناطق التي ينشط فيها الوكلاء عبارة عن: الكوفة، البصرة، بغداد، قم، واسط، الأهواز، همدان، سيستان، الري، الحجاز، اليمن، مصر والمدائن[٢]. وقد وصل التشيّع في القرن الرابع الهجري أعلى مدياته في الانتشار شرقاً وغرباً من العالم الإسلامي وهو انتشار لم يشهده مذهب بهذه السعة وبهذه المستويات من النمو[٣].

إنّ الفهرست[٤] الذي يقدّمه المقدسي عن المدن التي يقطنها الشيعة في أنحاء العالم الإسلامي في القرن الرابع تشير إلى هذه الحقيقة، وهناك إشارات ممّا ذكره المقريزي حول انتشار مذهب (الرافضة) في بلاد المغرب، الشام، ديار بكر، الكوفة، البصرة، بغداد وجميع العراق، بلاد خراسان، ماوراء النهر وكذلك الحجاز، اليمن، البحرين، وأنّه حدث بينهم (الشيعة) وأهل السنّة نزاعات لا تحصى»[٥].

وفي هذا القرن (الرابع) وصلت نسبة سكانها من الشيعة حدّاً بحيث كانت مراسم عاشوراء تجري بشكل واضح يعكس طابع الحزن على العاصمة العبّاسية يقول ابن كثير[٦]: «... ولم يمكن أهل السنّة منع ذلك لكثرة الشيعة وظهورهم

---

(١) پيشوائى، مهدى، المصدر السابق ص٥٧٣.

(٢) انظر رجال النجاشي، مكتب النشر الثقافي الإسلامي، جامعة المدرّسين، قم (١٤٠٤ هـ) ص٣٤٤ـ٨٤٧.

(٣) المقدسي، أبو عبدالله محمّد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ترجمة منزوي، شركة المؤلفين والمترجمين في إيران (١٣٦١ هـ. ش) ج١ ص١٣٦.

(٤) المصدر السابق ص١٤٤.

(٥) المقريزي، تقي الدين بن العباس أحمد بن عليّ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية) دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأُولى (١٤١٨ هـ) ج٤ ص١٩١.

(٦) البداية والنهاية، بيروت (١٩٦٦م) ج١١ ص ٢٧٦، إحياء التراث، بيروت ١٤١٣ هـ.

وكون السلطان معهم...».

وفي تلك الفترة شهد ظهور الدول الشيعية هنا وهناك من الأقاليم الإسلاميّة فقد قامت دولة العلويين في طبرستان في شمال إيران على امتداد إقليمي وگيلان ومازندران، وفي مصر تأسست الدولة الفاطمية، ونهضت الدولة الزيدية في اليمن، وقامت الدولة الحمدانية في شمال العراق وسوريا، وفي المناطق المركزية في إيران والعراق نهضت دولة البويهيين وكانوا هم الخلفاء الفعليين في الدولة العبّاسية.

ولا ننسى الإشارة إلى حدوث انفراج نسبي في التعامل مع الشيعة في فترات حكم بعض الخلفاء من قبيل المهدي، الأمين، المأمون، المعتصم، الواثق والمنتصر، وبعبارة أكثر وضوحاً أنّ هذه الفترات لم تشهد حالات اضطهاد وتعسف كالتي مرّ بها الشيعة في حكومات غيرهم، فقد نقل اليعقوبي إنّ المهدي العبّاسي أطلق سراح الطالبيين والشيعة من السجون والمعتقلات[1] بعد تولّيه الخلافة خلفاً لوالده المنصور.

أمّا في فترة حكم الأمين فقد انعكس انصراف الخليفة الشاب إلى ملذاته وبعدها انشغاله بالحرب مع أخيه المأمون على أوضاع الشيعة بشكل ايجابي وحدث نوع من الانفراج في التعامل معهم بعد سياسة القمع والاضطهاد التي مارسها والده هارون الرشيد تجاه الإمام الكاظمعليه السلام وأصحابه، وقد استمر الوضع خمس سنين وهي فترة حكم الأمين الذي لقي مصرعه بعد سقوط بغداد بأيدي قوات المأمون.

وقد استمرت الأجواء على هذا المسار في فترة المأمون والمعتصم، الواثق، وبعد الواثق جاء إلى الحكم المتوكل الذي اشتهر بعدائه الشديد لأهل البيت،

(١) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم ج٢ ص٤٠٤.

وفي عهده تدهورت أوضاع الشيعة وتعرضوا للمطاردة والملاحقة وقام المتوكل بتدمير مرقد الإمام الحسين وفتح مياه الفرات وإغراق الأرض المحيطة بالضريح بالماء بعد حرثها ومنع زيارة الإمام وإنزال أشدّ العقوبات بمَن يخالف ذلك[1].

يقول ابن الأثير[2]: «... إنّ المتوكل كان يبغض مَن تقدّمه من الخلفاء، المأمون والمعتصم والواثق في محبّة عليّ وأهل بيته وإنّما كان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب والبغض لعليّ منهم: عليّ بن الجهم الشاعر الشاميّ، من بني شامة ابن لؤي، وعمر بن فرج الرُّخجيّ وأبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة من موالي بني أميَّة وعبدالله بن محمّد بن داود الهاشمي المعروف بابن أترجة».

وشهدت فترة المتوكل صعود الشعراء النواصب الذين اتخذوا من هجاء أهل البيت ومهاجمة رموزهم وفي طليعتهم الإمام عليّ عليه السلام وسيلة لتحقيق المزيد من الثراء وحصل بعضهم على مناصب رفيعة بسبب ذلك.

وجاء الانقلاب العسكري الذي أطاح بحكومته ووصول ابنه المنتصر إلى الخلافة فوضع حدّاً لهذه السياسة وتنفس العلويون والشيعة عموماً الصعداء بعد خمسة عشر عاماً من القمع والاضطهاد هي فترة المتوكّل كلّها.

استعاد العلويون حقوقهم وممتلكاتهم المصادرة وأُعيد بناء مرقد الإمام الحسين عليه السلام ورفع المنع عن زيارته عليه السلام ولهذا قال البحتري أبرز شعراء تلك الفترة:

إنّ عليّاً لأولى بكم ... وأزكى يداً عندكم من عمر[3]

---

(١) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، دار الكتب العلمية، بيروت ج٥ ص٣١٢.

(٢) ابن الأثير الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت (١٤٠٢ هـ) ج٧ ص٥٦.

(٣) المصدر السابق.

السياسة العبّاسية إزاء قادة الشيعة

اتسم الحكم العباسي بنفوذ العناصر غير العربية فقد تسنّم الإيرانيون وبعدهم الأتراك أرفع المناصب وكانوا وزراء وقادة وأُمراء، وفي العصر العبّاسي الثاني كانت الخلافة في أشدّ فترات ضعفها، وأصبح الخلفاء أُلعوبة بأيدي الضبّاط الأتراك خاصّة بعد انتقال العاصمة من بغداد إلى سامراء وكان الخلفاء العبّاسيون يتوجسون خيفة من تزايد النفوذ الشيعي وانتشار التشيّع ولهذا اعتمدوا في الغالب أُسلوب المراقبة الشديدة على قادة الشيعة بالرغم من تفاوت الأُسلوب في التشدّد بين خليفة وآخر. وقد أشرنا آنفاً إلى أنّ الشيعة شهدوا حالات نسبية من الانفراج في عهد المهدي والمأمون والواثق على عكس فترات خلافة المنصور، الرشيد والمتوكل الذي عُرف باستبداده فعندما شعر المنصور بالخطر من محمّد النفس الزكية وأخيه إبراهيم قام بزج والدهما وأعمامهما في السجن[١] وحاول قتل الإمام الصادق أكثر من مرّة ولم يكن بينه وبين القتل سوى شبر[٢].

---

(١) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤١١هـ) ج٣ ص٣٢٤.

(٢) يروي ابن الجوزي: «... حجّ جعفر أربع وأربعين ومائة فقدم المدينة فقال لي: ابعث إلى جعفر بن محمّد مَن يأتيني به متعتاً قتلني الله إن لم أقتله قال: فتغافل عنه الربيع لينساه فاعاد عليه القول ثانياً فتغافل عنه فأعاد عليه ثالثاً وأغلظ له في الكلام فأرسل إلى جعفر فجاءه.

قال الربيع: فقلت له: يا أبا عبدالله اذكر الله فقد أرسل إليك لأمر عظيم وما أظنّك بناج.

فقال جعفر: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، ثمّ دخل على أبي جعفر فسلّم فلم يرد السلام وقال: أيّ عدو الله، اتخذك أهل العراق إماماً يجيئون إليك بزكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوايل قتلني الله إن لم أقتلك؟

فقال: يا أميرالمؤمنين! إن سليمان عليه السلام أعطى فشكر وأن أيوب عليه السلام أبتلي فصبر وإن يوسف ظلم فغفر وأنت من ذلك السنخ فاطرق أبو جعفر ملياً ثمّ رفع رأسه وقال: إليّ إليّ وعندي يا با عبدالله البري الساحة السليم الناحية القليل الغايلة جزاك الله من ذي رحم خيراً أو أفضل ما جازى به ذوي الأرحام عن أرحامها ثمّ تناول

كان الخلفاء العبّاسيون يعتبرون قادة الشيعة منافسين لهم ولهذا كانوا لا يألون جهداً في التخلّص منهم، فقد قام المنصور بإرسال شخص يدعى ابن المهاجر وأمره بالتوجّه إلى المدينة المنورة لغرض معرفة نوايا بعض الرموز من العلويين وكانت خطته أن يدّعي ابن المهاجر أنّه مبعوث من أهل خراسان وأنّه يحمل لهم أموالاً. وعندما قابل الإمام الصادق وعرض عليه الأموال وطلب منه التوقيع على الإستلام قام الإمام بفضح هذا المخطط وبيّن له بواعث من قد تسلّم ذلك[1]:

«... فقال: يا هذا اتق الله و تغر أهل بيت محمّد وقل لصاحبك: اتق الله ولا تغر أهل بيت محمّد فإنّهم قريبو العهد بدولة بني مروان وكلّهم محتاج... فقلت وماذاك أصلحك الله؟ فقال: ادن مني فدنوت فأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك...».

يقول أسد حيدر[2]: «... وصعبت على المنصور تلك الطرق التي اتخذها جعفر بن محمّد في حذره واحتياطه عن أي مؤاخذة من المنصور له ليستحل بها دمه فأنّه لم يبق طريقاً إلاّ سلكه من إرسال الكتب المزوّرة عن لسان شيعة جعفر بن محمّد يدعونه للنهوض وإرسال الأموال الكثيرة مع أناس استخدمهم... ولكن

يده فأجلسه معه على السدة وغلفه بالغالية حتى ظلّت لحيته تقطر ثمّ أجلسه معه على الفراش وأدناه إليه ثمّ قال: في حفظ الله وكلاته يا ربيع الحق أبا عبدالله جائزته وكسوته انصرف أبا عبدالله في حفظ الله وكنفه فانصرف.

قال الربيع: فلحقته وقلت له: رأيت عجباً قبل مجيئك وبعده أعجب منه فأخبرني بما قلت حين دخلت إليه.

فقال: دعوت الله بدعوات علّمني إياها أبي عن جدّي عن أبيه قلت وماهي؟

قال: اللّهمّ احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام أو يضام واغفر لي بقدرتك عليّ ولا أهلك وأنت رجائي، اللهمّ إنّك أكبر وأجلّ ممّن أخاف وأحذر، اللهمّ بك أدفع في نحره واستعيذ بك من شرّه.

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، مؤسسة انتشارات علاّمة، قم (بدون تاريخ) ج٤ ص٢٢٠ هـ.

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، دار الكتاب العربي، بيروت ط الثالثة (١٤٠٣ هـ) ج١ ص٤٦.

تلك المحاولات ذهبت بدون جدوى وكان نصيبها الفشل...».

وعندما وصل خبر وفاة الإمام الصادقعليه السلام إلى المنصور كتب إلى حاكم المدينة المنورة[1]: «... إنْ كان أوصى إلى رجل بعينه فقدّمه واضرب عنقه».

فجاء الجواب[2]: «أنّه أوصى إلى خمسة: أحدهم أبوجعفر المنصور ومحمّد بن سليمان وعبدالله وموسى وحميدة».

فقال المنصور: مالي إلى قتل هؤلاء سبيل.

وبعد وفاة المنصور ووصول المهدي إلى الخلافة قام بإطلاق العلويين من سجونه، يقول اليعقوبي[3]: «... ثمّ أمر بإخراج مَن في المحابس من الطالبيين وغيرهم من الناس فأطلقهم...».

ولهذا لم تشهد فترة المهدي قيام ثورة شيعية، ولم يذكر أبو الفرج الإصفهاني سوى اثنين من العلويين توفوا في عهده أحدهما عليّ بن العبّاس الحسني الذي اغتيل بالسم، والثاني عيسى بن زيد الذي توفي في فترة اختفائه منذ عهد المنصور[4].

وفي فترة حكم موسى الهادي تصاعدت حدّة البطش والاضطهاد للعلويين والشيعة عموماً يقول اليعقوبي[5] «وذلك أنّ موسى الهادي ألحّ في طلب الطالبيين وأخافهم خوفاً شديداً وقطع ما كان يجريه المهدي لهم من الأرزاق والأعطية

---

(١) إعلام الورى ج٢ ص١٣.

(٢) الطبرسي، أبو عليّ الفضل بن الحسن، إعلام الورى، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم (١٤١٧ هـ) ج٢ ص١٣ ـ ١٤.

(٣) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص٣٣٧الأعلمي بيروت ١٤١٣ هـ.

(٤) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي (١٤١٦ هـ) ص٣٤٢ ـ ٣٦١.

(٥) ابن واضح المصدر نفسه ص ٣٤٨ الأعلمي بيروت ١٤١٣ هـ.

وكتب إلى الآفاق في طلبهم وحملهم...».

وفي عهده ثار الحسين بن عليّ من ذرية الإمام الحسين الذي عُرف بـ «شهيد فخّ» وقد لقي الحسين مصرعه مع أعداد كبيرة من العلويين[١] وذكّرت معركة فخّ في مأساويتها مأساة كربلاء، وقد ساند الإمام الكاظم هذه الثورة ما حدا بالهادي إلى إطلاق تهديداته بقتل الإمام الكاظمعليه السلام الذي حمّله مسؤولية نشوب الثورة قائلاً[٢]: «.. والله ما خرج حسين إلاّ عن أمره ولا اتّبع إلاّ محبته لأنّه صاحب الوصية في أهل هذا البيت قتلني الله إن أبقيت عليه...».

وقبل أن ينفّذ تهديداته بقتل الإمام عاجله القدر في مؤامرة حيكت ونفذت ليلاً ليخلفه على الحكم أخوه هارون الرشيد الذي تعد فترة حكمه من أقسى المراحل التاريخية التي عاشها الشيعة بعد حكم المنصور، كان هارون الرشيد لا يتردد في القضاء على كلّ مَن يشك في ولائه وهو يعتبر العلويين عموماً ومعارضيه في عداد المحكوم عليهم بالإعدام منتظراً بذلك الفرصة المؤاتية.

فنراه مثلاً يمنح الأمان ليحيى بن عبدالله شقيق محمّد النفس الزكية مقابل تسليمه نفسه ثمّ يزجّه في السجن، ثمّ يأمر بقتله على نحو فجيع[٣].

وفي عيون أخبار الرضاعليه السلام قصة رهيبة تعكس دموية الرشيد وقسوته الرهيبة[٤]: «أنفذ إليّ هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب فلمّا دخلت عليه رأيته بين يديه شمعة تتقد وسيفاً أخضر مسلولاً وبين يديه خادم واقف، فلما قمت بين يديه ورفع رأسه إليّ، فقال: كيف طاعتك لأميرالمؤمنين؟

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، المصدر نفسه ص٣٦٦.

(٢) العلاّمة المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار ج٤٨ ص١٥١.

(٣) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٦ هـ).

(٤) الصدوق، عيون أخبار الرضا، دار العلم، قم ط (١٣٧٧ هـ) ج١ ص١٠٠، الأعلمي بيروت ١٤٠٤ هـ.

فقلت: بالنفس والمال فأطرق، ثمّ أذن لي في الانصراف، فلم ألبث في منزلي حتى عاد الرسول إليّ وقال: أجب أميرالمؤمنين، فقلت في نفسي: إنّا لله أخاف أن يكون قد عزم على قتلي وأنّه لما رآني استحيى مني، فوقفت إلى بين يديه فرفع رأسه إليّ فقال: كيف طاعتك لأميرالمؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد، فتبسّم ضاحكاً، ثمّ أذن لي في الانصراف، فلمّا دخلت منزلي لم ألبث أن عاد إليّ الرسول، فقال: أجب أميرالمؤمنين، فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفع رأسه إليّ وقال لي: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدين فضحك، ثمّ قال لي: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به الخادم قال: فتناول الخادم السيف وناولنيه وجاء بي إلى بيت بابه مغلق ففتحه فإذا فيه بئر في وسطه وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة ففتح باب بيت منها، فإذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والذوائب شيوخ وكهول وشبّان مقيدون، فقال لي: إنّ أميرالمؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء وكانوا كلهم علوية من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فاضرب عنقه حتى أتى على آخرهم، ثمّ رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر ثمّ فتح باب بيت آخر فإذا فيه أيضاً عشرون نفساً من العلوية من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام مقيدون، قال لي: إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر حتى أتى إلى آخرهم، ثمّ فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام مقيدون عليهم الشعور والذوائب، فقال لي: إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء أيضاً، فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر حتى أتيت على تسعة عشر نفساً منهم، وبقي شيخاً منهم عليه شعر، فقال لي: تباً لك يا ميشوم! أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قتلت من أولاده ستين

نفساً وقد ولدهم عليّ وفاطمةعليهما السلام؟! فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي فنظر إليّ الخادم مغضباً وزبرني فأتيت على ذلك الشيخ أيضاً فقتلته ورمى به في تلك البئر.

وبالرغم من اعتراف الرشيد بحقّانية الإمام الكاظم وتمجيده له فقد أمر باعتقاله ونقله من سجن إلى سجن والتضييق عليه وبعد سنوات طويلة من حياة السجون في الأقبية والمطامير قام هارون بدس السم إليه واغتياله.

وبعد استشهاد الإمام الكاظم جهّز هارون الرشيد حملة عسكرية بقيادة الجلودي إلى المدينة حيث أغار المهاجمون على دور أبي طالب ومصادرة ممتلكاتهم من حليّ وثياب النساء ويستثنى من الثياب ما كان على الجسم؛ وكان الجلودي يصرّ على تنفيذ الأوامر بنفسه ولكن الإمام الرضا حال دون ذلك وطلب من النسوة التخلّي عن حليهنّ حيث قام بتسليمها إلى الجلودي وجلاوزته[1].

أمّا المأمون فقد اعتمد سياسة ذكية جديدة في مراقبة نشاط قادة الشيعة والسيطرة على الحركات المسلحة الشيعية ولهذا فقد أقدم على انتخاب الإمام الرضاعليه السلام لولاية العهد، ثمّ عهد إلى تزويج الإمام الجواد نجل الإمام الرضا من ابنته، لكي تسهل مراقبة الإمام واتصالاته بقواعده ومحبّيه وعندما وصل المتوكل إلى الحكم والخلافة استخدم أسلوباً آخر فقد قام باستدعاء الإمام الهادي إلى سامراء ليكون تحت المراقبة المشدّدة والدائمة وفصله عن قواعده وشيعته ولهذا عرف الإمام الهادي وابنه بالإمامين العسكريين نسبة إلى سامراء التي عرفت بـ «العسكر» ذلك أنّ سامراء كانت عبارة عن ثكنة عسكرية كبرى أُسست لإسكان مئات آلاف من الجنود الأتراك.

---

(١) الأمين، السيد محسن، المصدر السابق ص٢٩.

خلاصة الدرس الثالث عشر

شهد العصر العبّاسي قفزة كبرى في انتشار التشيّع قياساً بالعصر الأموي فقد انتشر التشيّع شرقاً وغرباً من العالم الإسلامي المترامي الأطراف، كما نفذ التشيّع داخل أجهزة الدولة العباسية إذ نرى أعداداً ملحوظة بين المسؤولين كانوا من الشيعة فيهم وزراء وقضاة وقادة عسكريين حتى في مدينة بغداد عاصمة الدولة كان للشيعة نفوذاً واسعاً من أجل هذا نلاحظ أنّ سياسة الدولة العبّاسية تجاه الأئمة بشكل عام قد اعتمدت أُسلوب المراقبة المباشرة من عهد الإمام الرضاعليه السلام وعبر وسائل متنوعة.

وبسبب اتساع نطاق التشيّع وتنامي عدد الشيعة وانتشارهم في الأقاليم المختلفة من العالم الإسلامي اعتمد الأئمة نظام الوكالة في التواصل مع قواعدهم وشيعتهم.

وقد ظلّ التشيّع يشهد نمواً متسارعاً حتى وصل ذروته في القرن الرابع الهجري حيث نشهد في هذه الحقبة من التاريخ الإسلامي ظهور الدول الشيعية من الزيديين إلى الإسماعيليين إلى البويهيين والحمدانيين.

ويتفاوت أُسلوب العبّاسيين إزاء الأئمة من خليفة إلى آخر وكان المنصور، وهارون والمتوكل من أكثر العبّاسيين استبداداً واضطهاداً للشيعة.



أسئلة الدرس الثالث عشر

١ ـ تحدث بإيجاز عن انتشار التشيع في العصر العباسي. وماهي الوظيفة التي تؤدّيها الوكالة؟

٢ ـ تحدث بإيجاز عن التشيّع في القرن الرابع الهجري.

٣ـ هل اعتمد الخلفاء العبّاسيون أساليب متنوعة في سياستهم إزاء الشيعة؟ وضّح ذلك.

٤ ـ ماهي سياسة الخلفاء العبّاسيين في السيطرة على الشيعة؟

الدرس الرابع عشر

عوامل تنامي الشيعة في العصر العبّاسي

شهد العصر العبّاسي نمواً متزايداً للشيعة ولهذه الظاهرة عوامل وأسباب نشير إلى أبرزها:

١ ـ الهاشميون والعلويون في عصر بني أميَّة

كان الهاشميون يؤلفون طيفاً متوحداً في عهد بني أُميَّة فقد كان العبّاسيون والعلويون يعيشون حالة فريدة من الاتحاد والتضامن، وعندما بدأ النشاط العبّاسي الدعوي في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك نجده في حالة انسجام وتناغم مع ثورة زيد الشهيد ونجله يحيى بل يمكن القول إنّ النشاط الدعوي العبّاسي كان يستمد قوّته الإعلاميَّة والدعائية من معطيات تلك الوقائع يقول أبو الفرج الإصفهاني[١]: «وخرجت دعاة بني هاشم إلى النواحي عند مقتل الوليد بن يزيد واختلاف كلمة بني مروان فكان أوّل ما يظهرونه فضل عليّ بن أبي طالب وولده وما لحقهم من القتل والخوف والتشريد...».

وكان المنصور العبّاسي ثاني خلفاء بني العبّاس أحد رواة حديث وحادثة الغدير[٢].

ومن هنا فقد واجه العبّاسيون اعتراضات شديدة عندما شاهدوا كيف انقلب بنوالعبّاس على العلويين بعد تسلّمهم الحكم، وكان أوّل من اعترض على سياسة

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبين، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٦ هـ) ص٢٠٧.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى (١٤١٧ هـ) ج١٢ ص٣٤٠.

بني العبّاس القائد والداعية العبّاسي الكبير أبو سلمة الخلاّل الذي كان ينشط في العراق، فقد أعلن استياءه من انتهاج العبّاسيين سياسة القمع والاضطهاد إزاء العلويين فيما كانت الدعوة العبّاسية ترفع شعار: «الدعوة إلى الرضا من آل محمّد» وهكذا لقي أبو سلمة الذي لُقّب بـ «وزير آل محمّد» مصرعه على يد بني العبّاس بسبب اتّهامه بتأييد العلويين وتعاطفه معهم[1].

(١) وقد كان أبو سلمة حفص بن سليمان أراد الرجوع عمّا كان عليه من الدعوة العبّاسية إلى آل أبي طالب.

أبو سلمة يراسل جعفر الصادق وعبدالله بن الحسن:

فبعث بمحمّد بن عبدالرحمن بن أسلم وكان أسلم مولى لرسول الله ﷺ، وكتب معه كتابين على نسخة واحدة إلى أبي عبدالله جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، والى أبي محمّد عبدالله بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين! يدعو كلّ واحد منهما إلى الشخوص إليه ليصرف الدعوة إليه، ويجتهد في بيعة أهل خراسان له، وقال للرسول: العجل العجل، فلا تكوننّ كوافد عاد، فقدم محمّد بن عبدالرحمن المدينة على أبي عبدالله جعفر بن محمّد فلقيه ليلاً، فلما وصل إليه أعلمه أنه رسول أبي سلمة، ودفع إليه كتابه، فقال له أبو عبدالله وما أنا وأبو سلمة؟ وأبو سلمة شيعي لغيري، قال: إني رسول، فتقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت، فدعا أبو عبدالله بسراج ثمّ أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق، وقال للرسول: عرّف صاحبك بما رأيت، ثمّ أنشأ يقول متمثلاً بقول الكميت بن زيد:

أيا مُوقداً ناراً لغيرك ضوءها *** ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده وأتى عبدالله بن الحسن فدفع إليه الكتاب فقبّله وقرأه وابتهج به.

نصيحة الصادق لعبد الله بن الحسن

فلما كان من غد ذلك اليوم الذي وصل إليه فيه الكتاب ركب عبدالله حماراً حتى أتى منزل أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصاق، فلما رآه أبو عبدالله أكبر مجيئه، وكان أبو عبدالله أسنّ من عبدالله، فقال له: يا أبا محمّد، أمْرٌ ما أتى بك، قال، نعم وهو أجلّ من أن يوصف، فقال: وما هو يا أبا محمّد؟ قال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى ما أقبله، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان، فقال له أبو عبدالله: يا أبا محمّد، ومتى كان أهل خراسان شيعة لك؟ أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان؟ وأنت أمرته بلبس السواد؟ وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجّهت فيهم؟ وهل تعرف منهم أحداً؟ فنازعه عبدالله بن الحسن الكلام، إلى أن قال: إنما يريد القوم ابني محمّداً لأنه مهديّ هذه الأمّة، قال أبو عبدالله جعفر: والله ما هو مهدي هذه الأمّة، ولئن شهر سيفه ليقتلن، فنازعه عبدالله القول، حتى قال له: والله ما يمنعك من ذلك إلاّ الحسد، فقال أبو عبدالله: والله ما

وبالرغم من عدم تشيّع أبي سلمة الخلاّل الا إنّ حبّه لأهل البيت عليهم السلام لا يمكن إنكاره خاصّة وأنّه ينتمي إلى الهمدانيين القبيلة المعروفة، وكان الرجل يسكن الكوفة[١].

وتعد قبيلة همدان في طليعة القبائل القحطانية التي سبقت إلى التشيّع كما أن السيد محسن الأمين عدّ أبا سلمة ضمن الوزراء الشيعة[٢].

وكان العبّاسيون في بدء أمرهم يعلنون حبّهم ومودّتهم لأهل البيت عليهم السلام وهذا ما نجده في موقف أوّل خليفة عبّاسي وهو أبو العبّاس السفّاح فقد جاء في كتب التاريخ[٣]: «ولمّا أُتي أبو العباس برأس مروان ووضع بين يديه سجد فأطال السجود ثمّ رفع رأسه فقال: الحمد لله الذي لم يبقَ ثأري قبلك وقبل رهطك والحمدلله الذي أظفرني بك وأظهرني عليك ثمّ قال: ما أُبالي متى طرقني الموت قد قتلت بالحسين وبني أبيه من بني أُميّة مائتين وأحرقت شلو هشام بابن عمّي زيد بن عليّ وقتلت مروان بأخي إبراهيم...».

وبعد تثبيت دعائم الدولة العبّاسية برز انقسام وشرخ بين بني العبّاس والعلويين وشيعتهم، وهو أمر حصل مبكّراً في تاريخ الدولة العبّاسية وفي عهد المنصور على وجه التحديد الذي راح يطارد العلويين وبدأ في قسوته أشبه ما يكون بأي خليفة أُموي بل إنّ العبّاسيين فاقوا الأُمويين في قسوتهم وعنف ملاحقتهم.

هذا إلاّ نصح مني لك، ولقد كتب إليّ أبو سلمة بمثل ما كتب به إليك، فلم يجد رسوله عندي ماوجد عندك، ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه، فانصرف عبدالله من عند جعفر مغضباً...» مروج الذهب ج٣ ص٢٦٦ - ٢٦٧ دار الفكر بيروت ١٤٢٠ هـ.

(١) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، دار المعارف للمطبوعات، بيروت (بدون تاريخ) ج١ ص١٩٠.

(٢) الأمين السيد محسن، المصدر السابق.

(٣) المسعودي، عليّ بن الحسين، المصدر السابق ص٢٦٧ دار الفكر، بيروت ١٤٢١ هـ.

٢ ـ نهاية الحكم الأموي وظهور العبّاسيين

كان للفترة الانتقالية والتي شهدت الإرهاصات الأُولى لانهيار الحكم الأُموي وصعود العبّاسيين وفترة الصراع بين الطرفين دور واضح في توفير الفرصة والأجواء المساعدة للإمامين الباقر والصادقعليهما السلام لأن يقوما بنشاط واسع لإرساء دعائم مدرسة أهل البيتعليهم السلام وبالتالي ترسيخ مرتكزات التشيّع، فعلى يد الصادقعليه السلام خاصّة ترعرع مئات التلامذة في مختلف العلوم ونبغ فيهم علماء كبار من قبيل: هشام بن الحكم، محمّد بن مسلم، أبان بن تغلب، هشام بن سالم، مؤمن الطاق، المفضل بن عمر، جابر بن حيان و... وعلى حدّ تعبير الشيخ المفيد إنّ الثقاة من بينهم بلغ أربعة آلاف[1].

وكان العشرات يقصدون الإمام الصادق قادمين من كل حدب وصوب، ينهلون من علومه ويبدّدون ما علق بأذهانهم من الشبهات ومن الطبيعي أنّ هذه الأعداد الكبيرة عندما تعود إلى أوطانها تحمل معها بذور التشيّع لتنمو هنا وهناك.

هجرة العلويين

وفي طليعة عوامل انتشار التشيّع في العصر العباسي هجرة العلويين وانتشارهم في مختلف أقاليم ومناطق العالم الإسلامي وإن كان بعض المهاجرين يحملون معهم التشيّع على المذهب الزيدي، بل هناك من العلويين مَن كان ناصبياً[2].

ولكن الطابع العام للعلويين هو التشيّع وأنّ بواعث هجرتهم كانت تكمن في ذلك.

وقد انتشر السادة العلويون في مناطق ما وراء النهر إلى الهند، وإلى أفريقيا،

---

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد، ترجمة محمّد باقر الساعدي الخراساني، المكتبة الإسلاميّة (١٣٦٧ هـ) ص٥٢٥.

(٢) انظر ابن عنبه، عمدة الطالب، المطبعة الحيدرية، النجف (١٩٦١ م) ص٧١، ٢٠٠، ٢٥٣.

هذه الهجرة وإن كانت قد بدأت في زمن الحجّاج لكنّها اشتدّت في عصر العبّاسيين بسبب فشل وإخفاق ثوراتهم.

وكانت المناطق الجبلية في إيران وغابات الشمال في گيلان ومازندران والى المناطق النائية في خراسان مكاناً آمناً للفارّين، فقد لجأ إلى إقليم مازندران الذي كان يدعى «طبرستان» يحيى بن عبدالله الحسني وعندما اشتدّت شوكته وقوي أمره حاول هارون الرشيد الإيقاع به من خلال التفاوض معه على الصلح وقد فاوضه الفضل بن يحيى، فاشترط أن يوقّع الرشيد وثيقة الأمان، حيث استجاب الرشيد لذلك[1] ثمّ نكث الوثيقة واغتاله في السجن.

ثمّ تلاه في هجرته شخصيات عديدة من السادة العلويين فانتشر التشيّع، بل وانتشر الإسلام في بعض النواحي التي لم تكن قد اعتنقت الإسلام، وقد تنامى التشيّع بشكل سريع حيث سنشهد قيام الدولة العلوية في طبرستان في منتصف القرن الثالث الهجري والتي قام بتأسيسها الحسن بن زيد العلوي. وقد أصبحت هذه الدولة في شمال إيران ملاذاً للعلويين يقول ابن اسفنديار: «وقد التفّ حوله بعدد أوراق الشجر من السادات العلويين وبني هاشم في الحجاز وأطراف الشام والعراق وكان إذا وضع رجله في الركاب أحدق به ثلاثمائة علوي بأيديهم السيوف»[2].

وعندما انتدب المأمون الإمام الرضا لولاية العهد، ولّى إخوته وأقاربه وجوههم نحو إيران وتحديداً إقليم خراسان يقول المرعشي: «ولمّا بلغهم نبأ ولاية العهد جاء أخوته وبنو عمومته من كل حدب وصوب، حتى إذا سمعوا بغدر المأمون بالإمام لجأوا إلى جبال الديلم وطبرستان واستشهد بعضهم

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم الطبعة الثانية (١٤١٦ هـ - ١٣٧٣هـ. ش) ص٣٨٩ - ٣٩٥.

(٢) تاريخ طبرستان ورويان ص٢٩٠.

وأصبحت قبورهم مزارات، وكانت تلك المناطق تدين بالولاء لعلي عليه السلام فسهل على ذريته المقام بينهم وكرمت وفادتهم»[١].

وبعد اخفاق ثورة (فخ) في عهد الإمام الهادي العبّاسي ومصرع قائدها الحسين بن عليّ الحسني وفرّ إدريس بن عبدالله أخوه محمّد النفس الزكية إلى شمال افريقيا ليؤسس دولة الأدارسة في المغرب وبالرغم من دس السم إليه من قبل الخليفة العبّاسي في بغداد الا إنّ أتباعه من المخلصين استطاعوا تثبيت هذه الدولة ليحكم أولاده مدة قرن تقريباً[٢].

وأصبحت دولة الأدارسة هي الأُخرى محطّ أنظار العلويين وكانوا يسعون للوصول إليها ولهذا كتب المتوكل إلى حاكم مصر بطرد العلويين في مصر بعد استحصال ثلاثين ديناراً عن كل رجل وخمسة عشرة ديناراً عن كل امرأة[٣].

وهناك تعليمات سابقة بشأن العلويين في مصر تفيد بما يلي: عدم تمليك العلويين الأرض، عدم السماح لهم بامتطاء الخيل والاّ يغادروا عاصمة الإقليم ولا يحق لهم امتلاك أكثر من عبد واحد[٤].

وقد اشتدّت شوكة العلويين وأصبح لهم أنصاراً كثيرين جداً ما جعلهم يثورون مغتنمين أوّل فرصة مؤاتية.

يقول المسعودي[٥]: «... وفي عام ٢٧٠ هـ ثار أحد الطالبيين بصعيد

---

(١) المرعشي، تاريخ طبرستان وروبان ومازندران، نشر گستر، طهران (١٣٦٣ هـ. ش) ص٢٧٧، ٢٧٨.

(٢) أبوالفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبين، منشورات الشريف الرضي، قم، ط الأُولى والثانية (١٤١٦ هـ - ١٣٧٤ هـ. ش) ص٤٠٦، ٤٠٩.

(٣) آدم متز، الحضارة الإسلاُميّة في القرن الرابع الهجري، ترجمة عليّ رضا ذكاوتي قراگوزلو، مؤسسة انتشارات أمير كبير طهران (١٣٦٤ هـ. ش) ص٨٣ نقلاً عن الولاة والقضاة للكندي ص١٩٨.

(٤) المصدر السابق نقلاً عن الولاة والقضاة للكندي ص٢٠٣ - ٢٠٤.

(٥) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت، ط الأُولى (١٤١١ هـ) ج٤ ص٣٣٦.

مصر ويدعى أحمد بن عبدالله... واستطاع أحمد بن طولون أن يقبض عليه ويقتله».

وهكذا فقد أصبح العلويون أكبر وأقوى المنافسين للعبّاسيين على الخلافة، ولهذا عندما قرر المعتضد سبَّ معاوية على المنابر وأعدّ مرسوماً بذلك دار هذا الحوار بينه وبين وزيره الذي أقنعه بخطورة هذا الإجراء[1] :

«... عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر وأمر بإنشاء كتاب بذلك يُقرأ على الناس فخوّفه عبيدالله بن سليمان بن وهب من اضطراب العامة وأنّه لا يأمن أن تكون فتنة فلم يلتفت إلى ذلك من قوله... وذكر أنّ عبيدالله بن سليمان أحضر يوسف بن يعقوب القاضي وأمره أن يعمل الحيلة في إبطال ما عزم عليه المعتضد فمضى يوسف بن يعقوب فكلّم المعتضد عن ذلك وقال له: يا أمير المؤمنين؛ إنّي أخاف أن تضطرب العامة ويكون عند سماعها هذا الكتاب أن تقوم بحركة فقال: إن تحركت العامّة أو نطقت وضعت سيفي فيها، فقال: يا أميرالمؤمنين ما تصنع بالطالبيين الذين هم في كل ناحية يخرجون ويميل إليهم كثير من الناس لقرابتهم من الرسول ومآثرهم وفي هذا الكتاب إطراؤهم أو كما قال، وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم إميل وكانوا هم أبسط ألسنة وأثبت حجّة منهم اليوم فأمسك المعتضد فلم يردّ عليه جواباً ولم يأمر في الكتاب بعده بشيء...».

لقد كان العلويون يحظون بالاحترام البالغ لدى عموم الناس ولهذا فأنّهم يبنون مراقد لهم بعد وفاتهم وتصبح أضرحتهم مزارات يتبرّكون بها، أمّا في حياتهم فإنّ الناس كان يلتفّون حولهم ويدافعون عنهم.

فعندما لجأ محمّد بن القاسم إلى خراسان في عهد المعتصم

---

(١) الطبري، أبوجعفر محمّد بن جرير، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت ط الثانية (١٤٠٨ هـ) ج ص٦٢٠ ـ ٦٢٥.

إلتفّ حوله أربعون ألف رجل في مدة قصيرة وبنوا له قلعة بالغة الاستحكام[1].

ولقد امتاز العلويون عموماً بالطهر والتّقى في مقابل ما اشتهر به الخلفاء الأُمويون والعبّاسيون من فسق وفجور إضافة إلى أنّ العلويين كانت لهم مظلوميتهم وقضاياهم العادلة التي تعاطف معها الرأي العام فكسبوا بذلك حبّ الناس وتأييدهم وقد أشرنا إلى ما قاله المسعودي كيف أنّ الناس سمّوا مواليدهم من الذكور (يحيى) في العام الذي استشهد فيه يحيى بن زيد الشهيد[2].

عوامل هجرة السادة العلويين

يمكن أن نحدد ثلاثة عوامل كانت وراء هجرة العلويين إلى مختلف أقاليم الدولة الإسلاميّة وهي:

١ ـ إخفاق ثورات العلويين.

٢ ـ الضغوط التي تمارسها أجهزة الدولة بحقّهم.

٣ ـ وجود الأرضية المناسبة للهجرة.

١ ـ إخفاق ثورات العلويين

عقب إخفاق كل ثورة تشتد حالة المطاردة للثائرين ما يجعل البقاء في العراق والحجاز أمراً مستحيلاً بسبب قربهما من العاصمة بغداد، ولهذا نشهد حالة من فرار العلويين إلى المناطق النائية، وقد أشار المسعودي على سبيل المثال إلى فرار وهروب إخوة محمّد النفس الزكية بعد مصرعه وفشل الثورة. يقول المسعودي[3]: «... وقد كان تفرّق إخوة محمّد وولده في البلدان يدعون إلى

---

(١) المسعودي، عليّ بن الحسين، المصدر السابق ج٤ ص٦٠.

(٢) المصدر السابق ج٣ ص٢٣٦.

(٣) المسعودي، المصدر السابق ج٣ ص٣٩٦ دار الهجرة قم ١٤٠٤ هـ.

إمامته؛ وكان فيمن توجه ابنه عليّ بن محمّد إلى مصر، فقتل بها، وسار ابنه عبدالله إلى خراسان فهرب لما طلب إلى السّند. فقُتل هناك. وسار ابنه الحسن إلى اليمن؛ فحبس فمات في الحبس، وسار أخوه موسى إلى الجزيرة، ومضى أخوه يحيى إلى الريّ ثمّ إلى طبرستان، ومضى أخوه إدريس بن عبدالله إلى المغرب فأجابه خلق من الناس، اغتاله بالسم فيما احتوى عليه من مدن المغرب».

٢ ـ الضغط الحكومي

عادة ما يكون تواجد العلويين في العراق والحجاز تحت نير ظغوطات الحكومة بسبب حساسية الأقليمين وقربهما من العاصمة بغداد، وقد علّل المسعودي سبب هجرة محمّد بن القاسم إلى خراسان بعد أن واجه ضغوطاً من المعتصم الخليفة العبّاسي.

٣ ـ وجود الظروف المؤاتية

إنّ وجود مناطق تجتذب المهاجرين وتساعد على الهجرة وما يحظى به المهاجرون العلويون عادة من موقع اجتماعي شجّع العلويين على الهجرة إلى مناطق مثل قم، طبرستان وخراسان.

خلاصة الدرس الرابع عشر

إنّ عوامل انتشار وتنامي التشيّع في عصر العبّاسيين عبارة عن:

١ ـ إنّ الهاشميين من العلويين والعباسيين كانوا يؤلّفون طيفاً واحداً في مقابل الأمويين وقد استمر ذلك الوضع حتى خلافة المنصور الدوانيقي وكان دعاة بني العباس يؤكدون على أفضلية الإمام عليّ عليه السلام.

٢ ـ إنّ الفترة الانتقالية وبدء إرهاصات انهيار الحكم الأموي وصعود بني

العبّاس كانت مساعدة جداً لقيام الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام بنشاطات واسعة في إرساء دعائم مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

٣ ـ كما أنّ هجرة العلويين كانت في طليعة العوامل التي ساعدت على انتشار التشيّع إلى مختلف مناطق العالم الإسلامي ولم يكن للعلويين توجه غير التشيّع فانتشر في ما وارء النهر والهند وشمال أفريقيا.

وقد نشر العلويون الإسلام في مناطق من طبرستان وكان المذهب الشيعي في الإسلام أوّل ما تعرّفوا عليه.



أسئلة الدرس الرابع عشر

١ ـ ماهي عوامل تنامي الشيعة في العصر العباسي؟

٢ ـ ماهي آثار هجرة العلويين في انتشار التشيّع؟

٣ ـ ماهي عوامل هجرة العلويين؟

الفصل الرابع
الثورات الشيعية والعلوية
في العصر الأموي

الدرس الخامس عشر

الثورات الشيعية والعلوية في العصر الأموي

تُعد ثورة كربلاء ومعركة عاشوراء البداية الحقيقية للأعمال المسلحة التي قام بها الشيعة في مطلع الستينات من القرن الأول الهجري الا إنّنا سنبحث مسألة كربلاء فيما بعد.

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام اندلعت ثورتان شيعيتان هما ثورة التوّابين وثورة المختار الثقفي، ولم تكن قيادة كل من الثورتين علوية بل كانوا من خلّص الشيعة وفيما يخصّ ثورة التوّابين هناك إجماع على أنّ قادة الثورة كانوا من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحاب الإمام عليّ عليه السلام[1].

أمّا ثورة المختار الثقفي فهناك جدل بين مَن يؤكد حسن نواياه وإخلاصه وصدق تشيّعه وبين من يشك فيه وفي أهداف ثورته الا إنّ ماورد فيه من قدح جاء في الغالب من خصومه فقد روّج الأمويون وحتى الزبيريون حشداً من الشائعات التي لا تثبت أمام النقد والبحث والدراسة.

وحول تأثير الحركات المسلحة في توسعة التشيّع وتناميه يتوجب القول إنّ ثورة التوّابين التي استغرقت زمناً قصيراً نسبياً لم يتسنّ لها أن تلعب دوراً في نشر التشيّع الا إنّها رسخت وعمّقت حبّ آل البيت عليهم السلام في النفوس، وعززت من عقائد الشيعة وعملت على تجذيرها أكثر فأكثر. الا إنّ ثورة المختار الثقفي كان لها الدور الكبير في تنمية التشيّع وتوسيع رقعته، فقد تمكنت من حشد التأييد

---

(١) انظر الدكتور سيد حسين الجعفري، التشيّع في مسار التاريخ، ترجمة الدكتور سيّد محمّد تقي آيت اللهي، مكتب النشر الإسلامي، ط التاسعة (١٣٧٨ هـ. ش) ص٢٦٨ ـ ٢٧٣.

الواسع في صفوف الموالي من غير العرب[١] وأصبح للتشيّع عمقه الاستراتيجي الذي راح يتمدّد شرقاً في إيران حتى إقليم خراسان وسوف نشهد بعد حوالي نصف قرن أو أكثر بقليل ظهور أصحاب الرايات السود ورفعها شعار: «الدعوة إلى الرضا من آل محمّد ﷺ» ولسلسة الثورات العلوية التي اندلعت في أواخر العصر الأُموي حالة من التناغم والانسجام مع النشاط العباسي الدعوي وقد أشرنا إلى توحّد العلويين والعبّاسيين تحت راية بني هاشم مؤلفين طيفاً موحداً في مقابل بني أُميَّة وكان أبو العبّاس السفاح وأخوه المنصور قد بايعا فيما مضى محمّداً النفس الزكية وهو من أحفاد الإمام الحسن السبط، ولكن ما أن انتصرت الثورة العبّاسية إذا بمحمّد النفس الزكية وأخيه إبراهيم وجمع آخر من العلويين يلقون مصارعهم على أيدي العبّاسيين.

وعلى امتداد القرن الثاني الهجري كانت ثورات العلويين ذات طابع زيدي حيث الايديولوجيا الزيدية هي المحرّك والموجّه لهذه الثورات.

وقد استثمر العبّاسيون ثورة زيد الشهيد أفضل استثمار وأفادوا منها كثيراً في تحقيق أهدافهم ويشير أمير عليّ وهو مؤرخ معاصر، إلى أنّ استشهاد زيد قد عزز من الدعاية لخلافة بني العبّاس كما أنّهم قد تخلّصوا من منافس قوي وسنرى بعد ذلك أن أبا مسلم يستعرض قوّته للإطاحة ببني أُميَّة»[٢].

---

(١) جعفريان، رسول التشيّع في إيران، من البداية حتى القرن السابع الهجري (شركة الطبع والنشر في منظمة الإعلام الإسلامي) ط الخامسة (١٣٧٧ هـ) ص٧٦.

(٢) أمير علي، تاريخ العرب والإسلام، ترجمة فخر داعي الگيلاني، انتشارات گنجينة، طهران ط الثالثة (١٣٦٦ هـ. ش) ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

أ: ثورة زيد الشهيد

هو نجل الإمام عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام وأخو الإمام الباقر عليه السلام ثار على حكم هشام بن عبدالملك الخليفة الأُموي وكان هدفه الإطاحة بالنظام الأُموي الغاشم وقد بدأت إرهاصات الثورة بسفر زيد إلى دمشق وتقديم شكوى ضد يوسف بن عمرو حاكم العراق، وهناك تعرّض لمحاولات هشام في إذلاله الذي راح يؤنّبه وينكّل به فخرج من القصر غاضباً مصمّماً على الثورة واتّجه نحو الكوفة لتعبئة الرأي العام ضد بني أُميّة وفي الاشتباكات العنيفة أُصيب زيد بسهم قاتل وانتهت الثورة[١] .

وقد وردت بعض الروايات التي تنال من زيد وثورته ولكنّ الحشد الأكبر من الأحاديث الورادة في حقّه تفنّد بعض ما قيل فيه.

ذلك أنّ الروايات الصحيحة تمجّد زيد وتجلّه يقول الشيخ المفيد[٢]:

واعتقد فيه كثير من الشيعة الإمامة، وكان سبب اعتقادهم ذلك فيه خروجه بالسيف يدعو إلى الرضا من آل محمّد فظنّوه يريد بذلك نفسه، ولم يكن يريدها لمعرفته عليه السلام باستحقاق أخيه للإمامة من قبله، ووصيّته عند وفاته إلى أبي عبدالله عليه السلام .

ويقول العلاّمة المجلسي معلّقاً على بعض الروايات في زيد[٣] :

ثمّ اعلم أنّ الأخبار اختلفت وتعارضت في أحوال زيد وإضرابه كما عرفت

---

(١) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤١١هـ) ج٣ ص٢٢٨، ٢٣٠.

(٢) الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الإرشاد، ترجمة محمّد باقر الساعدي الخراساني، المكتبة الإسلاميّة ص٥٢٠.

(٣) العلاّمة المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار ج٤٦ ص٢٠٥.

لكنّ الأخبار الدالّة على جلالة زيد ومدحه، وعدم كونه مدّعياً لغير الحق أكثر وقد حكم أكثر الأصحاب بعلوّ شأنه، فالمناسب حسن الظن به، وعدم القدح فيه بل عدم التعرّض لأمثاله من أولاده المعصومين عليهم السلام إلاّ من ثبت من قبل الأئمة عليهم السلام الحكم بكفرهم، ولزوم التبرّي عنهم».

ويقول آية الله الخوئي(رحمه الله)[1] : وقد استفاضت الروايات غير ما ذكرناه في مدح زيد وجلالته وأنّه طلب بخروجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وجميع الروايات القادحة ضعيفة...».

وهناك روايات وشواهد عديدة في أنّ ثورة زيد الشهيد كانت تتمتّع بتأييد الإمام الصادق عليه السلام، وما يؤيّد ذلك قول الإمام الرضا عليه السلام في جواب المأمون حيث قال عليه السلام[2]: «ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام أنه سمع أباه جعفر بن محمّد بن عليّ عليهم السلام، يقول: رحم الله عمّي زيداً أنه دعا إلى الرضا من آل محمّد، ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، ولقد استشارني في خروجه، فقلت له: يا عمّ إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة[3] فشأنك، فلمّا ولّى، قال جعفر بن محمّد: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه .

أجل لقد كان زيد شيعياً مخلصاً مؤمناً بإمامة ابن أخيه الإمام الصادق عليه السلام[4] .

وكان زيد الشهيد يصرّح بوضوح، بعدم إمامته ولهذا لم يدعُ إلى نفسه وإنّما كان يدعو إلى الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله كما صرّح بذلك الإمام الصادق[5] .

---

(١) الخوئي، السيّد أبو القاسم، معجم رجال الحديث، ط بيروت ج٧ ص٣٤٧، مدينة العلم ١٤٠٣ هـ.

(٢) الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤٠٤ هـ) ج١ ص٢٢٥.

(٣) الكناسة: محلّة في ظاهر الكوفة، الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى (١٤١٧ هـ) ج٤ ص١٥٣.

(٤) الشيخ الصدوق، الأمالي، المطبعة، قم (١٣٧٣ هـ ج٩ ص٣٢٥.

(٥) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، تحقيق سيّد مهدي رجائي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.

وقد تكفّل الإمام الصادق أُسرة زيد بعد استشهاده(رضي الله عنه)[١]، وكان الإمام يتفقّد أسر الشهداء الذين لقوا مصارعهم مع عمّه الشهيد في ثورته وقد وزع بينهم ذات مرّة ألف دينار[٢].

وممّا يمكن القول إنّ ثورة زيد الشهيد كانت كثورة التوّابين وثورة المختار من حيث شيعيّتها وشرعيتها، وكانت ثورة على الظلم والاضطهاد والقهر وانتصاراً للحقّ وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وهي من حيث الأُسلوب والمنهج تختلف كليّاً عن مسار الثورات الزيدية.

ب - ثورة يحيى بن زيد

بعد استشهاد زيد(رضي الله عنه) سنة (١٢١ هـ) أخذ يحيى نجله على عاتقه السير على خطى والده الشهيد، حيث توجه إلى المدائن ومنهاالى إقليم خراسان كما عاش مدّة متخفياً في مدينة بلخ، ثمّ أُلقي القبض عليه من قبل نصر بن سيّار ليزجّ في السجن وبعد وفاة الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك تمكّن يحيى من الفرار والتفّ حوله الكثيرون من شيعة خراسان فقادهم في طريق الثورة متجهاً إلى نيسأبور حيث اشتبك مع حاكمها عمرو بن زرارة القسري وألحق به الهزيمة وفي الجوزجان اشتبك مع جيوش أُموية تفوق قواته عدّة وعدداً وأُصيب بسهم في جبينه وتشتت قواته بعد استشهاده[٣].

وعلى خلاف ثورة زيد فإنّ ثورة نجله يحيى كانت ثورة زيدية الطابع وهذا مايمكن استنتاجه من الحوار الذي دار بينه وبين المتوكل بن هارون وهو أحد

---

(١) الإصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم، (١٤١٦ هـ) ص٣٣١.

(٢) الشيخ المفيد، المصدر السابق ص٣٤٥.

(٣) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٢.

أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وكان يحيى يعتقد بشكل أو بآخر بأنّ والده كان إماماً وأنّه ورث الإمامة عن والده، والزيدية كما هو معروف تقول بإمامة من ينهض بالسيف[١].

ومن هنا ظهرت فرقة الزيدية وتبلور مسارها بعيداً عن مسار الشيعة الإماميّة الإثني عشرية والشيعة الزيدية لا يأخذون مسائلهم الفقهية عن الأئمة المعصومين لأنّ فقه الزيدية يختلف في مرتكزاته عن الفقه الإمامي الاثني عشري.

خلاصة الدرس الخامس عشر

اندلعت ثورات الشيعة بعد واقعة عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وقد تفجّرت ثورة التوّابين وثورة المختار من أجل الثأر للإمام الحسين عليه السلام ولم يكن قادة كلا الثورتين من العلويين بل من رموز الشيعة ولهم

---

(١) الصحيفة السجادية (المقدمة): متوكل بن هارون قال: لقيت يحيى بن زيد بن عليّ عليه السلام وهو متوجه إلى خراسان بعد قتل أبيه فسلمت عليه فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من الحج. فسألني عن أهله وبني عمّه بالمدينة وأحفى السؤال عن جعفر بن محمّد عليه السلام فأخبرته بخبره وخبرهم وحزنهم على أبيه زيد بن عليّ عليه السلام، فقال لي: قد كان عمّي محمّد بن عليّ عليه السلام أشار على أبي بترك الخروج وعرّفه إن هو خرج وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره، فهل لقيت ابن عمّي جعفر بن محمّد عليه السلام فقلت: نعم. قال: فهل سمعته يذكر شيئاً من أمرني؟ قلت: نعم. قال: بم ذكرني؟ خبرني. قلت: جعلت فداك ما أحبّ أن استقبلك بما سمعته منه، فقال: أبالموت تخوّفني؟! هات ما سمعته، فقلت: سمعته يقول: إنّك تقتل وتصلب كما قتل أبوك وصلب فتغير وجهه وقال: يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب. يا متوكل إنّ الله عزّ وجل أيّد هذا الأمر بنا وجعل لنا العلم والسيف فجمع لنا وخصّ بنو عمّنا بالعلم وحده. فقلت: جعلت فداك إنّي رأيت الناس إلى ابن عمك جعفر عليه السلام أميل منهم إليك والى أبيك. فقال: إنّ عمّي محمّد بن عليّ وابنه جعفراً عليهما السلام دعوا الناس إلى الحياة ونحن دعوناهم إلى الموت. فقلت: يا بن رسول الله أهم أعلم أم أنتم؟ فأطرق إلى الأرض ملياً ثمّ رفع رأسه وقال: كلنا له علم غير أنهم يعلمون كلما نعلم. ولا نعلم كلما يعلمون. ثمّ قال لي: اكتبت من ابن عمّي شيئاً؟ قلت: نعم. قال: أرنيه، فأخرجت إليه وجوهاً من العلم، وأخرجت له دعاءً أملاه عليّ أبو عبدالله عليه السلام وحدّثني أن أباه محمّد بن عليّ أملاه عليه، وأخبره أنه من دعاء أبيه عليّ بن الحسين عليه السلام من دعاء الصحيفة الكاملة...

دورهم في ترسيخ التشيع وانتشاره.

وثار زيد الشهيد على حكم الطاغية الدموي هشام بن عبدالملك وكان زيد من الأتقياء الصالحين وقد ثار من أجل الإطاحة بالظلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحظيت ثورته بتأييد من الإمام الصادق عليه السلام.

وبعد استشهاد زيد اتّجه ابنه إلى خراسان ليعلن الثورة ضد بني أُميّة ولكنّه لقي نفس مصير والده حيث نبت سهم في جبينه وهوى شهيداً. وتختلف ثورة يحيى عن ثورة والده في أنّ ثورته كانت زيديّة.

* * *

أسئلة الدرس الخامس عشر

١ ـ متى بدأت ثورات الشيعة؟

٢ ـ ماهي أهداف ثورة زيد الشهيد؟

٣ ـ بماذا تختلف ثورة يحيى بن زيد عن ثورة والده؟

الدرس السادس عشر
الثورات الشيعية والعلوية في العصر العبّاسي

يمكن تقسيم الثورات التي اندلعت في العصر العباسي حتى مطلع القرن الرابع الهجري إلى قسمين الثورات التي تمتلك برنامج زيدي والثورات التي لا تمتلك برنامج مسبق وأشبه ما تكون بالانتفاضات التي تحدث هنا وهناك.

١ ـ الثورة الزيدية

يشكّل الشيعة الزيدية الأكثرية في الطيف الشيعي في القرون: الأوّل والثاني والثالث الهجري وهم يعتبرون الخلافة والإمامة حقاً لأولاد فاطمة الزهراء عليها السلام كما أنّهم ينظرون إلى العبّاسيّين باعتبارهم غاصبين، ولهذا فقد فجّروا سلسلة من الثورات المنظمة التي خطّط لها بشكل دقيق، وقد نجحت بعض ثوراتهم وأسفرت عن قيام دول شيعية كما هو الحال في الدولة العلوية في طبرستان ودولة الأدارسة في المغرب والدولة الزيدية في اليمن.

والشيعة الزيدية تنظر إلى محمّد النفس الزكية وإبراهيم باعتبار أنّهما إمامين ذلك أنّ يحيى بن زيد قد أوصى لهما، ومن هنا فإنّ الإمامة انتقلت من بني الحسين عليه السلام إلى بني الحسن وكان إبراهيم الذي خلف أخاه محمّد النفس الزكية قد ثار في مدينة البصرة ضد العبّاسيين وقد أوصى إلى عيسى الابن الآخر لزيد الشهيد، وبعد مصرع إبراهيم فرّ عيسى بن زيد واختفى عن الأنظار وتوفي في عهد الخليفة المهدي أثناء فترة اختفائه[1].

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني المصدر السابق ص٣٤٥.

لم تتفق الشيعة الزيدية على قائد محدّد بعد مصرع محمّد النفس الزكية وإبراهيم ولهذا فقد كانوا يبحثون عن رمز من أولاد فاطمة تتوافر فيه الشجاعة ويشهر السيف، وقد ظلّ الزيدية في حالة اختلاف حتى سنة (٣٠١ هـ) حيث ظهر الحسين بن عليّ الحسني الذي عرف بالأطروش والذي أعلن الثورة في خراسان واستطاع السيطرة على گيلان ومازندران ومن ثمّ تشييد كيان سياسي قوي للزيدية[1]؛ ولهذا فقد كان العباسيون في قلق دائم من خطر الزيدية وكانوا يسعون جاهدين للقضاء على كلّ الشخصيات التي تشمّ فيها رائحة الزعامة خاصّة من ذرية زيد الشهيد؛ فقد كانت أجهزة الحكم ترصد الجوائز المغرية لكل من يأتي برأس زيدي معروف إضافة إلى بث الجواسيس في كل مكان وتعقب تحركاتهم ووضع التقارير باستمرار حول نشاطاتهم[2] حيث نرى مثلاً إنّ هارون الرشيد يصدر أمراً باعتقال أحمد بن عيسى[3] بعد وفاة والده...

على أنّ هناك من بني الحسن شخصيات كبيرة كانت في قيادة الثورات لم تكن تتحرك وفق المنهج الزيدي ولم تكن لها قناعات ثابتة بمرتكزات المذهب الزيدي، ولهذا نجد أنّ بعض الثورات وعندما تحصل اشتباكات ضارية جداً فأنّ

---

(١) المسعودي عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت (١٤١١هـ) ج٤ ص٣٩٣، ٣٩٤ والشهرستاني، كتاب الملل والنحل، منشورات الشريف الرضي، قم (١٣٦٤ هـ. ش)ج١ ص١٣٩.

(٢) بعد تمكّن أحمد بن عيسى بن زيد من الفرار من السجن أوعز هارون الرشيد إلى شخص يدعى «ابن الكردية» بالتوجه إلى نواحي الكوفة والبصرة وأن يظهر التشيّع وأن يوزّع الأموال ويقسّمها بين الشيعة والزيدية ليتمكّن من الكشف عن مخبأ أحمد بن عيسى ومحل اختفائه.

وقد قام ابن الكردية هذا ببذل الجهود في هذا الطريق وأنفق أموالاً طائلة إلى أن تمكّن من الكشف عن محل اختفاء أحمد بن عيسى، ولكنّ السلطات أخفقت في القبض عليه واعتقاله. انظر أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٦ هـ) ص٤٩٢، ٤٩٦.

(٣) المصدر السابق.

المشاركين من الشيعة الزيدية يتخلّون عن قادتهم ليواجهوا مصيرهم وحيدين كماترى ذلك مع يحيى بن عبدالله.

ومن بين الشخصيات التي حققت انتصاراً أو نجاحاً نسبياً هو إدريس أخو يحيى[١] ويعزى نجاحه هذا إلى تمكّنه من الفرار إلى المغرب وهي منطقة بعيدة عن سطوة الحكومة العبّاسية وهناك استطاع إدريس من حشد التأييد لثورته ضد العبّاسيين وتمكّن في النهاية من تأسيس دولته[٢].

لقد كان يحيى بن عبدالله في طليعة قادة الثورات الشيعية الذي لم تكن له قناعات بمرتكزات المذهب الزيدي، وكان يسير على خطى أهل البيت عليهم السلام. بعد مصرع أخيه محمّد النفس الزكية اتّجه يحيى نحو خراسان ومن خراسان إلى منطقة الديلم ـ وتضم إقليمي گيلان ومازندران ـ وكانت منطقة الديلم لم تدخل بعد في دين الإسلام ولهذا أراد حاكم الاقليم اعتقال يحيى بعد أن وصلته تهديدات هارون الرشيد بضرورة اعتقاله وتسليمه. ولذا أضطرّ يحيى للتفاوض مع الفضل بن يحيى البرمكي فسلّم نفسه مقابل وثيقة أمان موقّعة من قبل هارون الرشيد شخصياً وقد حصل يحيى على ذلك لكنّ هارون أمر بزجّه في سجن ببغداد ثمّ أوعز باغتياله[٣] وكان يحيى من تلامذة الإمام الصادق وكان عندما

---

(١) إدريس بن عبدالله هو أخو محمّد النفس الزكية شارك في ثورة الحسين بن عليّ التي عرفت بثورة «فخ» والتي قمعها بوحشية الخليفة العبّاسي الهادي، وبعد إخفاق الثورة فرّ إدريس مع قوافل الحجيج العائدين إلى مصر بهوية شخصية مصرية ومن مصر انطلق نحو المغرب، وهناك أعلن ثورته وتمكّن من حشد التأييد له وتأسيس دولة عرفت بدولة الأدارسة ولكنّ هارون الرشيد أرسل إليه من يدس السمّ في طعامه وتم اغتياله غير أن هيئة أركان دولته نصّبت ابنه القاصر مكانه ودعي بـ «إدريس الثاني» وقد استمرت دولة الأدارسة مدّة قرن من الزمان. انظر المسعودي المصدر نفسه ج٣ ص٣٢٦.

(٢) أبو الفرج الإصفهاني، المصدر السابق ص٤٠٦ ـ ٤٠٨.

(٣) المصدر السابق ص٢٩٣.

يروي حديثاً عن الإمام يقول: حدّثني حبيبي جعفر بن محمّد[١].

وبسبب منهجه الذي يتماشى مع مسار أئمة أهل البيت عليهم السلام فقد تخلّى عنه الشيعة الزيدية وانفضوا من حوله فاضطرّ إلى تسليم نفسه كما ذكرنا آنفاً[٢].

أ: ثورة محمّد النفس الزكية

وتعدّ ثورة محمّد النفس الزكية من أقوى الثورات في القرن الثاني الهجري، وثورة محمّد النفس الزكية بدأ التحضير لها قبل سقوط الدولة الأُموية وقد بايعه عموم بني هاشم باستثناء الإمام الصادق عليه السلام، وشملت البيعة علماء وفقهاء من أهل السنّة في طليعتهم أبو حنيفة، محمّد بن عجلان فقيه أهل المدينة، أبوبكر بن أبي سبرة الفقيه، عبدالله بن جعد، هشام بن عروة، عبدالله بن عمر، واصل بن عطاء، عمرو بن عبيد و... وكثر الحديث في تلك الفترة عن بشارة النبيّ صلى الله عليه وآله بظهور الإمام المهدي عليه السلام حيث برز تصور واسع على أن محمّد النفس الزكية هو المهدي الموعود[٣].

وبسبب حملة المطاردة التي نظمها المنصور لملاحقته بغية القبض عليه فقد استعجل في تفجير الثورة في وقت بدا غير مناسب ما أدى إلى إخفاقه ومصرعه، وعندما ثار إبراهيم أخوه في البصرة تخلّى عنه الزيدية ولقي هو الآخر مصرعه وتشتت قوّاته، ولكن إخوته فرّوا إلى أنحاء عديدة وظلّوا يحضّرون للثورة حتى عهد هارون الرشيد فقد فرّ إدريس إلى المغرب وأسس دولة الأدارسة، لكنّه أغتيل بالسم بعد فترة وجيزة من حكومته ليخلفه ابنه إدريس الثاني كما ألمحنا،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص٣٩٢، ٣٩٣.

(٣) المصدر السابق ص٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥١، ٣٤٧.

وظلّت دولة الأدارسة أمراً واقعاً على مدى قرن من الزمن. أمّا يحيى بن عبدالله فقد اتّجه إلى طبرستان وذكرنا ما جرى له.

وهناك أخ آخر لمحمّد هو موسى بن عبدالله الذي فرّ إلى شمال العراق والجزيرة فيما فرّ بنو محمّد وهم كلّ من: عليّ، عبدالله، والحسن إلى مصر والهند واليمن وظلّوا يشكّلون هاجساً يقلق الدولة العباسية.

ب ـ ثورة ابن طباطبا الحسني

بعد موت هارون الرشيد واندلاع الحرب الأهلية بين ولديه الأمين والمأمون حول الخلافة، اغتنم العلويون والشيعة هذه الفرصة وقادوا سلسلة من الثورات التي وصلت ذروتها في ثورة قائد كبير عُرف بـ «أبي السرايا» الذي تمكّن من بسط نفوذ العلويين على كل العراق باستثناء بغداد وعلى الحجاز واليمن وجنوب إيران، وقد تمكّن هذا القائد الفذّ من طرد النفوذ العبّاسي من كل هذه المساحات المترامية[1].

وقد مثّل أبو السرايا ظاهرة عسكرية مدهشة إذ قاد قوّاته باتجاهات عديدة وكانت المدن تسقط بين يديه الواحدة تلو الأخرى وتقول بعض الدراسات التاريخية إنّ حصيلة أعداد الجنود في جيوش الدولة العبّاسية الذين قتلوا في المعارك بلغ مئتي ألف جندي؛ علماً بأنّ مدّة الثورة قد استغرقت عشرة شهور.

حتى في مدينة البصرة وهي المعروفة بولائها العثماني اشعل زيد الذي عُرف بـ «زيد النار» الثورة وحظي بتعاطف أهل البصرة وبسبب هذا التعاطف اختار هذه المدينة لتكون منطلقاً لثورته.

---

(١) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص٤٤٥.

وفي مكّة وأنحاء الحجاز ثار محمّد بن جعفر الملقّب بالديباج ودعي بـ «أميرالمؤمنين» وفي اليمن انتفض إبراهيم بن موسى بن جعفر، وفي المدينة المنوّرة وثب محمّد بن سليمان بن داود بن الحسن. وفي واسط ذات التوجه العثماني ثار جعفر بن زيد بن عليّ وكذا الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن عليّ، وفي المدائن ثار محمّد بن إسماعيل بن محمّد. وخلاصة القول لا توجد منطقة في العالم الإسلامي لم يحاول العلويون تعبئة أهلها ضد الحكم العبّاسي بل إنّ سكان بعض المناطق هم الذين يبادرون لتشجيع رمز علوي على الثورة ضد العبّاسيين وقد وصل الأمر بإقليم الشام المعروف بثقافته الأُموية وولاءاته القديمة أن يمدّ ببصره إلى محمّد بن محمّد العلوي ومراسلته وإعلامه بأنّهم ينتظرون مبعوثه وأوامره[1].

ج : ثورة الحسن بن زيد الحسني (الدولة العلوية في طبرستان)

في سنة (٢٥٠ هـ) وفي عهد خلافة المستعين العباسي ثار الحسن بن زيد الذي كان يسكن مدينة الري وسط إيران في طبرستان ودعا الناس إلى الرضا من آل محمّد وبعد معارك مع جيوش العبّاسيين استطاع أن يرسي دعائم الدولة العلوية في طبرستان وجرجان[2] وقد استمرت الدولة حتى سنة (٣٤٥ هـ)[3].

وعلى مدى عشرين سنة من حكم الحسن بن زيد قامت قواته بمهاجمة مناطق الري، زنجان، وقزوين، وفي نفس عام الثورة بعث الحسن أحد العلويين ويدعى محمّد بن جعفر إلى الري ولكنّه وقع في قبضة الطاهريين[4] وفي سنة

(١) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٦ هـ) ص٤٣٥، ٤٣٦.

(٢) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت ط الثانية (١٤٠٨ هـ) ج٥ ص٣٦٤.

(٣) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، منشورات الشريف الرضي، ط الأُولى (١٤١١ هـ) ص٥٢٥.

(٤) الطبري، محمّد بن جرير، المصدر السابق ص٣٦٥.

(٢٥١هـ) انتفض الحسن بن أحمد العلوي في قزوين وتمكّن من طرد المسؤولين الحكوميين التابعين للطاهريين[١].

كما ثار أخوه الحسين بن زيد في منطقة لارجان وقصران شمال طهران حالياًوأخذ البيعة لأخيه الحسن[٢]، يقول الطبري في أحداث سنة (٢٥٠ هـ)[٣]: «فاجتمعت للحسن بن زيد مع طبرستان الرّي إلى حدّ همدان».

وقد امتد لهيب الثورة من طبرستان إلى العراق[٤] والشام[٥] ومصر[٦] حيث تشجع العلويون وراحوا يحثّون الناس على الثورة واستمر الوضع على هذه الوتيرة حتى سنة (٢٧٠ هـ) وهي سنة وفاة الحسن بن زيد واستخلاف أخيه محمّد بن زيد الذي حكم حتى سنة (٢٨٧ هـ) حيث حدث نزاع بينه وبين محمّد بن هارون استشهد على إثره[٧].

وفي نفس عام وفاة محمّد بن زيد سنة (٢٨٧ هـ) ثار الأطروش في منطقة گيلان والديلم ودعا سكانها إلى الإسلام حيث لقي استجابة واسعة وتمكّن من الحكم في تلك المناطق أربعة عشر سنة إلى أن حلّت سنة (٣٠١ هـ) حيث نجح في مدّ نفوذه إلى طبرستان واستلم مقاليد الحكم في هذه المنطقة[٨].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق ص٣٩٥، ٤٣٠.

(٥) المسعودي، المصدر السابق ص٣٢٧.

(٦) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبين، منشورات الشريف الرضي ط الثانية (١٤١٦ هـ) ص٥٤٢.

(٧) المسعودي، المصدر السابق ص٢٨٣.

(٨) المصدر السابق ص٣٢٧.

د: ثورة يحيى بن الحسن (الدولة الزيدية في اليمن)

في سنة (٢٨٨ هـ) ثار يحيى بن الحسن العلوي الملقّب بـ «الهادي إلى الحق» في الحجاز والتفّ حوله الزيديون واستطاع باسناد القبائل اليمنية من دخول صنعاء وإلقاء الخطبة باسم الإمام الزيدي وبالرغم من اصطدامه مع قبائل يمنية الا إنّه تمكّن في النهاية من الإمساك بزمام الأُمور وإرساء دعائم حكم مستقر، وانتهت حياة يحيى مسموماً سنة (٢٩٨ هـ)، بعد أن سجّل اسمه كأحد أكبر الشخصيات الزيدية فقد كان أحد العلماء المعروفين، ومن هنا ارتبط المذهب الزيدي في اليمن باسمه وعرفت فرقته بـ «الهادوية»[١].

وأصبح أولاده أئمة الزيدية وحكّام اليمن واستمرّ حكم الزيدية في اليمن حتى سنة (١٣٨٢ هـ) أي إلى قيام الحكم الجمهوري.

خلاصة الدرس السادس عشر

شكّل الزيدية الغالبية الساحقة من مجموع الشيعة في القرون الثلاثة الأُولى وقد أدت سلسلة من ثوراتهم المنظمة إلى قيام دول شيعية؛ وانتقلت الإمامة الزيدية عن طريق يحيى بن زيد إلى أحفاد الإمام الحسن وأصبحوا أئمة الزيدية بالرغم من وجود بعض قادتهم الذين لم تكن لهم قناعات بمرتكزات الزيدية.

بلغت ثورات العلويين ذروتها في عهد المنصور العبّاسي عندما اندلعت ثورة محمّد النفس الزكية.

وفي عهد المأمون تمكّن العلويون من إحراز انتصارات كبرى بسبب وجود قائد عسكري موهوب هو أبو السرايا.

---

(١) انظر عليّ ربّاني الگلپايگاني، الفرق والمذاهب الكلامية، المركز العالمي للعلوم الإسلاميّة ج١ ص١٣٤.

وعندما انتصرت ثورة العلويون في طبرستان سنة (٢٥٠ هـ) تشجّع العلويون في مناطق أُخرى وقادوا سلسلة من الثورات في مناطق متفرقة من العالم الإسلامي.

* * *

أسئلة الدرس السادس عشر

١ ـ تحدّث بإيجاز عن الثورات الزيدية.

٢ ـ ماهي منطلقات ثورة محمّد النفس الزكية؟

٣ ـ متى قامت ثورة ابن طباطبا؟

٤ ـ في أي عام انتصرت ثورة العلويين في طبرستان؟

الدرس السابع عشر

٢ ـ ثورات متفرقة

وتتسم هذه الثورات بغياب التخطيط والبرنامج وتكون في الغالب وليدة قرار فردي وردّ فعل إزاء الظلم الذي يمارسه الحاكمون ضد الشيعة والعلويين على وجه الخصوص وفي طليعة هذه الثورات:

أ: ثورة الحسين بن عليّ (ثورة فخ)

اشتهر الحسين بن عليّ بـ «شهيد فخ» وقد ثار في حكم الهادي العبّاسي الذي عرف بقسوته وبطشه وتجاوزاته يقول اليعقوبي[1]:

«... وذلك أنّ موسى ألحّ في طلب الطالبيين وأخافهم خوفاً شديداً وقطع ما كان المهدي يُجريه لهم من الأرزاق والأعطية وكتب إلى الآفاق في طلبهم وحملهم...».

وكان الخليفة قد نصّب على المدينة حاكماً من ذريّة عمر وكان شديداً جداً على آل أبي طالب وكان لا ينفك يستجوبهم ويستعرضهم، وقد أثارت سياسته التعسفية هذه غضب الكثيرين وفي طليعتهم الحسين بن عليّ الذي قرّر الثورة كردّ فعل إزاء هذا الظلم والقهر وسرعان ما سيطر على المدينة المنوّرة ليرفع الأذان الذي ورد فيه جملة: «حيّ على خير العمل» ودعا الناس إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ورفع الشعار المعروف وهو: «الدعوة إلى الرضا من آل محمّد».

وقد ساند الإمام الكاظم هذه الثورة وقد أخبره باستشهاده[2]؛ ولذا طلب منه الاستبسال في القتال.

---

(١) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم ط (١٤١٧ هـ) ج٢ ص٣٤٩الأعلمي، بيروت ١٤١٣ هـ.

(٢) أبو الفرج الإصفهاني، المصدر السابق ص٣٧٢.

وكالعادة انفضّ عنه الزيدية ليواجه جيوش بني العبّاس المجهّزة بـ «٥٠٠» مقاتل فقط وكان القائد العبّاسي ويدعى سليمان بن جعفر الذي حاصر هذه الثلّة في مكان يدعى «فخ» بين مكّة والمدينة وانقضّ على الثائرين، وكانت نتيجة ذلك وقوع مذبحة[1] ذكّرت الرأي العام بمذبحة كربلاء وقد كان التشابه بين الحادثتين كبيراً، فالهادي العبّاسي كان يشبه يزيد في نزقه وغطرسته وكان الثائر يدعى الحسين بن عليّ ولم يكن معه سوى عدّة مئات من أنصاره أمام جيش جرّار.. وقد سبي الأسرى إلى بغداد ليواجهوا هناك عقوبة الإعدام دون رحمة.

يقول الإمام الرضا عليه السلام في تلك الحادثة[2]:

«لم يكن لنا بعد الطفّ مصرع أعظم من الفخ».

ولم يشترك في هذه الثورة من الشيعة الإماميَّة سوى نفر قليل ويبدو أنّها لم تتمتع بالتأييد الذي تمتعت به ثورة محمّد النفس الزكية.

ب: ثورة محمّد بن القاسم

في سنة (٢١٩ هـ) قاد محمّد بن القاسم وهو من أحفاد الإمام السجاد عليه السلام وكان محمّد بن القاسم يسكن المدينة، ويُعد من زهّاد العلويين وعبّادهم وقد اشتهر بتقواه وورعه وجاءت ثورته ردّ فعل لما مارسه المعتصم من ضغوط فاضطرّ إلى مغادرة الكوفة والتوجه إلى خراسان. يقول المسعودي[3]:

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني المصدر السابق ص٣٨٠، ٣٨١.

(٢) كيا گيلاني، سيّد أحمد بن محمّد بن عبدالرحمن، سراج الأنساب، منشورت مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم (١٤٠٩ هـ) ص٦٦.

(٣) المسعوي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ط الأولى (١٤١١ هـ) ج٤ ص٦٠.

«وفي هذه السنة ـ وهي سنّة تسع عشرة ومائتين ـ أخاف المعتصم محمّد بن القاسم بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رحمهم الله وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع في نهاية الوصف فلمّا خاف على نفسه هرب فصار إلى خراسان فتنقل من مواضع كثيرة من كورها كمرو وسرخس والطالقان و...».

وينقل أبو الفرج الإصفهاني إنّ حشوداً بشرية بلغت أربعين ألفاً التفّت حوله ومع ذلك فإنّ ثورته أخفقت وتشتت قواته وألقي القبض عليه من قبل حكّام الإقليم من الأُسرة الطاهرية ليُساق إلى العاصمة العبّاسية الجديدة سامراء حيث ألقي في السجن[١] وقد تمكّن بعض أنصاره من اطلاقه من السجن ليختفي عن الأنظار وتنقطع أخباره نهائياً إلى أن توفي[٢].

ج: يحيى بن عمر الطالبي

يحيى بن عمر الطالبي من أحفاد جعفر الطيار اشتهر بزهده وتقواه بين الناس فأحبّوه وكان له منزلة في الكوفة، عاصر حكم المتوكل الطاغية المعروف بعدائه واضطهاده لأهل البيت، وكان للضباط الأتراك يومئذ نفوذاً كبيراً فعانى من معاملتهم وسوء تصرفهم، وساءت أموره بسبب ما تعرّض له من ضغوط فقرر الثورة في الكوفة، وبسط نفوذه فيها وازداد حبّ الناس له بسبب ما أشاعه فيهم من العدل والإنصاف، وقد زحف لقمع ثورته محمّد بن عبدالله بن طاهر وبعد معارك ضارية استعادت الدولة العبّاسية سيطرتها على الكوفة ولقي قائد الثورة مصرعه في المعارك، وعمّ الحزن مدينة الكوفة ورثاه الكثيرون بأشعار رقيقة[٣].

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم ط الثانية (١٤١٦ هـ) ص ٤٦٤ـ٤٦٧.

(٢) المسعودي، المصدر السابق.

(٣) المسعودي عليّ بن الحسين، مروج الذهب ص١٦٠.

ويقول المسعودي[١]: «... ولمّا قتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعاً كثيراً ورثاه القريب والبعيد وحزن عليه الصغير والكبير وجزع لقتله المليء والدنيء...».

ويروي أبو الفرج الإصفهاني أنّ المراثي التي قيلت في يحيى بن عمر بلغت من الكثرة حداً كبيراً ولم يسبق لعلوي شهيد قيلت فيه المراثي بهذه الكثرة[٢].

عوامل إخفاق الثورات

يعود إخفاق الثورات إلى عاملين:

الأوّل: ضعف القيادة. **الثاني:** غياب الإنسجام في قوات الثورة.

إنّ قادة الثورة كانت تنقصهم في الغالب البرامج والخطط وكان مسار الثورة عادة ما يبتعد عن موازين الإسلام. ولهذا فإنّ أغلب الثورات لم تحظ بتأييد الأئمة الأطهار، مع التأكيد على أنّ عدم تأييد بعض الثورات يعود إلى التنبؤ بفشلها وبالتالي فإنّ فشلها في حالة تأييد الإمام ستكون له نتائج سلبية على التشيّع ولهذا فإنّ الإمام يعمد إلى التأييد الشرعي الذي سيحمي التشيّع والمذهب الإمامي من الخطر.

من جهة أُخرى أنّ قوى الثورة عادة ما تكون غير متجانسة في أهدافها وتطلعاتها وتكوينها الفكري، فهناك من هو شيعي حقيقي يستبسل في القتال والمقاومة إلى الرمق الأخير من حياته ولكن هذا النموذج لم يكن له حضور عددي فاعل أمام الأعداد الغفيرة التي ينقصها الإيمان بأهدافها ولا يربطها ذلك الرابط العقيدي بقيادة الثورة، ولذلك ما أن تصل ساعة الفصل التي تتطلب

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم، ط الثانية (١٤١٦ هـ) ص٥١١.

التضحيات حتى تتخلى تلك الجموع عن القائد وتتركه يواجه قدره وحيداً.

ويشير العلاّمة جعفر مرتضى العاملي إلى غياب العاطفة القوية والقاعدة الفكرية الصلبة في الحركات الثورية والاعتماد على هكذا قوة بمثابة تصوّر السراب ماءً إضافة إلى وجود عوامل رادعة داخل القوى الثورية وهذا ما يفسّر انفضاض الثوّار في بعض ساعات الحسم والجدّ التي تتطلبّ الصبر والمقاومة والإيمان والتضحية»[١].

خلاصة الدرس السابع عشر

حدثت ثورات متفرقة تفتقر في الغالب إلى البرامج والخطط حيث يكون القرار الفردي هو المؤجج لهذه الثورات وعادة ما تأتي كردّ فعل عنيف إزاء ممارسات الحاكمين وفي طليعة هذا النوع من الثورات ثورة فخ بقيادة الحسين بن عليّ الذي استشهد بعد اخفاق ثورته وقمعها من قبل الخليفة العباسي الهادي.

وهكذا بالنسبة لثورة محمّد بن القاسم الرجل العلوي الذي اشتهر بزهده وتقواه إذ ثار في عهد المعتصم بعد تصعيد الأخير للضغوط عليه فاضطرّ للهجرة إلى خراسان ليعلن الثورة هناك.

وكانت ثورة يحيى بن عمر الطالبي ردّ فعل لضغوط الطاغية العبّاسي المتوكل ويعود إخفاق الثورات العلوية إلى ضعف في القيادة والى غياب الانسجام في قوى الثورة.



(١) انظر: جعفر مرتضى العاملي، الحياة السياسية للإمام الجواد، مكتب النشر الإسلامي، جامعة مدرسي الحوزة العلمية بقم، ط الثامنة (١٣٧٥ هـ. ش) ص١٩.

أسئلة الدرس السابع عشر

١ ـ ماذا نعني بالثورات المتفرقة؟ تحدّث عن ذلك باختصار

٢ ـ ماهي عوامل فشل وإخفاق هذه الثورات؟

الفصل الخامس

الدرس الثامن عشر

الأبعاد الجغرافية للتشيّع

من المؤكد أنّ مهد التشيّع هو المدينة المنوّرة، وقد عاش الشيعة الأوائل وهم من صحابة النبيّ ﷺ في هذه المدينة، وفي عهود الخلفاء الثلاثة هاجر الصحابة من الشيعة إلى مختلف المدن والأقاليم وتسنّم بعضهم مناصب سياسية وعسكرية يشير العلاّمة محمّد جواد مغنية إلى هذا الموضوع ويؤكد دور الصحابة الشيعة في نشر التشيّع إذ كانوا يدعون إلى التشيّع من خلال القرآن الكريم وأحاديث النبيّ ﷺ وقد ساعدت شخصياتهم التي تحظى بالتقدير والاحترام في نشر التشيّع»[١].

وقد نفذ التشيّع حتى في مناطق خاضعة للنفوذ الأُموي مثل: جبل عامل في إقليم الشام وكان لحضور الصحابي الجليل أبي ذر دوره في نمو بذرة التشيّع لتصبح تلك المنطقة واحدة من أكبر مراكز التشيّع[٢].

وفي أواخر خلافة عثمان تنامت أعداد الشيعة وأصبح لهم حضوراً في مناطق عديدة من العالم الإسلامي، ولهذا بدأ الهمس يتصاعد في تلك الفترة حول أحقيّة الإمام عليّ عليه السلام بالخلافة؛ وعندما تصاعدت حدّة المعارضة في المدينة المنوّرة حول سياسة عثمان وتجمّع المعارضون في المدينة المنوّرة طلب عثمان من الإمام عليّ عليه السلام مغادرة المدينة من أجل تهدئة الوضع المتفجّر[٣].

---

(١) الشيعة في الميزان، ص٢٦ ـ ٢٨، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤١٣ هـ.

(٢) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت (بدون تاريخ) ج١ ص٢٥.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٥.

أمّا العراق فقد أصبح أحد المراكز القوية للشيعة في زمن عثمان، ونشير هنا إلى موقف الشيعة في مدينة البصرة بالرغم من سقوطها في أيدي قادة معسكر الجمل والحملة الدعائية المضادة للإمام فيها الا إنّ ألوفاً من أهلها التحقوا بقوات الإمام التي وصلت منطقة ذي قار[١] وذلك بعد أن وصلت أخبار قدومه مع جموع من المهاجرين والأنصار.

وكان العامل العقيدي يرافق حركة هؤلاء الشيعة وهو رأيهم في عليّ باعتباره الخليفة الذي نصّبه النبيّ ﷺ وعلى حدّ تعبير البلاذري وقوله: من شيعة عليّ من قبيلة ربيعة[٢].

وبعد أن تصدّى الإمام عليّ عليه السلام لمسؤولية الخلافة وأصبح في رأس الهرم الحكومي وأنتقل إلى العراق، حدث انعطاف في مسار التشيّع في هذه المنطقة، كما كان لحكّام الأقاليم الذين انتدبهم الإمام لإدارة الأقاليم الدور الفاعل في توسيع نطاق التشيّع ذلك أنّ الإمام انتخب أُولئك الحكّام والولاة من بين أنصاره وشيعته. يقول السيد محسن الأمين: ولما سكن عليّ عليه السلام العراق تشيّع كثير من أهل الكوفة والبصرة وما حولها ولما تفرقت عمّاله وشيعته في البلاد كان من دخل منهم بلاداً تشيّع كثير من أهلها»[٣].

وتجدر الإشارة إلى أنّه ليس الشام وحده كان يخضع للنفوذ الأُموي بل هناك مناطق أُخرى عثمانية الاتجاه من قبيل البصرة وشمال العراق وذلك لخضوعها فترة طويلة نسبياً لحكومات يرأسها أقارب لعثمان فنشأ اتجاه عثماني في تلك المناطق[٤]، وقد ظلّ هذا الاتجاه سائداً حتى نهاية القرن الثاني الهجري.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت (١٣٩٤ هـ) ج٢ ص٢٣٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أعيان الشيعة ج١ ص٢٥.

(٤) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص١٧٨.

أمّا مكّة فقد ظلّت متأثرة بميولها المعادية لبني هاشم منذ العهد الجاهلي، وكانت الطائف على توافق مع مكّة في هذا التوجّه، وكانت بطون قريش في حالة تنافس دائمة مع بني هاشم ولم تكن تستسيغ أو تتحمل قيادة هاشمية، ولهذا وقفت قريش ضدّ الرسالة، وتضامنت معها الطائف وقد جاء اعتناقهم للإسلام في حقيقته استسلاماً.

ومنذ زمن الحجّاج الثقفي عبر التشيّع حدود العراق والحجاز إلى سائر بقاع العالم الإسلامي، وبسبب سياسة الحجّاج الدموية أضطرت أعداد كبيرة من الشيعة لمغادرة العراق إلى مناطق أُخرى خاصة الشرق الإسلامي ولم يكد القرن الأوّل للهجرة يمرّ حتى تبلور وجود شيعي واضح في إيران.

ثمّ بدأ النشاط الدعوي العبّاسي برفعه شعار: «الدعوة إلى الرضا من آل محمّد» من أجل كسب الأنصار والمؤيدين وتعبئة الرأي العام للثورة ضد النظام الأُموي.

ولم يأت هذا الشعار عن فراغ لقد كان دعاة بني العبّاس على اطّلاع بحجم التأييد والحبّ الذي يحظى به أهل البيت في إقليم خراسان حيث انطلقت الشرارة الأولى للثورة العبّاسية.

وفي العصر العبّاسي كان الانتشار الشيعي واضحاً جداً، وتمدّد الوجود الشيعي شرقاً إلى ما بعد إيران في آسيا الوسطى، الهند والقفقاز ومناطق أُخرى، ومع انهيار الدولة الأُموية بدأ الوجود الشيعي يتجه غرباً نحو أفريقيا في النصف الثاني من القرن الثاني فقد نهضت دولة الأدارسة في المغرب بالرغم من زيدية المذهب الا إنّ ذلك يعدّ جهداً شيعياً على كل حال. وكانت علاقاتهم ضعيفة مع العاصمة ومع المدينة المنوّرة بسبب وجود دولة الأغالبة التي أُسست لمواجهة خطر الأدارسة والحدّ من نفوذها وتمدّدها[1].

---

(١) أمير علي، تاريخ العرب والإسلام، انتشارات گنجينه ط الثالثة (١٣٦٦ هـ. ش) ص٢٤١، ٢٤٥، وأبو الفرج

من هنا فقد شهد القرن الثاني الهجري تمدّد الشيعة شرقاً وغرباً وانتشر التشيّع في مناطق عديدة من العالم الإسلامي، فإضافة إلى إقليم خوزستان جنوب غرب إيران، منطقة الجبل (المناطق المتاخمة لسلسلة جبال زاگروس) والمناطق المركزية من إيران، فقد عبر التشيّع إلى آسيا الوسطى أفغانستان حالياً، آذربيجان، المغرب، الهند والى طبرستان[1].

خلاصة الدرس الثامن عشر

إنّ المدينة المنوّرة هي مهد التشيّع وقد عاش الشيعة الأوائل في هذه المدينة، وفي عهود الخلفاء الثلاثة الأول، هاجر الصحابة من الشيعة إلى مدن مناطق متفرقة وقد أثّر ذلك في انتقال التشيع إلى تلك المناطق.

وعندما تصدّى الإمام عليّ عليه السلام للخلافة وانتقل إلى العراق شهد مسار التشيّع قفزة كبيرة في العراق.

وفي عهد الحجّاج عبر التشيّع حدود الحجاز العراق والى مناطق عديدة، ومع بدء الحكم العباسي تمدّد التشيّع شرقاً ليعبر إيران إلى آسيا الوسطى، والهند والقفقاز كما اتجه غرباً مع قيام دولة الأدارسة في المغرب.

كان الشيعة في القرن الأوّل الهجري يتمركزون في الحجاز والعراق، وكانت المدينة المنورة هي أوّل مدن الشيعة بسبب وجود الأئمة الأطهار وبني هاشم.

الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي قم (١٤١٦ هـ) ص٤٠٨.

(١) نجد بين أصحاب الأئمة الأطهار عليهم السلام أشخاص من مدن عديدة من قبيل حلب، مصر، المدائن، قزوين، الري، كاشان، أرمينيا، ساباط، إصفهان، همدان، سمرقند، كابل، انظر رجال النجاشي، مكتب النشر الإسلامي جامعة المدرسين ص٨ ـ ٣٦٧ وكذا ابن شهرآشوب معالم العلماء، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف (١٣٨٠ هـ. ش) ص٣١.

وتعد أرض اليمن ثاني مركز شيعي بعد المدينة المنوّرة إذ إنّ إسلام أهل هذه البلاد تمّ على يد الإمام عليّ عليه السلام .

* * *

أسئلة الدرس الثامن عشر

١ ـ في أي مكان نشأ التشيّع؟ وعلى يد مَن انتشر التشيّع؟

٢ ـ ماهي مراكز الشيعة في القرن الأوّل الهجري؟

٣ ـ ماهو السبب في تشيّع أهل اليمن؟

الدرس التاسع عشر

مراكز التجمّع الشيعي

كما أشرنا سابقاً إلى أنّ الشيعة انتشروا في القرون الثلاثة الأُولى وكان لهم حضور في مناطق عديدة من العالم الإسلامي، ولكن مراكز التجمع الشيعية كانت محدودة ولا تعدوا المدينة، اليمن، الكوفة، البصرة، المدائن وجبل عامل.

وفي القرن الثاني تمدّد الوجود الشيعي إلى مناطق أبعد من قبيل: قم، خراسان، طبرستان، بغداد، منطقة الجبل وأفريقيا وفيما يلي شروحات لهذه المناطق:

أ ـ المناطق الشيعية في القرن الهجري الأوّل

تحددت مناطق الشيعة في القرن الأوّل من الهجرة في الحجاز والعراق واليمن، وسكان هذه المناطق من العرب وهم من المسلمين الأوائل، وتعود جذور التشيّع في الحجاز واليمن إلى عهد النبيّ ﷺ، أمّا العراق فقد تمّ فتحه بعد رحيل النبيّ ﷺ وأصبح موطناً للقبائل اليمانية ثمّ مركزاً لحكومة الإمام عليّ عليه السلام وهذا ما أثّر في تنامي التشيّع[1].

المدينة المنوّرة

وكانت تعرف بـ «يثرب» قبل هجرة النبيّ ﷺ وتسكنها قبيلتان تنحدران من اليمن هما: الأوس والخزرج وقد عرفتا فيما بعد بـ «الأنصار» وهناك ثلاث قبائل

---

(١) انظر: الشهيدي الدكتور جعفر، التاريخ التحليلي للإسلام حتى نهاية الحكم الأموي، مركز النشر الجامعي، طهران (١٣٦٣ هـ. ش) ج ٢ ص ١٣٧، ١٣٨.

يهودية أُخرى تسكن هذه المدينة هي بنوقينقاع، بنوالنضير وبنوقريظة.

وبعد هجرة النبيّ ﷺ عرفت يثرب بـ «مدينة النبي» ثمّ اشتهرت بـ «المدينة» لغلبة التكرار والاختصار.

ظلّت المدينة المنوّرة عاصمة للخلفاء الثلاثة الأوائل (أبوبكر، عمر وعثمان) وانتقل للسكن فيها القرشيون أعداء النبيّ وآله غير أن الأنصار وهم السكان الأصليين للمدينة ظلّوا يشكّلون الغالبية فيها وقد عرفوا بولائهم للنبيّ ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام وكانوا يقفون إلى جانب أهل البيت في غمرة النزاعات والصراعات السياسية التي انفجرت فيما بعد، وكان كبار الصحابة من الشيعة لا ينفكّون يصرّحون بالحقيقة ويعلنون الحق فهذا الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري يتوكأ على عصاه ويدور في أزقّة المدينة هاتفاً[١]: «عليّ خير البشر من أنكرها فقد كفر يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حبّ عليّ ابن أبي طالب فمن أبى فانظروا في شأن أمّه». وقد روي أنه كان يسير في شوارع المدينة المنورة وهو معتصم بعمامة سوداء وكان يُنادي: يا باقر العلم يا باقر العلم فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر فكان يقول: لا والله ما أهجر ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّك ستدرك رجلاً من أهل بيتي اسمه اسمي وشمائله شمائلي يبقر العلم بقراً...**»[٢]

وكان أبو ذر الغفاري يقف في مسجد النبيّ وينادي[٣]: «... أيّها الناس مَن عرفني فقد عرفني ومَن لم يعرفني فأنا أبوذر الغفاري أنا جندب بن جنادة

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، تحقيق مهدي رجائي، مؤسسة آل البيت، قم (١٤٠٤ هـ) ج١ ص٢٣٧.

(٢) المصدر السابق ص٢١٨.

(٣) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص ١٧ ـ ٦٨، الأعلمي بيروت ١٤١٣ هـ.

الربذيّ... ومحمّد وارث علم آدم وما فُضّل به النبيّون وعليّ بن أبي طالب وصي محمّد ووارث علمه...».

وكان بنو هاشم الذين يقطنون المدينة يتمتعون باحترام الناس إضافة إلى وجود الأئمة الأطهار عليهم السلام حيث الناس يستقون منهم العلم والمعرفة ويتزودون بإرشاداتهم وتعاليمهم، خاصّة في الفترة التي واكبت إمامة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، حيث تشكّلت حلقات الدراسة الدينية.

يقول أبو حمزة الثمالي[1]: «... كنت جالساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل رجل فسلّم... فقال لي: أتعرف أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام؟ قلت: نعم فما حاجتك إليه؟ قال: هيأت له أربعين مسألة أسأله عنها.... فما انقطع كلامه حتى أقبل أبوجعفر عليه السلام وحوله أهل خراسان وغيرهم يسألونه عن مناسك الحج فمضى حتى جلس مجلسه وجلس الرجل قريباً منه يسأله...».

وكان لبعض تلامذة الإمامين مثل أبان بن تغلب حلقته في مسجد النبي وكان عندما يدخل المسجد يجلس في المكان الذي كان يجلس فيه النبيّ صلى الله عليه وآله فيتحلّق حوله الناس وكان الإمام الصادق يقول له[2]: «... جالس أهل المدينة فإنّي أحبّ أن يُرى في شيعتنا مثلك...».

اليمن

قبل فتح العراق وتأسيس مدنية الكوفة كان الشيعة يعيشون في اليمن التي تعد ثاني مراكز الشيعة بعد المدينة المنوّرة ذلك أنّ أهلها أسلموا على يد الإمام

---

(١) العلاّمة المجلسي محمّد باقر، بحار الأنوار ج٤٦ ص٣٥٧.

(٢) النجاشي، أحمد بن علي، فهرست أسماء مصنّفي الشيعة (رجال الشيعة) مكتب النشر الإسلامي، جامعة المدرسين، قم (١٤٠٧ هـ) ص١٠.

عليّ عليه السلام يقول ابن شهر آشوب[1]: «وأجمع أهل السير أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث خالداً إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام فيهم البرّاء بن عازب فأقام ستة أشهر فلم يجبه أحد فساء ذلك على النبيّ صلى الله عليه وآله وأمره ان يعزل خالداً، فلمّا بلغ أميرالمؤمنين عليه السلام القوم صلّى بهم الفجر ثمّ قرأ على القوم كتاب رسول الله، فأسلمت همدان كلّها في يوم واحد وتبايع أهل اليمن على الإسلام، فلما بلغ ذلك رسول الله خرّ لله ساجداً وقال: «السلام على همدان».

وكان أول بيت سكن فيه الإمام عليّ عليه السلام في اليمن هو بيت امرأة من أهل اليمن وكان يعلّم الناس القرآن ثمّ أصبح البيت مسجداً عرف بـ«مسجد عليّ».

وفي أواخر حياة النبيّ صلى الله عليه وآله كانت الوفود من اليمن تترى على المدينة المنوّرة للقاء النبيّ صلى الله عليه وآله الذي ما انفكّ يشير إلى وصيّه وخليفته من بعده وهو الإمام عليّ عليه السلام[2] ولهذا فقد استقرت هذه المسألة في أذهانهم وضمائرهم[3].

ومن هنا فقد رفض هؤلاء الاعتراف بحكومة أبي بكر بعد وفاة

---

(١) مناقب آل أبي طالب، مؤسسة انتشارات علاّمة، قم، ج٢ ص١٢٩.

(٢) المظفر، محمّد حسين، تاريخ الشيعة، منشورات مكتبة بصيرتي، قم (بدون تاريخ) ص١٢٤.

(٣) تاريخ الشيعة: عن جابر الأنصاري قال: وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله أهل اليمن (جماعة) فلمّا دخلوا عليه قال صلى الله عليه وآله: قوم رقيقة قلوبهم راسخ إيمانهم، منهم المنصور يخرج في سبعين ألف ينصر خلفي وخلف وصيّي، حمائل سيوفهم المسد فقالوا: يا رسول الله ومن وصيّك فقال صلى الله عليه وآله: هو الذي أمركم الله بالاعتصام به فقال عزّ وجل: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (آل عمران: ١٠٣) فقالوا: يا رسول الله بيّن لنا ما هذا الحبل، فقال صلى الله عليه وآله: هو قول الله تعالى (إلا بحبل من الله وحبل من الناس) (آل عمران: ١١٢) فالحبل من الله كتابه والحبل من الناس وصيّي، فقالوا: يا رسول الله ومن وصيّك؟ فقال صلى الله عليه وآله: هو الذي قال الله فيه: (إن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله) (الزمر: ٥٦) فقالوا: يا رسول الله: وما جنب الله هذا، قال فقال صلى الله عليه وآله: هو الذي يقول الله فيه: (ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً) (الفرقان: ٢٧) وهو وصيّي والسبيل إليّ من بعدي، فقالوا: يا رسول الله بالذي بعثك بالحق أرناه فقد اشتقنا إليه. فقال صلى الله عليه وآله: هو الذي جعله الله آية للمؤمنين المتوسمين، فان نظرتم إليه نظر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عرفتم

النبيﷺوامتنعوا عن دفع الزكاة لأبي بكر[١]. وهذا ما تشير إليه بعض الأشعار كقول أحدهم:

أطعنــا رســول الله مــادام وســطنا　　　فيا قوم مـا شـأني وشـأن أبـي بكـر
أيورثهــا بكــراً إذا كــان بعــده　　　فتلـك لعمـر الله قاصـمة الظهـر[٢]

وفي عهد الإمام عليّعليه السلام وخلافته كانت شيعة اليمن تشكّل مجاميع سكانية كبيرة فإضافة إلى مئات الألوف من اليمنيين القاطنين في العراق[٣] وكذا الألوف منهم في قواته العسكرية إضافة إلى ذلك فإنّ الشيعة يمثلون الأكثرية في اليمن ولا نجد للاتجاه العثماني أو المؤيدين لبني أُميَّة نسبة يعتدّ بها وما يشير إلى هذه الحقيقة التعليمات التي أصدرها معاوية لبسر بن أرطأة في طريقة التعامل معهم[٤] ذلك أنّ الغارات العسكرية التي نفّذها بسر بن ارطأة اتسمت بالوحشية في مناطق محددة بعينها بينما نراها تمر مروراً هادئاً بمكّة والطائف بسبب ولاء هاتين

أنه وصيّي كما عرفتم أني نبيّكم فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه فمن أهوت إليه قلوبكم فانّه هو، لأنّ الله عزّ جل يقول في كتابه: (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) (إبراهيم: ٣٧) إليه والى ذريّتهﷺ، قال: فقام أبو عامر الأشعري في الأشعريين، وأبو غرة الخولاني في الخولانيين. وطسان وعثمان في بني قيس في قي. وغربة الدوسي في الدوسيين. ولاحق ابن علافة «علاقة» فتخلّلوا الصفوف وتصفّحوا الوجوه وأخذوا بيد الأنزع البطين وقالوا: إلى هذا أهوت أفئدتنا يا رسول الله. فقال النبيﷺ: أنتم بحمد الله عرفتم وصيّ رسول اللهﷺقبل ان تعرفوه، فيم عرفتم أنه هو، فرفعوا أصواتهم يبكون ويقولون: يا رسول الله نظرنا إلى القوم فلم تحن لهم قلوبنا، ولمّا رأيناه ثمّ اطمأنت نفوسنا وانجاشت أكبادنا، وهملت أعيننا، وانثلجت صدورنا حتى كأنه لنا أب ونحن له بنون.

(١) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) (بدون تاريخ) ص١٢٤ ـ ١٢٥.

(٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي.

(٣) المصدر السابق ج٧ ص١٦١ .

(٤) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي ص١٩٧.

المنطقتين وتوجهات غالبية السكان فيهما[١]. ولكن غارات معاوية التي تستهدف مناطق بعينها في اليمن على سبيل المثال ـ من قبيل أرحب، صنعاء وحضرموت فإن بسر بن أرطأة هذا يرتكب مذابح مروّعة ففي صنعاء أمر القائد الأموي بقتل أعضاء وفد يتألف من مائة شخصية رفيعة جاءت لاستحصال أمان لأهل مدينة مأرب وعندما وصل حضرموت صرّح بكل قسوة أنّه يريد قتل ٢٥٪ من سكّانها[٢].

وفي «جيشان» التي يؤكد اليعقوبي على أنّ أهلها من الشيعة فقد نفّذ فيها عمل وحشي ومجزرة كبرى[٣]. وقد أحصى ابن أبي الحديد عدد ضحايا المذابح التي ارتكبها بسر بن أرطأة وحده فكانت أكثر من ثلاثين ألف إنسان أكثرهم من سكان اليمن[٤].

هذه الحوادث تؤكد بما لا يقبل الشك أنّ نسبة الشيعة كانت تشكّل رقماً كبيراً.

وإثر تلك الغارات الوحشية وجرائم القتل الجماعي جرّد الإمام عليّ عليه السلام حملة عسكرية بقيادة جارية بن قدّامة لمطاردة المغيرين وتحرير الأراضي المحتلّة وكردّ فعل قام شيعة اليمن بتصفية العديد من المتّهمين بالتواطيء مع المغيرين والمؤيدين لنبي أُميّة[٥].

وبعد استشهاد الإمام عليّ عليه السلام ووصول معاوية إلى الخلافة بقوّة الحديد والنار فقد استمرت اليمن باعتبارها مركزاً شيعياً هاماً وسنرى ابن عبّاس في سنة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الثقفي الكوفي، إبراهيم بن محمّد، الغارات، ترجمة محمّد باقر كمرئي، فرهنگ اسلام ص٣٢٥ ـ ٣٣١.

(٣) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي ص١٩٩.

(٤) شرح نهج البلاغة، دار الكتب العربية، القاهرة ج ص١٧.

(٥) الثقفي، إبراهيم بن محمّد، الغارات ص٣٢٣.

(٦٠هـ) يقترح على الإمام الحسين عليه السلام بالتوجه إلى اليمن بعد أن رفض الإمام بيعة يزيد بن معاوية وكان ابن عباس يخشى على الإمام الحسين من التوجه إلى العراق وفضّل له الذهاب إلى اليمن مبرراً ذلك بوجود شيعة لوالده عليه السلام يدافعون عنه ويحمونه من انتقام النظام الأموي.

جدير ذكره أنّه مع بدء الفتوحات الكبرى واتساع حدود الدولة أصبحت اليمن بل وشبه الجزيرة العربية في طريق مسدود وتراجع دورها في القضايا السياسية والعسكرية باستثناء مكّة والمدينة اللتان ظلّتا تحتفظان بدور اجتماعي بسبب موقعهما الديني.

في حين كان لليمن موقعاً هاماً في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وكانت تعدّ في طليعة الأقاليم الإسلاميّة غير أنّ الفتوحات الكبرى والانتصارات العسكرية الباهرة على دول الجوار تراجعت اليمن وانحسر دورها وأصبحت مجرّد إقليم يقع في أقصى الجنوب من حدود الدولة الإسلاميّة الكبرى، ومع أنّ تبدّل الظروف لم يؤثر على شعبية اليمن وولاءها لأهل البيت بحيث نرى أبا السرايا إبراهيم بن موسى يدخل اليمن دون مقاومة تذكر[١] وذلك في نهاية القرن الثاني للهجرة. وبالتالي بقاء المذهب الزيدي واستمراره حتى الآن حيث غالبية السكان اليوم زيدية المذهب[٢].

الكوفة

مدينة تأسست بعد الفتح الإسلامي للعراق وقد أسسها المسلمون بالقرب من مدينة الحيرة التاريخية التي كانت عاصمة اللخميين[٣].

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، عليّ بن الحسين، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٦ هـ) ص٤٣٥.

(٢) المظفر، محمّد حسين، تاريخ الشيعة ص١٣٢.

(٣) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى

في السنة السابعة عشرة من الهجرة أسس سعد بن أبي وقاص قائد الجيوش الإسلاميَّة في إيران هذه المدينة بأوامر من الخليفة الثاني، وقد اختارها ثمانون من صحابة النبيّ ﷺ للسكن[١].

كانت الكوفة أشبه ما تكون بثكنة عسكرية في بدء تأسيسها، فهي معسكر كبير لاستقرار قوات الجبهة الشرقية، ويشكّل المجاهدون المسلمون من القبائل القحطانية واليمانية غالبية سكانها ومن هنا فقد اكتسبت الكوفة الطابع القحطاني واليمني[٢].

ويشكّل الأنصار غالبية الصحابة الذين فضّلوا السكنى في الكوفة وهم ينحدرون من أُصول يمانية.

واختارت قبيلة الخزرج محلّة خاصة بها يقول ياقوت الحموي[٣]:

«... فلمّا كان في أيّام إمارة زياد بنوا أبواب الآجر فلم يكن في الكوفة أبواب الآجر من مراد والخزرج...».

ومن الطبيعي أنّ المدينة الحديثة التأسيس كانت بحاجة ماسّة للحرفيين ولذا فقد فتحت أبوابها للموالي والإيرانيين الذين سيشكّلون نسبة سكانية كبيرة وسنرى لهم حضوراً ملحوظاً في سوقها في عهد الإمام عليّ عليه السلام[٤]. كما سنرى أنّ معظم قوات المختار في ثورته ستكون من الموالي[٥].

(١٤١٧ هـ) ص١٦٢.

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص١٥٠.

(٣) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبوعبدالله، معجم البلدان ص١٦١.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٣٩٤ هـ) ج٢ ص١٢٦.

(٥) جعفريان، رسول، تاريخ التشيّع في إيران حتى نهاية القرن السابع الهجري، شركة الطبع والنشر في منظمة

وقد ورد في فضل الكوفة مجموعة أحاديث عن أهل البيت عليهم السلام منها حديث للإمام علي عليه السلام جاء فيه[1]: «**نعمت المدرة، تُربة تحبّنا ونحبُّها إنّه يُحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفاً وجوههم على صورة القمر، هذه مدينتنا ومحلّتنا ومقرّ شيعتنا...**»

وكذا قول الإمام الصادق عليه السلام [2]:

«**اللهمّ ارمِ من رماها وعاد من عاداها**».

وتعود جذور التشيّع في مدينة الكوفة إلى ما قبل انتقال الإمام عليّ عليه السلام إليها واتخاذها عاصمة للدولة، أمّا ماهي جذور التشيّع في الكوفة؟ وكيف نشأ؟ فيعود الأمر إلى عاملين:

الأوّل: وجود القبائل اليمانية وهي في الغالب ذات ميول شيعية منذ عهد النبيّ صلى الله عليه وآله كما أنّ الصحابي الشهيد عمّار بن ياسر كان قد عيّن حاكماً فيها في عهد الخليفة الثاني، الذي طلب أيضاً من الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود أن يعلّم الناس القرآن في هذه المدينة.

وقد مكث عبدالله بن مسعود في الكوفة سنين طويلة قضاها معلّماً للقرآن[3] .

ولاشك فيّ أنّ لهذه الإرشادات أثر واضح في ترسيخ جذور التشيّع وسنرى مالك الأشتر يلقي خطاباً لتعبئة الناس من أجل البيعة للإمام علي عليه السلام جاء فيه[4]:

الإعلام الإسلامي (١٣٧٧ هـ. ش) ص٧١.

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ج٣ ص١٩٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن الأثير، أبوالحسن عليّ بن أبي الكرم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ) ج٣ ص٢٥٨.

(٤) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي ص١٧٩.

«أيّها الناس هذا وصيّي الأوصياء ووارث علم الأنبياء العظيم البلاء الحسن الغنّاء الذي شهد له كتاب الله بالإيمان ورسوله بجنّة الرضوان من كملت فيه الفضائل ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل...».

وعندما أرسل الإمام علي عليه السلام نجله الحسن السبط وعمّار بن ياسر إلى الكوفة لتعبئة الرأي العام من أجل حرب الناكثين و ما قام به أبوموسى الأشعري من دور معاكس في تثبيط عزائم الناس نرى مبادرة أكثر من تسعة آلاف للالتحاق بجيش الإمام علي عليه السلام الذي عسكر في ذي قار.

ومع انتقال الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة وفي نهاية القرن الثالث الهجري أصبحت الكوفة في طليعة المدن والمراكز الشيعية، يقول الدكتور سيد حسين الجعفري: «منذ أن انتقل الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة سنة ٣٦ هـ وحتى قبل ذلك كانت هذه المدينة مركزاً للنهضات وموضعاً للآمال ومركزاً لنشاط الشيعة وقد كان للكوفة الدور الأكبر في صنع تاريخ التشيّع، فالجيش الذي عبّأه الإمام لحرب صفين كان من الكوفة، وقبل ذلك حرب الجمل أيضاً، وهكذا توالت الحوادث بعد تنازل الإمام الحسن عليه السلام ومقتل حجر بن عديّ واستشهاد الحسين عليه السلام وأصحابه وثورة التوّابين وقيام المختار... لقد كانت الكوفة مركزاً للآمال والتطلّعات وحتى الخيانة والهزيمة التي لحقت بالثورات كانت من رجال هذه المدينة كانوا يعادون آل البيت ويرفضون تسنّمهم للخلافة»[1].

وبالرغم من أنّ الإمام الحسين عليه السلام قُتل على أيدي أهل الكوفة[2] فأنّه يتوجب

---

(١) الجعفري، الدكتور سيد حسين، التشيّع في مسير التاريخ، ترجمة الدكتور محمّد تقي آيت اللهي، مكتب النشر الإسلامي، ط التاسعة (١٣٧٨ هـ. ش) ص١٢٥.

(٢) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت (١٤١١هـ) ج٣ ص٧٣.

ملاحظة الظروف في تلك الفترة وفي طليعتها إقدام عبيد الله بن زياد على زجّ كبّار الزعامات الشيعية في السجن[١].

وقد أدّى مصرع مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة واستشهادهما إلى بقاء الشيعة دون قيادة في مواجهة طاغية جبّار مثل عبيدالله بن زياد، وكانت تلك الفترة العصيبة من أشد الفترات قسوة على الشيعة إذ صعق الرعب مراكز التفكير لديهم وكانوا غارقين في حيرة شديدة غير أنّ استشهاد الإمام الحسين على ذلك النحو المأساوي هزّهم هزاً عنيفاً وأعاد إليهم الوعي، فاندلعت ثورتان في غضون أشهر وسنوات عدّة.

وهكذا اشتهرت الكوفة بولائها وحبّها لأهل البيت وعدائها الشديد للأمويين ومن أجل اكتساب ثقة السكان في الكوفة عمد مصعب بن الزبير إلى اظهار حبّه لأهل البيت عليهم السلام ومن هنا جاءت خطوته في الزواج من ابنة الإمام الحسين عليه السلام[٢].

ومع انطواء القرن الأوّل للهجرة وظهور مراكز جديدة للتشيّع الا إنّ مدينة الكوفة ظلّت في طليعة المدن الشيعية، وهذا ما أشار إليه محمّد بن علي بن عبدالله بن عباس الزعيم العباسي وقائد الثورة العبّاسية في مطلع القرن الثاني للهجرة في معرض حديثه عن الجغرافيا السياسية للعالم الإسلامي آنذاك: «أما الكوفة ونواحيها فهم شيعة عليّ بن أبي طالب»[٣].

وقد اندلعت في القرن الثاني والثالث سلسلة من الثورات في مدينة الكوفة قادها علويون. كما أنّ الكوفة اكتسبت أهمية من الناحية السياسية في العصر

---

(١) المظفر، محمّد حسين، تاريخ الشيعة، منشورات مكتبة بصيرتي (بدون تاريخ) ص٦٧.

(٢) ابن قتيبة، أبو محمّد عبدالله بن مسلم، المعارف، منشورات الشريف الرضي، قم ط الأولى (١٤١٥ هـ) ص٢١٤.

(٣) يروي الفخري في الآداب السلطانية ط مصر، ص١٠٤: أنّ محمّداً بن عليّ أبلغ دعاة بني العبّاس قائلاً:

العبّاسي لقربها من عاصمة الخلافة وظلّت مركزاً سياسياً ناشطاً للعلويين وسنرى أنّ أعنف ثورة وقعت فيها[1] في النصف الثاني في القرن الثاني للهجرة وهي ثورة ابن طباطبا التي قادها عسكرياً القائد الموهوب أبو السرايا ولهذا فقد كان النظام الأُموي يخضع الكوفة إلى مراقبة دقيقة وشديدة وكان يعيّن لحكمها وإدارتها شخصيات دموية غاية في القسوة من قبيل عبدالله بن زياد والحجاج بن يوسف يمتازون بميول معادية للعلويين، وعندما نرى حاكماً مثل عبدالله القسري يبدي تساهلاً نسبياً إزاء الشيعة فأنّه يُنحّى عن الحكم فوراً ثمّ ينتهي به الأمر إلى الاعتقال والسجن[2].

وإضافة إلى الجانب السياسي الذي جعل الكوفة بهذه الأهمية فقد كان للجانب العلمي أيضاً دوره في اكتساب الكوفة أهميتها كمدينة شيعية حيث ثقافة التشيّع هي السائدة، ويشكّل الكوفيون القسم الأكبر من تلامذة الأئمة الأطهار عليهم السلام كما أنّ الأُسر الشيعية الكبرى كانت تقطن مدينة الكوفة، وبرز فيهم شخصيات علمية قدمت خدمات كبرى في مسار التشيّع، فأسرة آل أعين على سبيل المثال قدمت أكثر من خمسين محدّثاً كبيراً منذ عهد السجاد إلى الغيبة الصغرى. من قبيل زرارة بن أعين، حمران بن أعين، بكير بن أعين، حمزة بن حمران، محمّد بن حمران وعبيد بن زرارة، وهذا الأخير أوفدته الكوفة إلى المدينة إثر وفاة الإمام الصادق عليه السلام للتحقيق في خليفة ووصي الإمام الراحل والتعرف على الحقيقة[3].

وكذ آل أبي شعبة وهم من الأُسر المعروفة في الأوساط الشيعية في الكوفة، وقد

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الرضي، قم (١٤١٦ هـ) ص٤٢٤ ـ ٤٣١.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، دار التعارف للمطبوعات، بيروت (١٣٩٧ هـ) ج٣، ص٢٣٣.

(٣) الزراري، أبو غالب، رسالة في آل أعين، مطبعة رباني، إصفهان ص٨ ـ ١٢.

روى أبو شعبة الحديث عن الإمامين الحسن والحسين وقد وثّقهم النجاشي جميعاً[١].

وكذا آل تهيك وهي أسرة شيعية كبيرة أيضاً وإليها ينتمي عبدالله بن محمّد وعبدالرحمن السمري[٢].

وفي مساجد الكوفة وبخاصة المسجد الجامع كانت أحاديث أهل البيت تدرّس يقول الحسن بن الوشاء وهو من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام[٣]:

«أدركت في هذا المسجد ـ يعني الكوفة ـ تسعمائة شيخ كلّ يقول: حدّثني جعفر بن محمّد».

البصرة

وتزامن مع بناء مدينة الكوفة في وسط العراق بناء مدينة البصرة في الجنوب التي أسست في سنة (١٧ هـ)[٤]. بالرغم من الدعم والإسناد الذي قدمته البصرة لعائشة وطلحة والزبير وما أسفرت عنه حادثة الجمل قد صعّد من التوجه العثماني في المدينة الا إنّ هناك تياراً شيعياً قوياً في المدينة، وقد اشتبك الشيعة مع قوات الناكثين الذين دخلوا البصرة وسقطت أعداد كثيرة منهم شهداء وكما روى الشيخ المفيد أنّ ما يقارب من الخمسمائة من عبدالقيس استشهدوا وكلّهم شيعة للإمام عليه السلام[٥].

---

(١) النجاشي، أبو العباس أحمد بن عليّ، فهرست أسماء مصنّفي الشيعة، مكتب النشر الإسلامي، جامعة المدرسين، قم (١٤٠٧ هـ) ص٢٣٠.

(٢) المصدر السابق ص٢٣٢.

(٣) المصدر نفسه ص٣٩، ٤٠.

(٤) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط الأولى (١٤١٧ هـ) ج٢ ص٣٤٠.

(٥) الشيخ المفيد، الجمل، مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر، قم (١٤١٦ هـ) ص٢٧٩.

وقد سجّل البلاذري أنّ ثلاثة آلاف من شيعة ربيعة التحقوا بالإمام في ذي قار[١].

وبالرغم من أنّ حرب الجمل أفرزت في البصرة أوضاعاً جديدة الا إنّ الشيعة كان لهم حضور سكاني ملحوظ ومن هنا عندما أرسل معاوية ابن الحضرمي إلى البصرة لإثارة الفتنة فإنّنا نراه يحذّر ابن الحضرمي من قبائل ربيعة وأوصاه بتحريض العثمانيين والسيطرة على المدينة غير أنّ الإمام عليّ عليه السلام أرسل تعزيزات عسكرية سريعة وتم احباط المؤامرة[٢]، وفي مراسلات الإمام الحسين عليه السلام مع شخصيات بارزة في البصرة نجد استجابة بعضها وفي طليعتهم يزيد بن مسعود النهشلي الذي لبّى دعوة الإمام وجمع قبائل بني تميم، بني سعد، وبني حنظلة لنصرة الإمام الحسين، ثمّ بعث رسالة جوابية إلى الإمام يطلعه فيها على استعداد القبائل المذكورة وفيما كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق للالتحاق بالإمام إذ بالأبناء تدهمهم بواقعة كربلاء واستشهاد الإمام السبط[٣].

وفي ثورة التوّابين أيضاً إذ نقل المسعودي إنّ مجاميع من شيعة البصرة وشيعة المدائن تحركت للالتحاق بقوات التوّابين وعندما وصلوا كانت المعركة قد انتهت[٤].

وخلال الحقبة الأُموية ابتليت البصرة بحكام دمويين من قبيل زياد وعبيدالله بن زياد وسمرة بن جندب وكان زياد قد عُيّن لحكم البصرة سنة (٤٥ هـ) وألقى

---

(١) أنساب الأشراف، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٣٩٤ هـ) ج٢ ص٢٣٧.

(٢) الثقفي الكوفي، إبراهيم بن محمّد، الغارات، ترجمة محمّد باقر كمرئي، فرهنگ إسلام ص١٦٦.

(٣) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت (بدون تاريخ) ج١ ص٥٩٠.

(٤) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤١١ هـ) ج٣ ص١٠٩.

خطبته المعروفة بـ «البتراء» التي ملأها بالوعيد والتهديد وتصفية المعارضين بكل قسوة وهو ينظر إلى الحاضرين ويرى رؤوساً قد اينعت وحان قطافها»[١].

ثمّ أضيفت إلى سلطانه الكوفة فكان يمكث في البصرة ستة أشهر وفي الكوفة ستة أشهر وخلال غيابه عن البصرة كان سمرة بن جندب ينوبه في حكم المدينة وكان سمرة سفّاكاً للدماء وقد قتل في غياب زياد ثمانية آلاف إنسان[٢].

وبمرور الزمن كان الوجود الشيعي ينمو ويقوى بحيث نجد أنّ ثاني ثورة تندلع في مطلع العصر العباسي ستكون في البصرة عندما أعلن إبراهيم أخو محمّد النفس الزكية ثورته[٣].

المدائن

على خلاف الكوفة والبصرة كانت المدائن مدينة قائمة قبل الإسلام حيث فتحها سعد بن أبي وقاص سنة (١٧ هـ) في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ويعود تأسيس وبناء المدينة إلى أنوشيروان على ما جاء في بعض المدوّنات التاريخية واسمها الفارسي تيسفون وتعد عاصمة الفرس الساسانيين، وفيها طاق كسرى المشهور، وبسبب وجود الأحياء السبعة حيث كل حي يعادل مدينة قائمة بذاتها فقد أطلق عليها العرب اسم «المدائن» ومع ظهور وتأسيس المدن الجديدة من قبيل البصرة والكوفة، واسط، بغداد وسامراء كانت المدائن تحث الخطى نحو الخراب[٤].

---

(١) شهيدي، الدكتور، جعفر، التاريخ التحليلي للإسلام حتى نهاية الحكم الأموي ص١٥٦.

(٢) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار القاموس الحديث، بيروت ج٦ص ١٣٢.

(٣) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٦ هـ) ص٢٩٢.

(٤) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبوعبدالله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط الأولى

وتعدّ المدائن أحدى مناطق الشيعة في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة ويعود ذلك إلى أنّ الذين حكموا هذه المدينة كانوا من الصحابة الشيعة من قبيل سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وكان تعرّف أهلها على الإسلام قد جاء عن طريق الصحابة من الشيعة.

وقد ورد ذكر لشيعة المدائن في ثورة التوّابين يقول المسعودي[١]:

«فاستشهد سليمان بن صُرد الخزاعي.. فأخذ الراية المسيب بن نجبة الفزاري بعده فقاتل حتى قُتل... وأخذ راية التوّابين عبدالله بن سعد بن نفيل وأتاهم إخوانهم يحثّون السير خلفهم من أهل البصرة وأهل المدائن في نحو من خمسمائة فارس عليهم المثنى بن مخرمة وسعد بن حذيفة... فقال ذاك لو جاؤوا ونحن أحياء...».

وقد غلب التشيّع على المدائن فيما بعد، يقول الحموي[٢]: «... والغالب على أهلها التشيّع على مذهب الإماميَّة...».

جبل عامل

كان جبل عامل من مراكز الشيعة في القرن الأول الهجري، وتجمع المصادر التاريخية على أنّ جذور التشيّع في هذه المنطقة تعود إلى وجود أبي ذر فيها، وكان عثمان قد قام بإبعاد الصحابي الجليل أبي ذر إلى هذه المنطقة تفادياً لمعارضته في المدينة، يقول السيد محسن الأمين: «وكان الشيعة يزيدون

(١٤١٧ هـ) ج٧ ص٢٢١ ـ ٢٢٢، والمسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت (١٤١١ هـ) ج١ ص٢٦٧.

(١) المسعودي، عليّ بن الحسين، المصدر السابق ج٣ ص١٠٩.

(٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله، المصدر السابق ص٢٢٢.

ويكثرون بالتدريج في صدر الإسلام حتى بلغوا ألفاً أو أكثر، ولمّا نفي أبوذر إلى الشام تشيّع منها جماعة كثيرة ويقال إنّ تشيّع أهل جبل عامل من ذلك الوقت وإنّه لمّا أخرجه معاوية إلى القرى وقع في جبال بني عاملة فتشيّعوا»[1].

خلاصة الدرس التاسع عشر

يعود تاريخ التشيّع في مدينة الكوفة إلى ما قبل انتقال الإمام عليّ إليها واتخاذها عاصمة للدولة الإسلامية، ذلك أنّ القبائل اليمانية التي استوطنت الكوفة بعد تأسيسها كانت شيعية الاتجاه، كما أنّ بعض كبار الصحابة من الشيعة كانوا سكنوا فيها.

مع قدوم الإمام عليّ عليه السلام إلى الكوفة وحتى نهاية القرن الثالث الهجري ظلّت الكوفة في طليعة المدن والمراكز الشيعية، ومن هنا فقد أصبحت الكوفة في القرنين الثاني والثالث منطلقاً للعديد من الثورات التي قادها العلويون في تلك الفترة وظلّت الثقافة الشيعية هي السائدة خلال تلك الحقبة من الزمن.

وفي البصرة ومع وجود التيار العثماني القوي وسيادته فقد كان للشيعة حضور ملحوظ في هذه المدينة وقد كان لهم دور في مواجهة قوى الناكثين التي سيطرت على زمام الأُمور قبل اندلاع حرب الجمل وكانت قبائل ربيعة التي سكنت البصرة من الشيعة ومع مرور الزمن بدأ الطابع الشيعي يشتد في هذه المدينة.

أمّا المدائن فإنّ نشأة التشيع فيها يعود إلى زمن مبكر أيضاً بسبب تولّي بعض الصحابة من الشيعة ادارتها من قبيل: سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وكانت

---

(١) انظر: أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت (بدون تاريخ) ج١ ص٢٥، تاريخ الشيعة، منشورات مكتبة بصيرتي (بدون تاريخ) ص١٤٩، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق ط الرابعة عشر ج٦ ص٢٤٦

تعد ضمن مدن الشيعة ومراكزهم.

* * *

أسئلة الدرس التاسع عشر

١ ـ كيف أصبحت الكوفة مدينة شيعية؟

٢ ـ هل كان للشيعة حضور في مدينة البصرة؟ تحدّث عن ذلك بإيجاز

٣ ـ ماهي الأسباب الكامنة وراء نشأة التشيّع في المدائن؟

٤ ـ تحدّث عن تاريخ التشيّع في جبل عامل.

الدرس العشرون

ب ـ المراكز الشيعية في القرن الثاني من الهجرة

مع بدء القرن الثاني للهجرة عبر التشيّع حدود الجزيرة العربية والعراق وراح ينتشر في بقاع أُخرى من العالم الإسلامي، مرافقاً هجرة العلويين والشيعة إلى تلك الأصقاع، ومنذ عهد الحجّاج بن يوسف الثقفي بدأ الشيعة بالهجرة إلى مختلف المناطق، وفي القرن الثاني للهجرة بدأ نشاط دعوي مرافقاً سلسلة من الثورات العلوية وهذا ما أثر بشكل واضح على معدل تنامي التشيّع.

بعد استشهاد زيد بن عليّ بن الحسين وإخفاق ثورته في الكوفة هاجر ابنه يحيى إلى خراسان مع مجموعة من أنصاره[1] وبعده ثار عبدالله بن معاوية ـ من أحفاد جعفر الطيّار ـ وتمكّن من بسط نفوذه في مناطق عديدة من قبيل: همدان، قم، الري، قومس، إصفهان وفارس فقد كان يعيش في مدينة إصفهان يقول أبو الفرج[2]: «وقصدته بنو هاشم جميعاً منهم السّفاح والمنصور... فمن أراد عملاً قلّده ومَن أراد صلة وصله... فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غلب عليها حتى ولي مروان الحمار... وظهور أبي مسلم...».

ولم تتوقف الثورات العلوية مع سقوط الحكم الأُموي وقيام الحكم العبّاسي وكان لهذه الثورات المستمرة الأثر الكبير في انتشار وهجرة العلويين في مختلف المناطق، فقد أعقب ثورة محمّد النفس الزكية في زمن المنصور وإخفاقها، انتشار لأحفاد الإمام الحسن السبط في بقاع عديدة من العالم الإسلامي، يقول

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٦ هـ) ص١٤٦.

(٢) المصدر السابق ص١٥٧.

المسعودي[١]: «وقد كان تفرّق إخوة محمّد «ذو النفس الزكية» وولده في البلدان يدعون إلى إمامته فكان فيمن توجّه ابنه عليّ بن محمّد إلى مصر فقتل بها وسار ابنه عبدالله إلى خراسان، فهرب لما طلب إلى السند فقتل هناك وسار ابنه الحسن إلى اليمن فحبس فمات في الحبس، وسار أخوه موسى إلى الجزيرة ومضى أخوه يحيى إلى الريّ ثمّ إلى طبرستان فكان من خبره ما كان أيّام الرشيد، ومضى أخوه إدريس إلى المغرب فأجابه خلق من الناس ومضى أخوه إبراهيم إلى البصرة وظهر بها فأجابه أهل فارس والأهواز وغيرها من الأمصار فحارب حتى قُتل...».

وبالرغم من أنّ العبّاسيين كانوا حذرين جداً وكانوا يلاحقون هذه النشاطات بشكل مستمر ممّا أدى إلى فشل واخفاق أغلب تلك الثورات الا إنّها كانت تترك آثارها الواضحة في مسار التشيّع وانتشاره.

وعادة ما يكون لقادة الثورات أولاد يرثون نهج آباءهم وينقلون أفكار الثورة إلى المناطق التي يهاجرون إليها فقد هاجر عبدالله بن محمّد النفس الزكية على سبيل المثال إلى السند بعد أن تعذّر عليه البقاء في خراسان[٢] وهذا ما أكدّه المسعودي، بينما يشير صاحب كتاب «منتقلة الطالبين» إلى بقاء ابن عبدالله ويدعى إبراهيم في خراسان وله أولاد منهم القاسم ومحمّد[٣].

وفي ماوراء النهر مجموعة تنسب نفسها إلى إبراهيم بن محمّد النفس الزكية[٤].

---

(١) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤١١هـ) ج٣ ص٣٢٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن طباطبا، أبو إسماعيل بن ناصر، منتقلة الطالبين، ترجمة محمّد رضا عطائي، انتشارات آستان مقدس رضوي ط الأولى (١٣٧٢ هـ ش) ص٢٠٧.

(٤) المصدر السابق ص٤٠٣.

وفيما يلي استعراض لأوضاع المدن والمناطق التي بدأ الشيعة بالظهور فيها خلال القرن الثاني.

خراسان

مع مطلع القرن الثاني للهجرة بدأ النشاط الدعوي لبني هاشم[١] في خراسان كان لهذا النشاط آثاره في انتشار التشيّع يقول اليعقوبي[٢]: «ولمّا قتل زيد وكان أمره ما كان تحرّكت الشيعة بخراسان وظهر أمرهم وكثر من يأتيهم ويميل معهم وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أُميّة وما نالوا من آل رسول الله ﷺ حتى لم يبق بلد إلاّ فشا فيه هذا الخبر...».

حتى إذا هاجر يحيى بن زيد إلى خراسان واختفى مدّة هناك ثمّ أعلن ثورته إلتفّ حوله الألوف[٣]، يقول المسعودي[٤]:

«... ولم يُولد في تلك السنة بخراسان مولود إلاّ سُمّي بحيى أو زيد لما داخل أهل خراسان من الجزع والحزن عليه...».

ويعود انتشار التشيّع في خراسان بطبيعة الحال إلى ثورات الزيدية والى النشاط الدعوي العبّاسي، ولهذا فقد كان للتشيع في هذا الإقليم طابعاً زيدياً وكيسانياً خاصّة وأنّ النشاط العبّاسي كان يحاول اكتساب مشروعيته على أساس أن أبا هاشم نجل محمّد بن الحنفية قد أوصى إلى محمّد بن عليّ وهذا ما أشار إليه أبو الفرج الإصفهاني في ترجمة وأحوال عبدالله بن محمّد بن الحنفية[٥]:

---

(١) إنّ بني هاشم اصطلاح كان يشمل بني العباس أيضاً.

(٢) تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي قم (١٤١٤ هـ) ج٢ ص٣٢٦.

(٣) أبو الفرج الإصفهاني، المصدر السابق ص١٤٩.

(٤) مروج الذهب، المسعودي، عليّ بن الحسين، ص٢٣٦.

(٥) أبو الفرج الإصفهاني، المصدر السابق ص١٢٣.

«... وهو الذي يزعم الشيعة من أهل خراسان أنّه ورث الوصية عن أبيه وأنّه كان الإمام وأنّه أوصى إلى محمّد بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس وأوصى محمّد إلى إبراهيم الإمام فصارت الوصيّة في بني العبّاس من تلك الجهة...».

وقد التزم الخراسانيون جانب العباسيين في صراعهم مع العلويين وهذا ما نراه في قمع ثورة محمّد ذو النفس الزكية وكانوا يتحدثون الفارسية في أثناء المعركة يقول أبو الفرج الإصفهاني[١]:

«... كانت الخراسانية إذا نظروا إلى ابن الخضيري الزبيري ـ وهو أحد قادة محمّد ذو النفس الزكية ـ وهو عائداً من المدينة إلى المعسكر يتنادون خضير آمد خضير آمد...» (أي جاء خضير... جاء خضير).

قم

واحدة من أهم المدن الشيعيّة منذ القرن الثاني الهجري وما بعده. وهي لم تبن بأيدي المسلمين فحسب بل المسلمين الشيعة وقد اتخذها الشيعة موطناً في فترة مبكرة جداً بعد ظهورها، وتمتاز هذه المدينة عن غيرها بأنّها أصبحت سكناً للشيعة الإماميَّة الاثني عشرية، ولم تبتعد عن هذا الطابع أبداً وقد ظلّت قم مدينة شيعية خالصة إذا لم يسجل التاريخ إنّ أهل السنّة قد استوطنوها كما ظلّت مستعصية حتى على الغلاة، وإذا ما حصل ذلك فإنّ أهلها كانوا سرعان ما يقومون بطردهم[٢].

وكان لأهل قم علاقات وطيدة مع الأئمة الأطهار عليهم السلام وعادة ما تحصل لقاءات بين وفود منها مع أئمتهم.

---

(١) المصدر نفسه ص٢٣٨.

(٢) رجال ابن داود، منشورات الشريف الرضي ص٢٤٠، ٢٧٠.

وفي عام (٨٢ هـ) وهو العام الذي ثار فيه ابن الأشعث ضد الحجّاج وفرار ابن الأشعث إلى كابل كان في صفوف الثائرين عدد من الشيعة[١] منهم عبدالله، الأحوص، نعيم، عبدالرحمن وإسحاق وهم ولد سعد بن مالك بن عامر الأشعري وقد لجأوا إلى قم بعد فشل الثورة، وكان في تلك الأنحاء سبع قرى اسم إحداها كمندان، وقد استوطن هؤلاء الإخوة تلك القرى ثمَّ التحق بهم أقرباؤهم، وقم هو الإسم الذي أطلقه العرب على هذه المنطقة التي كانت تعرف بـ«كمندان»[٢].

وكان الشيعة وخاصّة العلويين يقصدونها من كل حدب وصوب[٣] وفي نهاية القرن الثاني الهجري قدمت إلى هذه المدينة على قدر السيدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر وشيقيقة الإمام الرضاعليه السلام وأضحت الحادثة نقطة انعطاف كبرى في تاريخ هذه المدينة.

بغداد

في سنة (١٤٥ هـ) قام أبو جعفر المنصور الخليفة العبّاسي الثاني ببناء مدينة بغداد وسرعان ما أصبحت المدينة أحد أهم مراكز الشيعة[٤]، وقد كشف التجمهر الشيعي الذي حدث على الجسر ببغداد سنة (١٨٦ هـ) عندما نادى رجال الشرطة على نعش الإمام الشهيد موسى بن جعفرعليه السلام عن هذه الحقيقة ما

---

(١) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤١١هـ) ج٣ ص١٤٩.

(٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبوعبدالله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط الأولى (١٤١٧ هـ) ج٧ ص٨٨

(٣) ابن طباطبا، أبو إسماعيل بن ناصر، منتقلة الطالبيين، ط الأولى (١٣٧٢ هـ) ص٢٣٣ ـ ٢٣٩.

(٤) الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج٢ ص٣٦١.

أدى إلى بروز مخاوف لدى أركان الحكم ومبادرة سليمان بن المنصور[١] عمّ هارون الرشيد في حل الأزمة المتفجرة وترتيب تشييع مهيب للإمام الكاظم شارك فيه حافياً الذي أطلق من السجن فوق نعش يحمله رجال الشرطة وهم يطلقون هتافات استفزازية.

وبالرغم من أنّ بغداد بنيت لتكون عاصمة العبّاسيين ومركزاً سياسيّاً وعسكرياً للدولة الا إنّها أصبحت إحدى مراكز العلم والثقافة واجتذبت إليها طلبة العلم والمعرفة بما في ذلك الشيعة حيث بدأت الهجرة إليها من البصرة والكوفة والمدائن وشيئاً فشيئاً وكان النمو السكّني يشهد تسارعاً حثيثاً وبعد الغيبة الصغرى أصبحت بغداد مركزاً للمرجعية الدينية للشيعة وازدهرت أوضاع الشيعة والتشيع بعد تسنّم البويهيين مقاليد الحكم واستمرت الأوضاع بهذا المسار إلى هجرة الشيخ الطوسي من بغداد إلى النجف.

ج: مراكز الشيعة في القرن الثالث الهجري

يمكن دراسة التمدد الجغرافي للشيعة من خلال مسارين:

الأوّل: من خلال تأسيس الدول الشيعية في مناطق من العالم الإسلامي ففي سنة (٢٥٠ هـ) تأسست الدولة العلوية في طبرستان[٢] وفي اليمن كانت دولة للزيدية في أوخر القرن الثالث الهجري أسسها السادة الحسنيون وفي سنة (٢٩٦هـ) نهضت الدولة الفاطمية[٣] في شمال أفريقيا وقبلها دولة الأدارسة، ولم تنهض هذه الدول على مرتكزات الشيعة الإماميَّة الا إنّها تعدّ مؤشراً على وجود

---

(١) الأمين السيد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ج١ ص٢٩.

(٢) الطبري، أبو محمّد بن جرير، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية (١٤٠٨ هـ) ج٥ ص٣٦٥.

(٣) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، منشورات الشريف الرضي ط الأولى (١٤١١ هـ) ص٥٢٤.

أرضية للتشيّع في تلك المناطق استثمره الإسماعيليون والزيديون.

أمّا الثاني: فمن خلال دراسة المناطق التي تواجد فيها وكلاء الأئمةعليهم السلام إنّ نظام الوكالة اعتمد منذ عهد الإمام الصادقعليه السلام وأصبح لهذا النظام دوره الفاعل والحيوي في عهد الإمامين الهادي والعسكري.

ويمكن الإشارة إلى المناطق والمدن التي كان فيها وكلاء وهي: الأهواز، همدان، سيستان، بُست، الري، البصرة، واسط، بغداد، مصر، اليمن، الحجاز والمدائن[1] مع الإشارة إلى أنّ الكوفة، قم، سامراء و نيسابور كانت في طليعة المدن الشيعية حتى نهاية القرن الثالث للهجرة؛ وكان الفقه الشيعي الذي يدرس فيها منبثقاً عن أحاديث الأئمة من أهل البيتعليهم السلام .

وقد خبا بريق الكوفة بعد القرن الثالث الهجري لتحل محلّها بغداد، التي وصلت ذروة ازدهارها في هذا المجال مع صعود البويهيين وظهور شخصيات علمية في مستوى الشيخ المفيد، الشريف المرتضى، الشريف الرضي والشيخ الطوسي.

وقد كتب آدم ميتز حول نفوذ التشيع والشيعة في بغداد خلال القرن الرابع الهجري قائلاً : «أمّا في بغداد وهي عاصمة الإسلام ـ بكل معنى الكلمة ـ حيث تتلاطم فيها التيارات الفكرية وحيث لكل مذهب مؤيديه واشتهر من بينها مذهبان قويان عرفا بالتعصّب هما الحنابلة والشيعة، ويتركز الشيعة في أطراف سوق الكرخ ثمّ عبروا الجسر إلى الجانب الآخر من النهر فسكنوا عند باب الطاق، كما تشكلت أحياء غرب دجلة يسكنها في الغالب الهاشميون (سادات بني العبّاس) وقد عرفوا بعدائهم الشديد للشيعة»[2].

---

(١) انظر: پور طباطبائي مجيد، تاريخ عصر الغيبة، المركز العالمي لعلوم أهل البيتعليهم السلام ص١١٩.

(٢) آدم ميتز، الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع للهجرة، مؤسسة انتشارات أميركبير، طهران، ط الثانية

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان : «... محلة باب البصرة، وأهلها كلهم سنّية حنابلة لايوجد غير ذلك وبينهما نحو شوط فرس وفي جنوبها المحلّة المعروفة بنهر القلاّئين وبينهما أقل ممّا بينهما وبين باب البصرة وأهلها أيضاً سُنيَّة حنابلة وعن يسار قبلتها محلّة تعرف بباب المحوّل وأهلها أيضاً سنيّة وفي قبلتها نهر الصراة وفي شرقيها نصب بغداد ومحالّ كثيرة وأهل الكرخ كلّهم شيعة إمأميَّة لايوجد فيهم سُني البتّة...»[1] .

خلاصة الدرس العشرون

شهد العصر العباسي سلسلة من الثورات العلوية التي أفضت فيما أفضت إليه إلى انتشار العلويين في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، وعلى هذا فقد شهد القرن الثاني الهجري عبور التشيع حدود الجزيرة العربية والعراق.

ومع مطلع القرن الثاني وبدء النشاط الدعوي لبني هاشم في خراسان انتشر التشيّع في تلك الأصقاع بالرغم من أنّ التشيع هناك كان كيساني الطابع.

وبعد القرن الثاني للهجرة أصبحت قم في طليعة المدن الشيعية وهي مدينة بنيت على أيدي الشيعة وكان التشيّع الذي انتشر هناك إمامياً اثني عشرياً.

وبالرغم من أنّ تأسيس بغداد كان على أيدي العبّاسيين لتكون عاصمتهم السياسيّة الا إنّ انتقال الشيعة وهجرتهم من الكوفة والبصرة والمدائن جعلها إحدى المراكز الشيعية الهامّة.

ونشهد في القرن الثالث الهجري انتشار التشيّع إلى العديد من المناطق ويمكننا من خلال استعراض لقائمة وكلاء الأئمة الأطهار(عليهم السلام) أن نتعرف على

(١٣٦٤ هـ . ش) ص٨٥، ٨٦

(١) معجم البلدان ج٥ ص٤٤٨ إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩ هـ.

المناطق التي امتدّ إليها التشيّع.

وعلى هذا الأساس نهضت دول شيعية في طبرستان، واليمن وأفريقيا وحتى نهاية القرن الثالث للهجرة كانت الكوفة، قم، وسامراء و نيسأبور في طليعة المراكز الشيعية .

* * *

أسئلة الدرس العشرون

١ ـ ماهي مراكز الشيعة في القرن الثاني للهجرة؟

٢ ـ متى ظهر التشيّع في خراسان؟

٣ ـ ماهو الطابع العام للتشيّع في مدينة قم؟

٤ ـ كيف أصبحت بغداد أحد مراكز الشيعة؟

الدرس الحادي والعشرون

التشيّع بين القبائل

عموماً كان للإمام عليّ عليه السلام بين القبائل القحطانية شيعة وأنصاراً أكثر ممّا هو لدى القبائل العدنانية، حيث التشيّع أكثر نفوذاً وانتشاراً بين القحطانيين، ويمكن القول أنّ الحشود العسكرية في جيش الإمام مؤلفة من قبائل الجنوب والقحطانيين ويشير رجز منسوب للإمام عليه السلام في صفّين إلى هذه الحقيقة:

أنـا الغـلام القرشـي المـؤتمن　　الماجـد الأبـيض ليـث كالـشفن

يرضى بـه الـسادة مـن أهـل اليـمن　　من ساكني نجد ومن أهل عـدن[1]

وكذلك فإنّ معظم شيعة الإمام عليه السلام بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله كانوا من الأنصار وهم أيضاً من أصول قحطانية كما أنّ الذين رافقوه من المدينة إلى البصرة ووقفوا إلى جانبه في حرب الجمل هم من الأنصار كذلك[2].

وقد أشرنا سابقاً إلى اقتراح ابن عباس على الإمام الحسين عليه السلام عندما قرّر الإمام التوجّه نحو الكوفة، وقد جاء في حوار ابن عباس مع الإمام الشهيد ما يلي[3]:

«... فإنّ أرادك أهل العراق وأحبّوا نصرك فاكتب لوليهم أن ينفوا عدوّهم ثمّ صِرْ إليهم وإلاّ فإنّ في اليمن جبالاً وشعاباً وحصوناً ليس بشيء من العراق مثلها واليمن أرض طويلة عريضة ولأبيك بها شيعة فاتها ثمّ ابثث دعاتك وكتبك يأتك الناس...» .

وإذا ما ألقينا نظرة على أصحاب الإمام الحسين يوم عاشورا فإنّنا سنجدهم من

---

(1) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، مؤسسة انتشارات علاّمة، قم ج٣ ص١٧٨.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف ج٣ ص١٦١.

(3) أنساب الأشراف، البلاذري ج٣ ص٣٧٤ دار الفكر ١٤١٧ هـ.

قبائل يمنية باستثناء نفر من قبيلة غفار، يقول المسعودي[١]: «.. وقُتل معه من الأنصار أربعة...».

وانتساب الأنصار إلى قبائل اليمن أمر معروف.

وفي مقابل ذلك فإنّ زعماء قريش كانوا يضمرون حقداً للإمام علي وأُسرته، وهو امتداد لعدائهم للنبيﷺ، لا يوجد بينهم من الشيعة إلاّ نفر قليل للغاية وموقف قريش من الإمام انتقل إلى حلفاء قريش وكانوا ينضوون تحت راية خصومه ومناوئيه كقبيلة ثقيف وأهل الطائف حيث وقفوا إلى جانب معاوية في حرب صفّين، وعندما شنّ معاوية الغارات على المناطق الواقعة تحت نفوذ الإمام عليّعليه السلام فإنّ بسر بن أرطأة الذي كان ينفذها لم يتعرض للطائف وقد خرج لاستقباله المغيرة بن شعبة مرحباً به[٢].

لم يكن من أصحاب الإمام عليّعليه السلام من قريش سوى نفر يعدّ بالأصابع من قبيل محمّد بن أبي بكر وهاشم المرقال، وبالرغم من أنّ خالد بن الوليد كان من خصوم عليّ ومناوئيه، ولكنّ ابنه مهاجر بن خالد كان إلى جانب الإمام عليّعليه السلام في صفين، وكذا عبدالله بن أبي حذيفة، ابن خال معاوية الذي كان من الشيعة المخلصين وقد استشهد على أيدي جلاوزة معاوية.

ولعليّ في جميع القبائل اليمنية شيعة ومحبّين من قبيل قبائل كندة، نخع، الأزد، جهيمة، حمير، بجيلة، خثعم، خزاعة، حضرموت، مذحج، أشعر، طي، سدوس، همدان وربيعة[٣].

---

(١) المسعودي، المصدر السابق، ج٣ ص٧٤.

(٢) انظر: شهيدي، الدكتور سيد جعفر، التاريخ التحليلي للإسلام حتى نهاية العصر الأُموي مركز النشر الجامعي، طهران ط (١٣٦٣ هـ. ش) ص١٣٧.

(٣) أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، رجال البرقي، مؤسسة القيّوم.

ومن بين هذه القبائل فإنّ قبيلتي همدان وربيعة هما السبّاقتان لاعتناق الإسلام في زمن النبيّﷺ وجاء اعتناق همدان للدين الحنيف على يد الإمام عليّعليه السلام ومنذ ذلك التاريخ وهي تدين بالولاء له، وقد ذكر المسعودي أنّه لم يكن من همدان مع معاوية أحد أبداً[1].

وينسب للإمام عليّعليه السلام قوله:

ولـو كنـت بوّابـاً علـى بـاب جنّـة   لقلـت لهمـدان ادخلـوا بـسلام[2]

وكان معاوية يحمل أحقاداً وضغينة لهمدان حتى أنّه خرج في صفّين ذات يوم وانشد هذه الأشعار بين الصفين:

لا عــــيش إلاّ فلـــق الهـــام   مـــن أرحـــب ويـــشكر شـــبام

قـــوم هـــم أعـــداء أهـــل الـــشام   كـــم مـــن كـــريم بطـــل همـــام

وكـــم قتيـــل وجـــريح دام   كـــذلك حـــرب الـــسادة الكـــرام

فانبرى سعيد بن قيس الهمداني يردّ عليه:

لاهـــمّ ربّ الحـــلّ والحـــرام   لا تجعـــل الملـــك لأهـــل الـــشام

ثمّ هزّ رمحه وانطلق صوب معاوية الذي فضّل الفرار نحو قوّاته وانتدب ذا الكلاع (وهو من قادة أهل الشام) لمواجهة سعد بن قيس، والتحم الفريقان إلى أن حلّ المساء وكان النصر لسعد بن قيس، وقد أثنى الإمام عليه وقال في ذلك شعراً:

فـوارس مـن همـدان ليـسوا بعـزّل   غداة الوغى من شاكر وشبام

يقـودهم حـامي الحقيقـة ماجـد   سـعيد بـن قـيس والكـريم محـام

جـزى الله همـدان الجنـان فـانهم   سهام العدى في كل يوم حمـام[3]

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤١١ هـ) ج٣ ص٩٩.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ج٢ ص٣٢٢.

(٣) ابن شهر آشوب، مناقب آلب أبي طالب، مؤسسة انتشارات علاّمة قم ج٣ ص١٧٠ ـ ١٧١.

من هنا أنشدت أشعار ضد همدان من قبل جيش الشام إذ خاطب عمرو بن العاص همدان بهذه الأشعار:

المـوت يغـشاه مـن القـوم الأنـف   يوم لهمدان ويوم لصدف
وفـي سـدوس نحـوه مـا ينحـرف   نـضربها بالـسيف حتـى ينـصرف
وتميم مثلها أو يعترف[1]

وكان عدّة من نساء قبيلة همدان قد شهدن صفين وكن يحرّضن أصحاب الإمام عليّ عليه السلام على القتال والاستبسال ضد معاوية، ومن بينهن سودة الهمدانية والزرقاء بنت عدي بين قيس الهمدانية[2].

فهذه سودة، تخاطب أباها قائلة:

شـمّر كفعـل أبيـك يـابن عمـارة   يوم الطعان وملتقى الأقران
وانـصر عليّـاً والحـسين ورهطـه   واقـصد لهنـد وابنهـا بهـوان
إنّ الإمـام أخـا النبـيّ محمّـد   علـم الهـدى ومنـارة الايمـان
فقـد الجيـوش وسـرّ أمـام لوائـه   قـدماً بـابيض صـارم وسـنان

من هنا فقد كان معاوية يمتلأ غيظاً وحقداً ولم ينس أشعارهن أبداً فبعد استشهاد الإمام عليّ عليه السلام أرسل وراءهنّ وراح يعنّفهنّ عليه السلام[3].

أمّا القبيلة الثانية من قبائل اليمن التي تشكّل القوّة الثانية بعد همدان فهي ربيعة وقد احصى أنصار الإمام وشيعته من قبيلة ربيعة وأفرد لهم قسماً بمعزل عن سائر الشيعة من انتماءات قبلية أُخرى[4].

---

(١) البلاذري، المصدر السابق ج٢ ص٣٢٣.

(٢) ابن عبد ربّه، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٠٩ هـ) ج١ ص٣٣٥.

(٣) المصدر السابق ص٣٣٦.

(٤) أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، مؤسسة القيوم ص٣٧.

وعندما سمع الإمام عليّ عليه السلام بأنباء البصرة واستشهاد عدة من قبيلة ربيعة على أيدي أصحاب الجمل قال:

يــا لهــف نفــسي علــى ربيعــة ربيعـــة الـــسامعة المطيعـــة[١]

وقد أشار المسعودي إلى أحاديث كثيرة للإمام عليّ عليه السلام في تمجيد قبيلة ربيعة، فلقد كانت هذه القبيلة تشكّل ركناً أساسياً ونصيراً قويّاً في حكومته.

وينسب للإمام علي عليه السلام شعر في ربيعة قاله في صفّين وهذا مقطع منه:

لمــن رايــة ســوداء يخفــق ظلّهــا إذا قيل قدمها حضين تقدما

فيوردهــا فــي الــصف حتــى يعلهــا حياض المنايا تقطر الموت والـدما

جـزى الله قومــاً قــاتلوا فــي لقائــه لدى الموت قـدماً مـا أعـزّوا كرمـاً

وأطيــب أخبــاراً وأكــرم شــيمة إذا كـان أصـوات الرجـال تغمغما

ربيعــة أعنــي أنّهــم أهــل نجــدة وبأس إذا لاقـوا خميساً عرمرمـا[٢]

وعندما وقع في الأسر جميل بن كعب الثعلبي وكان من شيعة الإمام وأنصاره خاطبه معاوية بقسوة، وخاطب شفيق بن ثور السدوسي ربيعة وسط احتدام المعارك قائلاً: «يا معشر ربيعة ليس لكم عذر في العرب إن أُصيب عليّ فيكم ومنكم رجل حيّ...».

وبعد هلاك يزيد بن معاوية قام أهل الكوفة بطرد حاكمها من قبل بني أُميّة، وأرادوا انتخاب حاكم جديد، فاقترح بعضهم عمر بن سعد فقامت نساء من همدان، كهلان، الأنصار، ربيعة، ونخع بالتجمع في المسجد واقمن مناحة على سيّد الشهداء الحسين السبط عليه السلام وقلن[٣]:

---

(١) الزبير بن بكّار، الأخبار الموفقيات، منشورات الشريف الرضي، قم (١٤١٦ هـ) ص١٥٩.

(٢) المسعودي، المصدر نفسه ج٣ ص٥٩.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٣٩٤ هـ) ج٢ ص٣٠٦.

«... أما رضي عمر بن سعد بقتل الحسين عليه السلام حتى أراد أن يكون أميراً علينا على الكوفة...».

وبهذه الخطوة تبددت آمال عمر بن سعد في حكومة الكوفة[1] .

خلاصة الدرس الحادي والعشرون

إنّ أكثر شيعة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب همّ من بين القبائل القحطانية واليمانية.

كما أنّ أكثر الصحابة الشيعة من الأنصار الذين هم أيضاً من أُصول يمنية.

وهكذا أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء فإنّ معظمهم من قبائل اليمن باستثناء بني هاشم وعدّة من الغفاريين.

وفي مقابل هذا فأنّ معظم خصوم الإمام عليّ عليه السلام وأُسرته ومناوئيه هم من زعماء قريش باستثناء نفر قليل يوالون الإمام عليه السلام .

ومن بين قبائل اليمن، فإنّ قبيلتي همدان وربيعة كانتا سبّاقات في الولاء للإمام ونصرته.



أسئلة الدرس الحادي والعشرون

١ ـ أي القبائل العربية فيها التشيّع أكثر من غيرها؟

٢ ـ أي القبائل اليمانية سبّاقة في التشيّع؟

---

(١) المسعودي، المصدر السابق ص٩٨، ٩٩.

الفصل السادس
الانشقاق داخل التشيّع

الدرس الثاني والعشرون

الانشقاق داخل التشيّع

حافظ المشهد الشيعي على تماسكه كطيف متوحد حتى سنة (٦١ هـ) وهو تاريخ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وبالرغم من أنّ الشهرستاني يعتبر فرقة الغُلاة السبئية[1] كاحدى فرق الشيعة التي ظهرت في خلافة الإمام عليّ عليه السلام غير أنّ الدراسات التاريخية أثبتت بشكل قاطع أنّ ابن سبأ هو شخصية وهمية[2] لا وجود لها، ولكن من المؤكد ظهور عدّة من الغلاة في عصر الإمام عليّ عليه السلام كان لهم اعتقاد في ربوبية الإمام وقد استتابهم فلم يتوبوا فأمر بإعدامهم جميعاً[3].

ولذا فإنّ القرن الأوّل والثاني من الهجرة لم يشهد انشقاقاً يذكر باستثناء ما حصل من جدل حول إمامة عليّ بن موسى الرضا إذ وقف بعض الشيعة على إمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فسمّوا بـ«الواقفية» في حين سمّي الذين قطعوا بإمامة نجله عليّ بن موسى بـ«القطعية»[4].

وبسبب موقع السبطين الحسن والحسين عليهما السلام لدى الأُمّة وحضورهما في ضمير الرأي العام كأبني لرسول الله صلى الله عليه وآله واعتقاد الغالبية من عموم المسلمين بأهليتهما للخلافة، لهذا لم تحدث أية شبهة في مسألة إمامتهماولم يحدث أي انشقاق

---

(١) الشهرستاني، كتاب الملل والنحل، منشورات الشريف الرضي، قم (١٣٦٤ هـ. ش) ج١ ص١٥٠.

(٢) انظر العسكري، السيد مرتضى، عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى، ط السادسة (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م) ج ٢، ص٣٢٨ ـ ٣٧٥.

(٣) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم (١٤٠٤ هـ) ج١ ص٣٢٥.

(٤) الشهرستاني، المصدر السابق.

داخل التشيّع وداخل الكيان الشيعي.

وبعد استشهاد الإمام الحسين في واقعة كربلاء نشهد ظهور الفرق الشيعية المتعددة وهي كما يلي:

الكيسانية: وأساسها الاعتقاد بإمامة محمّد بن الحنفية.

الزيدية: وأساسها الاعتقاد بإمامة زيد بن عليّ بن الحسين.

الناووسية: وهم القائلون بغيبة ومهدوية الإمام الصادق عليه السلام

الفطحية: وهم القائلون بإمامة عبدالله الأفطح ابن الإمام الصادق عليه السلام .

السمطية: وهم المعتقدون بإمامة محمّد الديباج الابن الآخر للإمام الصادق عليه السلام .

الإسماعيلية: وهم المعتقدون بإمامة إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً.

الطفية: ويذهبون إلى أنّ الإمام الصادق عليه السلام أوصى بالإمامة إلى موسى بن طفي.

الأقمصية: وهم القائلون بإمامة موسى بن عمران الأقمص على أساس أنّ الإمام الصادق عليه السلام قد أوصى بالإمامة له.

اليرمعية: ويذهبون إلى إمامة يرمع بن موسى بناءً على وصيّة مزعومة من الإمام الصادق عليه السلام .

التميمية: وهم أيضاً يدّعون وصيّة للإمام الصادق في إمامة عبدالله بن سعد التميمي.

الجعدية: ويقولون إنّ الإمام الصادق عليه السلام استخلف من بعده شخصاً يدعى أبو جعدة.

اليعقوبية: وهم ينكرون إمامة موسى الكاظم عليه السلام ويقولون أنّ الإمامة خرجت من ولد الإمام الصادق وزعيمهم شخص يقال له أبو يعقوب.

الممطورة: وهم من الواقفين على إمامة موسى الكاظم عليه السلام ويزعمون أن

لاعلم لهم بأنه حيّ أو ميت[١].

الواقفية: وهم القائلون بعدم وفاة الإمام الكاظمعليه السلام وأنه لا يموت إلى يوم القيامة[٢] وقد تفرعت عن بعض الفرق فرق أصغر كالكيسانية مثلاً حيث انقسمت حول إمامة محمّد بن الحنفية إلى فريقين: فريق يرى أن إمامته بعد الإمام الحسينعليه السلام وآخر يرى أنّ إمامته بعد والده الإمام عليّعليه السلام وان الإمام بعده ابنه أبو هاشم، وقد اختلفوا في هذه المسألة أيضا فمنهم من قال إنّ أبا هاشم أوصى إلى محمّد بن عليّ العبّاسي، ومنهم من قال إنّ أبا هاشم أوصى إلى أخيه عليّ بن محمّد بن الحنفية وفريق ثالث يقول أن أبا هاشم أوصى إلى ابن أخيه الحسن بن عليّ وفريق رابع يعتقد بوصية أبي هاشم إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي.

وهكذا الأمر بالنسبة إلى الزيدية التي انقسمت إلى ثلاث فرق أساسية هي الجارودية[٣]: وهم القائلون بأفضلية عليّ واحقيته بالخلافة بعد النبيصلى الله عليه وآله وأنّ النبيصلى الله عليه وآله عرّفه للناس بالوصف لا بالأسم، وأنّ الناس قد قصّروا لعدم معرفتهم فاختاروا أبا بكر وقد كفروا لذلك.

السليمانية[٤]: وهم القائلون بأنّ الإمامة تعين لا بالشورى ويجيزون إمامة المفضول بوجود الأفضل ومن هنا فهم يعترفون بشرعية خلافة أبي بكر وعمر، وان الأمة أخطأت بعدم أختيارها عليّاً وإنّ خطأها هذا لا يبلغ حدّ الفسق. لكنّهم يكفّرون عثمان الخليفة الثالث.

---

(١) ابن ميثم البحراني، ميثم بن عليّ، النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة، مجمع الفكر الإسلامي قم، ط الأولى، ١٤١٧ هـ ص ١٧٢، ١٧٤

(٢) الشهرستاني المصدر نفسه ص ١٣١ - ١٣٥

(٣) وهم أصحاب أبي الجارود وزياد بن أبي زياد وقد عرفوا بالجارودية لهذا.

(٤) وزعيمهم رجل يدعى سليمان بن جرير فعرفوا بالسليمانية.

البترية[١]: وعقائدهم تشبه عقائد السليمانية مع فارق واحد هو في توقفهم عند مسألة عثمان[٢]

وحتى فرقة الإسماعيلية هي الأخرى شهدت انشقاقات داخلية فأصبحت ثلاث فرق:

فرقة تقول بأنّ الإمام بعد جعفر الصادق عليه السلام هو إسماعيل ابنه وأنه ما مات أبداً وانه المهدي الموعود.

وفرقة ثانية تقول إنّ إسماعيل قد مات وإنّ الإمامة انتقلت منه إلى ابنه محمّد بن إسماعيل وإنّه غاب وسيظهر ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجورا.

وثالثة تقول كسابقتها بإمامة محمّد بن إسماعيل مع اختلاف في قولها بأن محمّداً قد مات وأنّ الإمامة استمرت في نسله وذريته.

على أنّ أكثر هذه الفرق التي أشرنا إليها لم تعمّر طويلاً ومن الصعوبة بمكان اعتبارها فرقاً، وإنّما هي مجاميع صغيرة سرعان ما تختفي بعد وفاة قياداتها ويختفي كل دور سياسي واجتماعي لها ومن بين هذه الفرق كان للكيسانية، الزيدية والإسماعيلية حضور وظهور في القرون الثلاثة الأولى، مع الإشارة إلى أنّ فرقة الإسماعيلية قد انفصلت بشكل واضح عن الكيان الشيعي بعد رحيل الإمام الصادق عليه السلام الا إنّها افتقدت إلى الظهور بسبب المرحلة السّرية التي مرّت بها[٣]

وفي القرن الأول الهجري والى ثورة زيد الشهيد كانت الكيسانية هي الأكثر تأثيراً بعد الإماميّة وقد ظهرت الكيسانية في ثورة المختار واذا كان من الممكن

---

(١) وزعيمهم رجل يدعى كثير النوى الأبتر فدعوا بالبتريّة.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٠ - ١٤٢

(٣) الخراساني الشيخ محمّد كريم، تاريخ وعقائد الفرقة الآقاخانية، تلخيص وتنظيم حسين الحسني، نشر الهادي، ص ٢،٣

ألاّ نعتبر نفس المختار كيسانياً فان معظم قواته كانت كيسانية[١]، وقد استمر نشاط هذه الفرقة سياسياً حتى نهاية القرن الأول للهجرة حيث أبو هاشم عبد الله بن محمّد بن الحنفية زعيم هذه الفرقة، وهو اول من أطلق اصطلاح الحجّة والداعي على دعاته ومبلغيه، ثمّ اعتمد هذا المصطلح بعد ذلك لدى العباسيين والزيديين والإسماعيليين، وهو أيضا من شكل وأسس التنظيم السري للدعاة والذي أفاد منه بنو العبّاس فيما بعد[٢] وكان الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك لما شعر بالخطر من وجوده استدعاه إلى دمشق ثمّ دس له السم وتخلص منه وعندما أحس أبو هاشم بدنو أجله عاد إلى الحميمة حيث يعيش بنو عمه من العباسيين وهناك أوصى إلى محمّد بن عليّ العبّاسي وعرّف دعاته عليه[٣].

ومن ذلك التاريخ أمسك بنو العبّاس بزمام الكيسانية وركزوا نشاطهم من خلالها في اقليم خراسان. يقول أبو الفرج الإصفهاني[٤]:

«... وهو الذي يزعم الشيعة من أهل خراسان أنّه ورث الوصيّة عن أبيه وأنّه كان الإمام وأنّه أوصى إلى محمّد بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس وأوصى محمّد إلى إبراهيم الإمام فصارت الوصية في بني العبّاس من تلك الجهة».

حتى الشهرستاني يعتقد ان أبا مسلم كان كيسانياً في بدء أمره، ثمّ لما انتهى العباسيون آمن بشرعيتهم على اساس ان جدّهم العبّاس هو عم النبيّ ﷺ ويمكن أن تلمس الخط السياسي الأجتماعي للكيسانية في ثورة عبد الله بن

---

(١) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٤١١ هـ ج٣، ص ٩١

(٢) مختار الليثي الدكتورة سميرة، جهاد الشيعة، دار الجيل، بيروت ١٣٩٦هـ ص ٨٧ وابن عبد ربه الاندلسي، احمد بن محمّد، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٩هـ ج ٤ ص ٤٣٨.

(٣) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين منشورات الشريف الرضي، قم ١٤١٦، ص ١٢٤.

(٤) أبو الفرج الإصفهاني، المصدر نفسه ص ١٢٣.

معاوية من ذرية جعفر الطيار، يقول الشهرستاني[١]:

«وفرقة قالت: إنّ أبا هاشم أوصى إلى عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي وأن الإمامة خرجت من بني هاشم إلى عبدالله... والرجل ما كان يرجع إلى علم وديانة فاطلع بعض القوم على خيانته وكذبه فاعرضوا عنه وقالوا بإمامة عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب... وبين أصحاب عبدالله بن معاوية وبين أصحاب محمّد بن عليّ خلاف شديد في الإمامة...».

وتلي الكيسانية في نشاطها السياسي والاجتماعي الفرقة الزيدية التي ظهرت إلى المسرح السياسي والفكري بعد ثورة زيد الشهيد وتعد من اكثر الفرق الشيعية نشاطاً في الميدان السياسي كم أنها من اكثر فرق الشيعة قرباً من أصول أهل السنة كما هو الحال في الفرقة البترية التي تعترف بشرعية خلافة أبي بكر، عمر وعثمان وإضافة إلى ذلك فإنّها لا تكفر عائشة، طلحة والزبير[٢] ومن هنا نرى حجم التأييد الفقهي السني الذي حظيت به ثورة محمّد النفس الزكية الزيدي المذهب[٣]، فقد كتب مسعر بن كدام وهو من كبار المرجئة إلى إبراهيم شقيق محمّد النفس الزكية وحثه على القدوم إلى الكوفة[٤].

وكان أبو حنيفة إمام الأحناف قد شارك في ثورة محمّد النفس الزكية ودعا الناس إلى المشاركة فيها[٥].

يقول سعد بن عبد الله الأشعري في «الزيدية البترية» بأنّهم يعترفون بولاية

---

(١) الشهرستاني، المصدر نفسه ص ١٣٥.

(٢) المصدر نفسه ص ١٤٢

(٣) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم ١٤١٦ هـ ص ٢٤٧

(٤) المصدر السابق ص ٣١٤

(٥) المصدر نفسه.

الإمام عليّ عليه السلام ويدمجون معها ولاية أبي بكر وعمر خاصّة وأنّهم يتبعون في أصولهم المعتزلة ويأخذون فروعهم من أبي حنيفة ومن الشافعي ولكن على نحو محدود جداً[١].

والمذهب الزيدي لايتعارض بشكل عام مع عقائد أهل السنة ولذا نجد مشاركة واسعة من أهل السنة في ثورات الزيدية كما اشرنا إلى المشاركة في ثورة محمّد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، وهكذا بالنسبة للشيعة الذين اشتركوا في ثورات الزيدية ربما انطلاقاً من تصور بأن الإمام المعصوم يسند هذه الثورات ويؤيدها ولعل تعذّر الاتصال بين الشيعة في المناطق النائية وائمتهم دفعهم إلى الانضمام إلى تلك الثورات، وهذا ما يفسر انفضاض الكثيرين بعد بدء المعارك وبقاء الشيعة الزيدية فقط كما حدث لابراهيم في ثورته إذ ذكر المسعودي إنّ عدد الذين ثبتوا معه في المعركة كانوا أربعمائة وقد قتلوا جميعاً[٢].

أمّا الفرقة الثالثة الفاعلة سياسياً واجتماعياً فهي الإسماعيلية، وقد انفصلت عن الكيان الشيعي في منتصف القرن الثاني للهجرة وقد ظلّت دون واجهة اجتماعية حتى نهاية القرن الثالث، وكان قادتها يعملون تحت غطاء كثيف من السرّية حتى سنة ٢٩٦هـ وهو العام الذي ظهر فيه عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين في المغرب ولهذا فقد ظلت مراحل تكوّن هذه الفرقة مجهولة لدى المؤرخين، وكان النوبختي الذي عاش في القرن الثالث للهجرة يربط بينهم وبين الغلاة من أتباع أبي الخطاب[٣] كما ان عقائدهم تكتنفها هالة من الغموض. يشير

---

(١) الأشعري سعد بن عبد الله المقالات والفرق، مركز النشر العلمي والثقافي، طهران ط الثانية ١٣٦٠ هـ ش، ص ١٠.

(٢) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٤١١ هـ ج ٣، ص ٣٢٦.

(٣) فرق الشيعة، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م ص ٧١.

المسعودي إلى أن المتكلمين من فرق الشيعة، المعتزلة، المرجئة والخوارج كتبوا عن فرقهم وكتبوا في الردّ على غيرهم من مخالفيهم، لكن أحداً لم يتعرض إلى عقائد القرامطة. وقد كتب بعضهم في الرد عليهم كما كتب آخرون في شرح عقائد أهل الباطن وقد أنكر أهل هذه الفرقة ما قاله هؤلاء عنهم[١].

ولهذا السبب فقد أطلقت عليهم أسماء مختلفة تبعاً للبيئة التي تحاول تعرفيهم، يقول الخواجه نظام الملك بهذا الصدد: كانوا يعرفون بأسماء متعددة فهم يعرفون في حلب ومصر بـ «الإسماعيلية»، وفي قم وكاشان وطبرستان وسبزوار بـ «السبعية» وفي بغداد، وماوراء النهر بـ «القرامطة» وفي الري بـ «الخلفية» وفي إصفهان... إلخ[٢].

وقبل تشكيل الدولة الفاطمية كان الإسماعيليون لا يعيرون اهتماماً كبيراً بالنشاط السياسي وكانوا يركزون جهودهم على النشاط الدعوي وإعداد الكوادر، ولهذا نجد قادة الإسماعيلية من قبيل محمّد بن إسماعيل، عبد الله بن محمّد، أحمد بن عبد الله وحسين بن أحمد يقومون بأسفار إلى مناطق عديدة مثل الري، نهاوند، منطقة دماوند، سوريا جبال قندهار، نيسأبور، الديلم، اليمن، همدان ،استنبول وآذربيجان حيث انبث دعاتهم في تلك المناطق.[٣]

ومن هنا أخفق العباسيون في القضاء على حركة القرامطة اللذين ينسبون أنفسهم للإسماعيلية[٤].

---

(١) انظر: التنبيه والاشراف، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف، القاهرة، ص ٣٤١.

(٢) سياسة نامه، انتشارات علمي، طهران ١٣٦٤ هـ.ش، ص ٣١١.

(٣) انظر، جعفريان، رسول، تاريخ التشريع في إيران حتى القرن السابع للهجرة، منظمة الإعلام الإسلامي قم ط الخامسة، ١٣٧٧ هـ.ش ص ٢٠٧ - ٢٠٩.

(٤) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤١١هـ ج ٤ ص ٢٩٧

وفي سنة ٢٩٦ هـ تمكن الإسماعيليون من تأسيس الدولة الفاطمية فوق مساحات واسعة كانت تحت النفوذ العبّاسي.

خلاصة الدرس الثاني والعشرون

لم يحدث انشقاقات داخل الكيان الشيعي في القرنين الأول والثاني للهجرة واستمر الوضع هكذا حتى نهاية القرن الثاني، من هنا ما حدث من جدل حول إمامة عليّ بن موسى الرضا هو ظهور «الواقفية» الذين وقفوا على إمامة موسى الكاظمعليه السلام فيما دعي الذين قالوا بامامة عليّ بن موسى وقطعوا بذلك بـ «القطيعة» والاثني عشرية.

وبسبب ما يتمتع به الإمامان الحسن والحسينعليهما السلام من احترام عميق فقد ظلّ الشيعة بمأمن من الأنشقاقات والتصدّع الداخلي.

إنّ أكثر الفرق التي نجد لها أسماء في كتب الفرق والملل والنحل لا تنطبق عليها مقومات ما يمكن أن ندعوها بذلك، لأنّها في الغالب عبارة عن مجموعات صغيرة سرعان ما تتبدد بمجرد موت زعاماتها.

أمّا الفرق الفاعلة سياسياً واجتماعياً فثلاث فرق هي: الكيسانية، الزيدية والإسماعيلية.

* * *

أسئلة الدرس الثاني والعشرون

١ـ متى ظهرت الانشقاقات في داخل الكيان الشيعي؟

٢ـ ما هي الفرق التي كانت تمتلك واجهات اجتماعية؟

٣ـ ما هي متبنيات الفرقة الزيدية في الأصول والفروع؟

الدرس الثالث والعشرون

أسباب التصدّع والانشقاق في الطائفة الشيعية

إنّ مسألة الأئمة الاثني عشر التي وردت في العديد من الأحاديث النبويّة كانت قد استقرت في ضمير ووجدان الشيعة الأوائل من جيل الصحابة والتابعين، وكان بعضهم يعرفهم بأسمائهم من قبل ولادتهم كما نرى ذلك في الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري فقد جاء في كتب الحديث عن الصحابي الجليل:

لمّا أنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه محمّد ﷺ: ﴿يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم﴾[1] قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ: هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي أوّلهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن والحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه ياجابر، فإذا لقيته فأقرئه منّي السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سميّي وكنيّي حجة الله في أرضه، وبقيّته في عباده ابن الحسن بن عليّ، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبه لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان»[2].

---

(١) النساء: الآية (٥٩).

(٢) تفسير الصافي، ج١ ص ٣٦٦ وكمال الدين وتمام النعمة ج١ ص ٣٦٥.

وكان الصحابي الجليل اذا جلس في مسجد النبيﷺ[1] وهو معتم بعمامة سوداء وكان يُنادي يا باقر العلم يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر فكان يقول: لا والله ما أهجر ولكن سمعت رسول اللهﷺ يقول: إنّك ستدرك رجلاً من أهل بيتي اسمه اسمي وشمائله شمائلي يبقر العلم بقراً...».

وكان الأئمة من أهل البيتعليهم السلام قد أثبتوا حقّانيتهم بالبراهين والكرامات غير ان الفترات العصيبة التي مرّت بها الشيعة وما لاقوه من معاناة قد حجبت الكثير من الحقائق او اشتبهت على الكثيرين الحقيقة والحقّ والجادة الصواب وفيما يلي العوامل التي ادّت إلى تشعب مسارات الشيعة:

١ـ أعوام القهر

بعد عام ٤٠ هـ بدأت فصول من القهر السياسي والاضطهاد استهدفت أهل البيتعليهم السلام وشيعتهم ولم يكن من السهل الاتصال بالأئمةعليهم السلام وبالتالي التعرّف عليهم.

وفي النصف الثاني من القرن الأول للهجرة وتحديداً بعد سنة ٧٢ هـ هُزم عبد الله بن الزبير على أيدي الحجّاج بن يوسف ولم يكن لابن الزبير علاقات طيبة مع أهل البيت.

وكان يشدّد الخناق عليهم وعلى شيعتهم، ثمّ سارت الأمور بعد انتصار عبد الملك وتولّي الحجّاج حكم العراق والحجاز مدّة عشرين سنة، وكانت حقبة الحجّاج من أصعب الفترات التي مرّ بها الشيعة، وتحول العراق في عهده إلى مسرح لعمليات دموية رهيبة، وتعرض الشيعة إلى القتل والاعتقال والتشرّد وشهد

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم، ١٤٠٤ هـ ج ١ ص ٢١٨.

العراق والحجاز هجرة المئات وفرارهم إلى أقاليم اخرى[١].

وقد اعتمد الإمام السجاد عليّ بن الحسين عليه السلام منهج التقية، وكان يستثمر اسلوب الدعاء لابلاغ المعرفة وترسيخ القيم الإنسانية والاخلاقية، وفي هذه الفترة العاصفة ظهرت الفرقة الكيسانية.

وبالرغم من أن الامامين الباقر والصادق عليهما السلام مرّا بظروف أفضل وحدث انفراج نسبي وتمتعا بنوع من الحرية حيث تبلورت من خلال جهودهما مدرسة أهل البيت عليهم السلام الا إنّ الامر لم يستمر طويلاً اذ سرعان ما تربع المنصور على كرسي الحكم وراح يقمع النشاط الشيعي بقسوة وقد حاول أغتيال الإمام الصادق اكثر من مرّة، ولما وصله خبر وفاته عليه السلام أوعز إلى والي المدينة المنورة بالتعرف على خليفته ووصيّه وتصفيته.

غير أن الإمام الصادق الذي كان يدرك نوايا المنصور واساليبه نظم وصيته واثبت فيها خمسة اشخاص من بينهم المنصور نفسه، محمّد بن سليمان، عبد الله، موسى والسيدة حميدة زوجته[٢].

وقد امضى الإمام موسى الكاظم عليه السلام سنوات طويلة من حياته في السجون، وكان موسى الهادي الخليفة العبّاسي أول من قام باعتقاله، ثمّ اطلق سراحه.

وفي عهد هارون الرشيد اعتقل الإمام اربع مرات وقام بقطع الاتصالات مع شيعته[٣] وفي هذه الفترة عانت الشيعة من الحيرة وظلت دون قائد ما وفر الفرصة لدعاة الاسماعيلية والفاطمية، وكان هارون الرشيد قد صعد من حربه على أهل البيت، وكان الجواسيس يرصدون كل شاردة وواردة وقد بلغت الأجواء من

---

(١) زين العاملي، محمّد حسين، الشيعة في التاريخ، انتشارات آستان قدس رضوي ط الثانية ١٣٧٥ هـ.ش، ص ١٢٠.

(٢) الطبرسي، أبو عليّ الفضل بن الحسن، اعلام الورى، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم، (١٤١٧ هـ)، ج ٢، ص ١٣.

(٣) المظفر، محمّد حسين، تاريخ الشيعة، منشورات مكتبة بصيرتي قم (بدون تاريخ)، ص ٤٧.

الاختناق أن علياً بن إسماعيل يسافر إلى بغداد ويكيل الاتهامات لعمه الإمام الكاظم من أجل حفنة من الدراهم[١] وتكشف هذه الحادثة عن الحصار الاقتصادي الذي يتعرض له العلويون بحيث يقوم أحدهم بالوشاية ضد عمه.

أجل لقد شاعت لدى الغالبية من الشيعة حيرة إزاء إمامها هل هو حيّ أم ميت؟ ولم تكن هذه بالمسألة الهينة ومن هنا صرّح يحيى بن خالد البرمكي؛ بأنه قد تمكّن من القضاء على (دين الرافضة) لأنهم يعتقدون أن الدين لا يقوم إلاّ بإمام حيّ وهم اليوم لا يدرون عن إمامهم أهو حيّ أم ميت[٢].

وعندما استشهد لم يحضره أحد من الشيعة ولعل هذا مادفع بالواقفية إلى رفض فكرة موته، بالرغم من وجود سبب آخر يتعلق بما لدى زعماء الواقفية من الأموال التي يتعين عليهم دفعها لخليفة الإمام الشهيد.

لقد عاش أئمة أهل البيت عليهم السلام في أجواء مراقبة شديدة، وصلت ذروتها في استدعاء الإمامين الهادي والعسكري إلى سامراء التي هي عبارة عن ثكنة عسكرية كبرى فعاشا هناك في ظروف صعبة تشبه ظروف الإقامة الجبرية، وبعد استشهاد الإمام العسكري، سعت السلطة إلى معرفة الخلف من بعده بسبب هواجسها من أن يكون هو المهدي الموعود ولذا قامت باعتقال زوجته، حتى جعفر بن عليّ المعروف بالكذاب وقف ضد أخيه، من هنا انتشرت عقائد الغلاة المعروفين بالنصيرية وزعيمهم محمّد بن نصير الفهري، كما التف بعضهم حول جعفر الكذاب الذي ادعى الإمامة[٣].

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين،منشورات الشريف الرضي، قم ١٤٢٦ هـ ص ٤١٤.

(٢) زين العاملي، محمّد حسين، المصدر نفسه ص ١٢٣.

(٣) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال(رجال الكشي)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم، ١٤٠٤ هـ ج ٢، ص ٨٠٥

٢ـ التقية

التقية عبارة عن إظهار المرء خلاف الحقيقة، بسبب الخوف وهي مبرّرة شرعياً وعقلياً ومعمول بها قبل الإسلام، ففي قصة سيدنا موسى بن عمران عليه السلام نجد مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، وعصر الرسالة في مكّة المكرمة تعرض عمار بن ياسر إلى تعذيب وحشي فأقر بالأوثان وعندما شعر بالندم قال له النبي صلى الله عليه وآله[1]: «فإن عادوا لمثلها فعد...».

وبسبب ما عاناه الشيعة من اضطهاد وملاحقة فقد اعتمدوا منهج التقية بغية الحفاظ على حياتهم وتداوم وجودهم وهكذا استمر التشيع، تقول الدكتورة سميرة الليثي [2]: «ومن عوامل استمرار حركات الشيعة أيضاً لجوء الأئمة العلويّين إلى التقية والكتمان والدعوة السرية مما أتاح الفرصة لنمو الحركات الشيعية وهي لا تزال في المهد بعيدة عن أيدي الخلفاء العبّاسيين وولاتهم...».

من جهة أخرى فان التقية كانت أحد العوامل في ظهور الانشقاقات داخل الشيعة، وكان بعض الأئمة الأطهار ينتهجون ذلك ولم يعلنوا إمامتهم خوفاً من سطوة الدولة، وفيما يلي حوار دار بين الإمام الرضا وبعض أصحابه[3]:

قال له عليّ بن أبي حمزة الواقفي: جعلت فداك، اخبرنا عن أبيك عليه السلام ما حاله؟ فقال له: انه قد مضى، فقال له: فالى من عهد؟ فقال: إليّ، فقال له: إنّك لتقول قولاً ما قاله أحد من آبائك عليّ بن أبي طالب عليه السلام فمن دونه، قال: لكن قد قاله خير آبائي وأفضلهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: أما تخاف هؤلاء على نفسك؟ فقال: لو خفت عليها كنت عليها معيناً، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتاه أبو

---

(١) الأمين السيد محسن، اعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت(بدون تاريخ)، ج١، ص ١٩٩.

(٢) جهاد الشيعة، دار الجيل، بيروت ١٣٩٦ هـ ص ٣٩٤.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢: ٢١٣ حديث ٢٠.

لهب فتهدده، قال له رسول الله ﷺ: إن خدشت من قبلك خدشة فأنا كذّاب، فكانت أوّل آية نزع بها رسول الله ﷺ، وهي أوّل آيه انزع لكم ان خدشت خدشة من قبل هارون فأنا كذّاب.

فقال له الحسن بن مهران: قد أتانا ما نطلب ان أظهرت هذا القول، قال: فتريد ماذ؟ أتريد أن أذهب إلى هارون فأقول له: أني إمام وأنت لست في شيء، ليس هكذا صنع رسول الله ﷺ في أوّل أمره، إنّما قال ذلك لأهله ومواليه ومن يثق به فقد خصّهم به دون الناس وأنتم تعتقدون الإمامة لكن كان قبلي من آبائي، ولا تقولون أنه انما يمنع عليّ بن موسى أن يخبر أن أباه حيّ تقيّة، فاني لا أتقيكم في أن أقول: أنّي إمام، فكيف أتقيكم في أن أدعي أنّه حي لو كان حياً.

وسئل الإمام الباقر ذات مرّة في ظروف تستدعي التقية فأجاب وفقاً لذلك، وهذا ما حدا ببعض الشيعة إلى التراجع عن الاعتقاد بإمامته[١]، من جهة أخرى كان من بين الشيعة متطرفون لا يتفهمون منهج التقية، هذا التطرف دفع بهم إلى تبني المذهب الزيدي.

ومن هنا انحسرت ظاهرة الانشقاق وظهور المزيد من الفرق مع حدوث الانفراج النسبي وتمكن الأئمة من ممارسة دورهم التوعوي بين قواعدهم الشعبية.

ففي الفترة الانتقالية التي عاصرها الإمام الصادق عليه السلام وما أتيح له من انفراج نسبي لم نشهد ظهور فرق جديدة للشيعة. وبعد رحيله عليه السلام وتفاقم الأوضاع في زمن المنصور الذي يعد في طليعة الخلفاء العباسيين في بطشه ظهرت فرق شيعية عديدة من قبيل ؛ الناووسيه، الإسماعيلية، الخطابية، القرامطة، السمطية والفطحية[٢].

---

(١) الأشعري القمي، سعد بن عبد الله،المقالات والفرق،مركز انتشارات علمي،طهران ص ٧٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٧٩.

وفي عهد الإمام الرضا عليه السلام حدث قدر من التحسن في الأجواء السياسية بعد ان خفت وتيرة المطاردة والملاحقة لأجهزة هارون بعد استشهاد الإمام الكاظم، إذ نشهد ان عدداً من الواقفية[1] يتراجعون عن آرائهم ويعلنون إيمانهم بإمامة عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، كما حدث تطور نوعي في مسار الإيمان بالإمامة إذ استقبلت الشيعة إمامهم الجديد الإمام الجواد وآمنت به بالرغم من مسألة السن لقد كان الجواد في التاسعة من عمره فقط. ولعل جهود الإمام الرضا في تعريف خليفته هي وراء مرور هذه القضية بسلام.

٣ـ الزعامة وحبّ الدنيا

وبسبب الأوضاع العاصفة، واعتماد الأئمة عليهم السلام منهج التقية للحفاظ على وجود التشيع وكيان الشيعة، انتهز بعض الطموحين والطامعين هذه الظروف وراحوا يصطادون في الماء العكر، وقد سئل الإمام الصادق ذات مرّة فأجاب[2]:

«... بتأويلهم أحاديثنا يُريدون بذلك السمعة والدنيا...».

وقد تفاقمت هذه الظاهرة خاصة بعد انتشار التشيع في القرن الثاني الهجري وتحديداً بعد رحيل الإمام الصادق عليه السلام، وقد ظل التشيع يعاني من هؤلاء في زمن الإمام الكاظم عليه السلام واستمر ذلك إلى عهد الإمام الحسن العسكري وعادة ما تكون الدنيا، المال، الزعامة بواعث لنشاط أولئك الانتهازيين. فقد ادعى المغيرة بن سعيد بأن الإمام بعد رحيل الإمام الباقر زاعماً بان السجاد والباقر قد أوصيا له بالإمامة، فانفصلت وفقاً لذلك مجموعة من الشيعة دعيت بـ«المغيرية».

وبعد استشهاد الإمام الصادق عليه السلام ظهرت عدة فرق من قبيل الناووسية

---

(١) من قبيل: عبد الرحمن بن الحجّاج، رفاعة بن موسى، يونس بن يعقوب، جميل بن دراج، حماد بن عيسى وآخرون.

(٢) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال(رجال الكشي)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ١٤٠٤ هـ ج١ ص ٢٧٤.

والخطابية وعادة ما تستفيد تلك الزعامات من أسماء الأئمة كمحور لادعاءاتهم، فابن ناووس زعم ان الإمام الصادق لم يمت وأنه هو المهدي فتشكلت فرقة الناووسية، أما الخطابية فقد أنكرت موت إسماعيل بن الإمام الصادقعليه السلام، فكان زعيمهم هو الإمام[1]، وبعد استشهاد الإمام الكاظم في السجن حدث تطور في ظهور الفرق إذ كانت الأموال والأطماع الباعث الوحيد تقريباً في إنكار وفاة الإمام الكاظم وبالتالي رفض إمامة عليّ بن موسى فقد اتفق بعض وكلائه على هذه المقولة لتصفوا لهم الأموال التي بحوزتهم من الحقوق الشرعية.

فقد كانت بحوزت زياد القندي الأنباري سبعون ألف دينار ولدى عليّ بن حمزة ثلاثون ألف دينار يقول يونس:[2]

«مات أبو الحسنعليه السلام وليس من قوامه أحد إلاّ وعنده المال الكثير، وذلك سبب وقوفهم وجحودهم موته، وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند عليّ بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، قال: رأيت ذلك وتبيّن على الحقّ، وعرفت من أمر أبي الحسن الرضاعليه السلام ما علمت فكلمت ودعوت الناس إليه، قال: فبعثا إليّ وقالا لي: لا تدعو إلى هذا إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار وقالا لي: كفّ فقلت لهما إنا روينا عن الصادقين أنهم قالوا: «**إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سلب عنه نور الإيمان**» وما كنت ادع الجهاد وأمر الله على كلّ حال، قال فناصاباني وأظهرا لي العدواة».

ويقول سعد بن عبد الله الأشعري:[3]

«فرقة منهم يقال لها الهموية أصحاب محمّد بن بشير مولى بني أسد من أهل

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٠.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٦.

(٣) الأشعري القمي، سعد بن عبد الله المصدر نفسه ص ٩١.

الكوفة، قالت أن موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس، وأنّه غاب واستتر، وهو القائم المهدي، وأنه في وقت غيبته استخلف على الأمّة محمّد بن بشير وجعله وصيّه وأعطاه خاتمه وعلّمه جميع ما يحتاج إليه رعيته من أمر دينهم ودنياهم، وفوضّ إليه جميع أموره وأقامه مقام نفسه، فمحمّد بن بشير الإمام من بعده. حدّثني محمّد بن عيسى بن عبيد عن عثمان عن عيسى الكلابي أنّه سمع محمّد بن بشير يقول: الظاهر من الإنسان ارضيّ والباطن أزليّ. وقال أنّه كان يقول بالاثنين وان هشام بن سالم ناظره عليه فأقرّ به ولم ينكره، وأنّ محمّد بن بشير لما توفي أوصى إلى ابنه سميع بن محمّد فهو الإمام ومن أُصي إليه سميع فهو إمام مفترض طاعته على الأُمّة إلى وقت خروج موسى بن جعفر وظهوره فما يلزم الناس من حقوق في أيبهم غير وذلك فما يتقربون به إلى الله فالفرض عليهم أداؤه إلى أوصياء محمّد بن بشير إلى قيام القائم...».

٤- القلوب الضعيفة

إذا حاولنا تفهم ظاهرة الغلو ووجود الغلاة نفسياً فان العقول الصغيرة والنفوس القلقة لا تتحمل في العادة ان تحافظ على قدر من التوازن إزاء كرامة يرونها او ظاهرة مميّزة، فيجنحون في عقائدهم نحو الغلو بما يخرج الإمام من حالته البشرية وكان الأئمة في موقفهم إزاء هؤلاء في غاية الحزم ولم يتساهلوا في التصدّي لهم وتفنيد مزاعمهم وحتى لعنهم، ذلك ان من بين أولئك زعامات كانت تنتهز هذه الظاهرة لا عن عقيدة وإنما عن أطماع رخيصة وقد نقل الكنسي ان سبعين من الزط في البصرة كانوا يغالون في عليّ عليه السلام بعد حرب الجمل[1].

---

(١) لما انتهى أمير المؤمنين من حرب الجمل أتاه سبعون رجلاً من الزط فسلّموا عليه وكلّموه بلسانهم فردّ عليهم بلسانهم وقال لهم: إني لست كما قلتم أنا عبدالله مخلوق، قال: فأبوا عليه وقالوا له: أنت أنت هو قال لهم:

وكما ذكرنا ان هناك انتهازيين كانوا يستثمرون هذه الظاهرة لمصلحتهم كما حصل لأبي الخطاب الذي أسس فرقة الخطابية وادعى ان الإمام الصادق نبيّ ثمّ قال ان الله حلّ في جسمه ثمّ ادعى لنفسه الإمامة[١].

وفي فترة الغيبة الصغرى ادعى أبو نصير انه السفير والباب والوكيل للامام المهدي ثمّ ادعى النبوّة ووصل به الأمر إلى ادعاء الإلوهية [٢]وعادة ما يلاحظ أولئك انتهازيو المستوى الثقافي لأتباعهم والأجواء النفسية ليطرحوا مزاعمهم وأفكارهم المنحرفة.

جهاد الأئمة ضد تيار الغلاة

شكّلت ظاهرة الغلو وتيار الغلاة أكبر التحديات الخطيرة التي واجهت الشيعة في مسارهم التاريخي الطويل. وقد استغلت السلطة هذه الظاهرة لاتهام الشيعة بشكل عام بالغلو والتطرف في نظرتهم إلى الأئمة الأطهارعليهم السلام. ولسنا بصدد الحديث عن فرق الغلاة وبيان أفكارهم وآرائهم، سوى الإشارة إلى المحور الأساسي والقاسم المشترك بين تيارات الغلو المختلفة إذ أنها تشترك في حالة التطرف في حق الأئمة وإخراجهم من حالتهم البشرية.

ويمكن القول ان هناك عوامل خارجية تحاول ضرب الإسلام من الداخل بالتشجيع على هذه الأفكار المتطرفة. فهناك في الأمم المغلوبة من يفكر بالانتقام

لئن لم ترجعوا عما قلتم فيّ وتتوبوا إلى الله تعالى لاقتلنّكم قال، فأبوا أن يرجعوا ويتوبوا فأمر أن تُحفر لهم آبار فحفرت ثمّ فرق بعضها إلى بعض ثمّ قرّتهم فيها ثمّ طمّ رؤوسها ثمّ ألهب النار في بئر منها ليس فيها أحد فدخل الدخان عليهم فماتوا». الشيخ الطوسي، أخبار معرفة الرجال(رجال الكشي) مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم ١٤٠٤هـ ج ١ ص ٣٢٥.

(١) الشهرستاني، كتاب الملل والنحل، منشورات الشريف الرضي، قم ج ١ ص ١٦٠.

(٢) الشيخ الطوسي المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٠٥

من الإسلام الذي قهرهم ولا توجد وسيلة أنجع من ضرب أُصول الإسلام التي تتمحور حول التوحيد، وقد حاولت أجهزة الحكم ضرب التشيع من الداخل بتغذية هذه الأفكار ودعم بعض الشخصيات المتطرفة وبالتالي اتهام الشيعة بالغلو والزندقة والخروج عن الإسلام.

والمؤشرات تفيد من أن ظاهرة الغلو بدأت في عهد الإمام عليّ عليه السلام الذي بهر العقول بعبقريته وعدالته وإنسانيته ما دفعهم إلى التصريح بآرائهم حول إلوهية الإمام عليه السلام وقد تصدّى الإمام بحزم وأعدم أول مجموعة من الغلاة[١]

اما عبد الله بن سبأ فهو شخصية وهمية من مخترعات سيف بن عمر ولكن الطبري المؤرخ قام بنقل هذه الأوهام ومنحها وجوداً تاريخياً وإلاّ فان سيف بن عمر مشهور بالكذب [٢]

وقد واجه الأئمة عليهم السلام هذه الظاهرة بحزم وشدّة وكانوا يعلنون آراهم في زعمائهم ويلعنونهم ويحذرون من خطرهم وانحرافهم، وقد حرّموا على شيعتهم مجالسة الغلاة وإقامة علاقات معهم[٣].

وقد لعن الإمام الصادق بعض زعماء الغلاة[٤] منهم: المغيرة بن سعيد، بيان، صائد النهدي، الحارث الشامي، عبد الله بن الحارث، الحمزة بن عمار البربري وأبو الخطاب. ومن الجدير ذكره أن أكثر نهايات هؤلاء كانت سيئة وقد قتل بعضهم شرّ قتلة يقول الإمام الرضا عليه السلام:[٥]

---

(١) الشيخ الطوسي، المصدر نفسه، ص ٣٢٥.

(٢) انظر: العسكري، السيد مرتضى، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، ط السادسة ١٤١٣ هـ-١٩٩٢ م، ج ٢، ص ٣٢٨ - ٣٧٥.

(٣) الشيخ الطوسي، المصدر نفسه، ج ٢ ص ٥٨٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٧٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٩١.

«كان بنان يكذب على عليّ بن الحسين عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد والمغيرة بن سعيد يُكذّب على أبي جعفر عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد، وأبو الخطاب يكذّب على أبي عبدالله عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد والذي يكذّب عليّ محمّد بن فرات...».

وتفاقمت ظاهرة الغلاة في عهد الإمام الحسن العسكري وقد صدرت عن الإمام بيانات شديدة اللهجة تضمنت لعن الكثيرين منهم من قبيل قاسم اليقطيني، عليّ بن مسكة القمي، ابن بابا القمي الفهري، محمّد بن نصير النميري[1] وفارس بن حاتم القزويني .

وبسبب هذه البيانات التي صدرت عن الأئمة حول الغلاة وانحرافهم وخطرهم فان بعض المدن والمراكز الشيعية كانت تقوم بطرد الغلاة ولا تسمح لهم بالسكن فيها فقد جاء في ترجمة حسين بن عبد الله انه اتهم بالغلو مع مجموعة من أصحابه وطردوا من قم[2]

ونقل ابن حزم عن أبي الحسن محمّد بن أحمد من نسل الإمام الكاظم عليه السلام في القرن الثالث الهجري انه كان شديداً على الغلاة في منطقة آذربيجان فتآمروا على قتله وأقنعوا مفلح غلام ابن أبي الساج حاكم آذربيجان باغتياله[3]

خلاصة الدرس الثالث والعشرون

بالرغم من وجود الروايات والإخبار التي ذكرت أسماء الأئمة الاثني عشر وما وراه الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله من أحاديث بشأنهم، الا إنّ الظروف التي تلت رحيل

(١) المصدر نفسه، ص ٨٠٥

(٢) رجال ابن خلدون، منشورات الرضي، قم، ص ٢٤٠.

(٣) جمهرة انساب العرب، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٣ هـ،ص ٦٣.

النبيﷺ وما مرّ به الشيعة من منعطفات تاريخية قد أثارت الكثير من غبار الشك وفقدت هذه المسألة وضوحها وراء ضباب الحوادث وغبار السنين. ومن العوامل التي أدت إلى انحراف بعض المجموعات الشيعية عن جادة الصواب هي:

١ـ اعوام القهر: بعد سنة ٤٠ هـ أمسك الأمويون بزمام الحكم وسيطر جو من الرعب والخوف على الحياة السياسية والاجتماعية والإرهاب الفكري.

وقد استمرت هذه الأجواء من بعد انهيار الحكم الأُموي، ولهذا كان الشيعة يواجهون صعوبات في التعرف على أئمتهم والاتصال بهم.

٢ـ التقية: بالرغم من أن التقية حفظت التشيع ومكنت الشيعة من الاستمرار في نشاطهم. الا إنّها من جهة أخرى كانت من ضمن العوامل في انشقاق مجموعات شيعية وانفصالها عن الكيان العام بسبب امتناع بعض الأئمة وفي فترات حرجة عن التصريح بإمامتهم.

٣ـ حبّ الزعامة والدنيا: انتهز بعض الشيعة الظروف السائدة وراحوا يستغلون ذلك من أجل التأسيس لزعاماتهم والحصول على مكاسب دنيوية.

٤ـ القلوب الضعيفة: عادة ما يوجد أناس لا تتحمل عقولهم كرامة من إمام أو ولي وتقصر عقولهم الصغيرة عن تفهم هذه الكرامة ضمن إطار معقول ولذا فأنهم يجنحون إلى التطرف في نظرتهم للإمام، وقد انتهز بعض الطامعين وذوي الطموح هذه الظاهرة وراحوا يغذون تيار الغلو والغلاة وتعتبر هذه الظاهرة من اخطر ما واجهه التشيع في مساره الطويل وقد وقف الأئمة من الغلو والغلاة موقفاً شديداً وحازماً وبذلوا جهوداً كبيرة في مكافحة هذه الظاهرة الخطيرة.



أسئلة الدرس الثالث والعشرون

١ـ ما هي أسباب انشقاق الفرق الشيعية؟

٢ـ ما هو موقف الأئمة من الغلاة؟ تحدّث باختصار.

الفصل السابع

الميراث العلمي للشيعة

الدرس الرابع والعشرون

الميراث العلمي للشيعة

لا تخفى على أحد أهمية التأليف والتصنيف في الشريعة الإسلاميّة، ذلك ان الكتابة إحدى أهم الوسائل في انتقال العلم والمعرفة.[1]

وقد برز إحساس بأهمية الكتابة وضرورتها بعد البعثة النبويّة الشريفة وذلك من أجل تدوين آيات القرآن وتعليمها للمسلمين، وقد جاء في سيرة ابن هشام: قال لعمر: «أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال: ختنك وابن عمك سعد بن فريد بن عمرو، واختك فاطمة بنت الخطاب، فقدوا... أسلما وتابعا محمّداً على دينه، فعليك بهما، قال: فرجع عمر عامداً إلى أُخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة، فيها «طه» يقرئهما إيّاه»[2] .

وفي المدينة المنورة انتخب النبي عدداً من المسلمين يوفون القراءة والكتابة من أجل كتابة ماينزل من الوحي، وكان الإمام عليّعليه السلام هو الكاتب الأساسي للوحي، وكان النبيصلى الله عليه وآله قد انتدبه لكتابة وتدوين المتشابه والمحكم من آيات القرآن الكريم وبيان الناسخ والمنسوخ منها في كتاب سماه:«الصحيفة الجامعة» وهو من إملاء النبيصلى الله عليه وآله وتشتمل الصحيفة على الحلال والحرام، والأحكام والسنن والفرائض وما يحتاجه الناس في أمور المعاش[3]كما يوجد كتابان

---

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمّد، مقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨ هـ ص ٤١٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبويّة، دار المعرفة، بيروت(بدون تاريخ)، ج ١، ص ٣٤٤.

(٣) النجاشي، احمد بن عليّ، فهرست أسماء مصنفي الشيعة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم، ١٤٠٧ هـ ص ٣٦٠. والطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ط

آخران ينسبان إليه أيضا وهما «الصحيفة» وكتاب «الفرائض»[١]

وكان عدد من الصحابة أيضاً قد قاموا بجمع أحاديث النبيﷺ في كتاب دعي «الصحيفة» وقد روى البخارى عن أبي هريرة قوله: «ما من أصحاب النبيﷺ أحد أكثر حديثاً عنه منّي إلاّ ماكان من عبدالله بن عمرو فإنّه كان يكتب ولا أكتب»[٢].

وما حصل بعد وفاة النبي ﷺ ان الخليفة الثاني منع تدوين الحديث[٣] وقد استمر هذا المنع إلى عهد عمر بن عبد العزيز الذي رفع الحظر عن عملية تدوين الأحاديث النبويّة الشريفة: «وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن حزم انظر ما كان من حديث رسول الله فاكتبه»[٤].

ولم يترجم هذا الإجراء في رفع الحظر عملياً حتى أواخر القرن الثاني فعلى اساس ما نقله الغزالي ان أوائل المؤلفين في تدوين الحديث لدى أهل السنة هم: ابن جريح، معمر بن راشد، مالك بن أنس، وسفيان الثوري[٥]وهذه شخصيات ترتبط بالنصف الثاني من القرن الثاني للهجرة وسنوات وفياتهم حسب ترتيب أسمائهم هي: ١٥٠، ١٥٢، ١٧٩و١٩١ هجرية.

وما قاله الغزالي ليس دقيقاً لأن بعضاً من كبار الصحابة بادروا إلى تدوين الحديث في مرحلة مبكرة من تاريخ الإسلام، من قبيل سلمان الفارسي، أبو ذر

الأولى ،(١٤١٧هـ)، ج ١، ص ٥٣٦.

(١) الشيخ الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام، مكتبة الصدوق، ط الأولى ١٣٧٦ هـش - ١٤١٨ هـق ج ١ ص ٣٣٨، ٣٤٢.

(٢) صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج ١، ص ٣٦.

(٣) حيدر أسد،الإمام الصادقؑ والمذاهب الأربعة، دار الكتاب العربي، بيروت ط الثالثة، ١٤٠٣ هـ ج ١، ص ٥٤٤.

(٤) صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج ١، ص ٣٣.

(٥) ابن شهراشوب، معالم العلماء، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٠ هـ ص ٢.

الغفاري وأبو رافع القبطي، يقول ابن شهراشوب: «قال الغزالي أوّل كتاب صنّف في الإسلام كتاب ابن جريح «الآثار»، و «حروف التفاسير» عن مجاهد، وعطاء بمكّة، ومعمر بن راشد الصنعاني باليمن، ثمّ كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس، ثمّ جامع سفيان الثوري، بل الصحيح أنّ أوّل من صنف فيه أميرالمؤمنين عليه السلام جمع كتاب الله جلّ جلاله، ثمّ سلمان الفارسي(رضي الله عنه)، ثمّ أبو ذر(رحمه الله) ثمّ الأصبغ بن نباتة، ثمّ عبيدالله بن أبي رافع ثمّ الصحيفة الكاملة عن زين العابدين»[١] .

وكذا ابن النديم يصرح بأن تاريخ التدوين لدى الشيعه يعود إلى القرن الأول للهجرة[٢] ومن هنا اشار الذهبي إلى هذه الحقيقة في ترجمته «أبان بن تغلب»: «فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو ردّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبويّة»[٣] .

ولهذا نجد كثيراً من فقهاء ومحدثي أهل السنة وخاصّة أئمة المذاهب الأربعة ينهلون بواسطة ومباشرة من علم الإمام الصادق وتتخذ منهم لدى محدثي الشيعة وأخذوا عنهم الحديث[٤] .

وحول إعداد الكتب التي اُلفت وصنفت لدى الشيعة في القرون الثلاثة الأولى فيقول صاحب الوسائل ان عددها يربو على الستة آلاف وستمائة كتاب وذلك في الفترة الممتدة بين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وعهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «أما ما نقلوه منه ولم يصرّحوا باسمه فكثير جداً في كتب الرجال

---

(١) معالم العلماء لابن شهرآشوب: ص٣٨ ط قم.

(٢) ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت(بدون تاريخ)، ص ٣٠٧.

(٣) ميزان الاعتدال ج١ ص٥ دار المعرفة، بيروت ١٣٨٣ هـ.

(٤) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج ١ ص ١٨.

يزيد على ستة آلاف وستمائة كتاب على ما ضبطناه»[١].

وتعددت الحقول العلمية التي ألف فيها الشيعة بما في ذلك العلوم الحديثة فقد ألفوا في الأدب، اللغة، الشعر، علوم القرآن، التفسير، الحديث، أُصول الفقه، الكلام، التاريخ، السيرة، الرجال والأخلاق. وكان لهم في كل ذلك تأليفات كثيرة وكانوا هم المؤسسين للعديد من هذه العلوم في تاريخ الإسلام، فهذا أبو الأسود الدؤلي الشاعر الشيعي أول من أسس لعلم النحو[٢] وهو أول من نقط القرآن الكريم[٣]، كما ان أول كتاب في اللغة هو كتاب العين، الذي ألفه الخليل بن احمد الفراهيدي[٤] وهو من علماء الشيعة[٥]،

ويعترف ابن حجر بان الشيعة هم أول من كتب في السيرة والمغازي[٦] وبعد هذه النظرة العابرة؛ من المفيد ان تتحدث بإيجاز عن علوم الحديث والفقه والكلام حيث لمدرسة التشيع مرتكزاتها وأصولها الخاصّة.

الحديث

الحديث الشريف او السنة ثاني أهم المصادر في الفقه الإسلامي بعد القرآن الكريم، وهي عبارة عن قول وفعل وتقرير المعصوم، ويحصر أهل السنة ذلك في حديث النبي وسيرته وسنته قولاً وفعلاً وتقريراً غير ان الشيعة يتوسعون في ذلك

---

(١) الشيخ الحر العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، المكتبة الاسلاُميَّة، طهران ط السادسة ١٣٦٧ هـ ش، ج ٢٠، ص ٤٩.

(٢) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٦١.

(٣) البستاني، دار المعارف، دار المعرفة، بيروت (بدون تاريخ)، ج ١ ص ٧٨٨.

(٤) ابن النديم، المصدر نفسه ص ٦٣.

(٥) الاردبيلي الغروي الحائري، محمّد بن عليّ، جامع الرواة، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم ١٤٠٣ هـ ج ١ ص ٢٩٨.

(٦) ابن حجر العسقلاني، تحرير تقريب التهذيب، مؤسسة الرسالة بيروت ط الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ج ٣ ص ٢١١، ٢١٢.

لتشمل الأحاديث والسنّة سيرة المعصومين من آله قولاً وفعلاً وتقريراً ويعتبرون ذلك حجة.[١]

وفيما يلي إشارة إلى الآثار الحديثية في عهد الأئمةعليهم السلام حيث يمكن تقسيمها إلى أربعة مراحل في أربع طبقات:

الطبقة الأولى:

وفقاً لرأي النجاشي فان الطبقة الأُولى لمدوني الحديث هم كل من: أبو رافع القطبي، عليّ بن ابي رافع، ربيعة بن سميع، سليم بن قيس الهلالي، الاصبغ بن نباته المجاشعي، وعبيد بن الحر الجعفي[٢]وهؤلاء من أصحاب الإمام عليّ والحسن والحسين.

الطبقة الثانية:

وهم من بين أصحاب الإمام السجادعليه السلام والإمام الباقر، ووفقاً لدراسات تاريخية يبلغ عدد من ألف في الحديث اثني عشر مصنفاً.[٣]

ويمكن الإشارة إلى أبان بن تغلب الذي يحظى بمنزلة طيبة لدى الأئمة الأطهار قال له الإمام الباقر: «اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فإنّي أحبّ أن يرى في شيعتي مثلك»[٤].

---

(١) الشهيد الثاني، الشيخ زين الدين، ذكرى الشيعة في احكام الشريعة، ط حجرية ص ٤ والرعاية في علم الدراية، الشهيد الثاني، منشورات مكتبة المرعشي ط الأولى ١٤٠٨ هـ ص ٥٢،٥٠.

(٢) رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي، جامعة المدرسين، قم ١٤٠٧ هـ ص ٤ - ٩.

(٣) وهم كل من: برد الاسكافي، ثابت بن ابي صفية، أبو حمزة الثمالي، ثابت بن هرمز، بسام بن عبد الله الصيرفي، محمّد بن قيس البجلي، حجر بن زائدة الحضرمي، زكريا بن عبد الله الفياض، ابن جهم الكوفي، الحسين بن ثوير، عبد المؤمن بن قاسم الانصاري، عبد الغفار بن قاسم الأنصاري وأبان بن تغلب، النظر الرباني الشيرازي، عبد رحيم، مقدمة وسائل الشيعة، المكتبة الاسلاميّة ط السادسة ١٤٠٣هـ ص ياء.

(٤) انظر: النجاشي، احمد بن عليّ، فهرست أسماء مصنفي الشيعة، مؤسسة النشر الإسلامي جامعة المدرسين قم، ١٤٠٧ هـ ص ١٠.

ويشير النجاشي إلى تعدد فنونه إذ يقول: «وكان أبان(رحمه الله)مقدماً في كلّ فن من العلم في القرآن والفقه والحديث والأدب والنحو واللغة وله كتب منها: تفسير غريب القرآن وكتاب الفضائل»[١].

وكذا أبو حمزة الثمالي الذي قال فيه الإمام الصادق: «أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه»[٢]. ومن تأليفاته كتاب النوادر، كتاب الزهد وتفسير القرآن.[٣]

الطبقة الثالثة:

شهد عصر الإمام الصادق عليه السلام نمواً متسارعاً في مختلف العلوم كما توفرت للشيعة اجواء من الحرّية النسبية نشطت خلالها فعاليتهم العلمية والثقافية وكان الإمام الصادق محور جامعة اسلاميّة كبرى كما يقول الشيخ المفيد: «ولا تقولوا عنه كما تقولوا، عن أبي عبدالله عليه السلام فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة الثقاة، على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل»[٤].

يقول الحسن بن عليّ الوشاء وهو من تلامذة الإمام الرضا عليه السلام انه رأى في مسجد الكوفة تسعمائة محدث كلهم يقول حدثني جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام.[٥]

ومن هنا فقد اعتمدت أجوبته الأربعمائة أساسا للكتب الأربعمائة [٦] التي اعتبرت أصولاً. وهناك كتب أخرى في مختلف حقول المعرفة وفنون العلم ألّفها أصحاب الإمام الصادق وتلامذته.

---

(١) المصدر السابق ص ١١.

(٢) المصدر نفسه ص ١١٥.

(٣) ابن شهراشوب ، معالم العلماء، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٠ هـ ص ٣٠.

(٤) الشيخ المفيد، الارشاد، المكتبة الاسلاميّة طهران ١٣٧٦ هـ ش، ص ٥٢٥.

(٥) النجاشي، المصدر نفسه ص ٣٩، ٤٠.

(٦) إعلام الورى بأعلام الهدى، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث العربي، قم ط الأولى (١٤١٧ هـ)، ج١، ص ٣٥.

الطبقة الرابعة:

وفي هذه المرحلة التي تلت مرحلة الإمام الصادق عليه السلام ظهرت كتب حديثة كثيرة فقد ألّف الحسين بن سعيد الكوفي وهو من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ثلاثين كتاباً في الحديث[1]، كما ألّف محمّد بن أبي عمير وهو من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ٩٤ كتاباً، كما ألّف صفوان البجلي من أصحاب الرضا والجواد عليهما السلام ثلاثين كتاباً وسمّى معظمها بـ «المجامع» ومن أصحاب المجموعات الحديثية المتأخرين: ثقة الإسلام الكليني، الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي اللذين قاموا بتدوين الحديث اعتماداً على ما ألّفه الأقدمون.

خلاصة الدرس الرابع والعشرون

إنّ مسألة التأليف والتدوين في غاية الأهمية وقد حث عليها الإسلام، وقد برزت الحاجة إلى التدوين بعد نزول الوحي وعرف بعض المسلمين بأنهم كتّاب الوحي.

وقد قام الإمام عليّ عليه السلام وبعض الصحابة بتدوين أحاديث النبي صلى الله عليه وآله تحت عنوان الصحيفة.

يعود تاريخ تدوين الحديث لدى أهل السنة إلى النصف الثاني من القرن الثاني. ذلك ان الخليفة الثاني أصدر منعاً حول تدوين الأحاديث النبويّة. الا إنّ بعض الصحابة الشيعة دوّنوا الحديث النبوّي فكانوا منذ أوائل المؤلفين وهم كل من الصحابي سلمان الفارسي، أبو ذر الغفاري وأبو رافع القبطي.

ألّف علماء الشيعة من عهد الإمام الحسن العسكري ما يربو على الستة آلاف وستمائة حديث.

---

(١) ابن شهرآشوب، معالم العلماء، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٠ هـ ص ٤٠

وتنقسم الآثار الحديثية في عهد الأئمة عليهم السلام أربع طبقات في أربع مراحل :

الطبقة الأُولى: وهم أصحاب الإمام عليّ عليه السلام والسبطين الحسن والحسين عليهم السلام.

الطبقة الثانية: وهم أصحاب الإمام السجاد والباقر عليهم السلام.

الطبقة الثالثة: وهم أصحاب الإمام الصادق.

الطبقة الرابعة: وهم أصحاب الأئمة؛ الكاظم، الرضا، الجواد، الهادي والعسكري عليهم السلام .

أسئلة الدرس الرابع والعشرون

١ـ كيف كان تدوين القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وآله ؟

٢ـ هل كان صحابة النبي صلى الله عليه وآله يقومون بتدوين الحديث الشريف؟

٣ـ من هم أول من قام بتدوين الحديث لدى أهل السنة؟ وفي أية فترة زمنية؟

٤ـ من هم رواد التدوين لدى الشيعة؟

٥ـ كم يبلغ عدد الكتب المؤلفة لدى الشيعة حتى زمن الإمام العسكري؟

٦ـ تحدث بإيجاز عن الطبقة الأولى من محدثي الشيعة.

٧ـ تحدث بإيجاز عن تدوين الحديث في عهد الإمام الصادق عليه السلام.

٨ـ الي أي فترة زمنية تنتمي المدونات الحديثية التي ظهرت تحت عنوان «الجامع»؟

الدرس الخامس والعشرون

علم الفقه

إنّ مجموع السلوكيات الإنسانية والعلاقات بين الإنسان وربه وبين الناس أنفسهم بحاجة إلى تنظيم وقواعد حيث علم الفقه يتكفل ذلك. ان قوانين الإسلام هي قوانين الهية ومصدرها الله سبحانه. كما ان إرادة الله سبحانه لا تأتي من مسائل اعتبارية بل إنها تنهض على مسألة المصالح والمفاسد التكوينية والحقيقية، وان سيدنا محمّد ﷺ هو رسول الله وحكمه هو حكم الله:﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى﴾[1]، على أساس هذه الآية الكريمة: ﴿وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم﴾[2] وأولي الأمر هم خلفاء الرسول بالحق وتأتي طاعتهم انطلاقاً من طاعة الله والرسول ﷺ؛ومن هنا فان حديث الأئمة المعصومين لا ينفصل عن حديث النبي وحديث النبي امتداد للوحي الذي لاينطق عن الهوى.

الفقه في عصر الصحابة والتابعين

بعد رحيل النبيﷺ حدث انعطاف في المسار الحقيقي للإسلام، وأقصي خليفة النبي بالحق حيث ظهرت مرجعيات دينية في المسائل الشرعية من بين أصحاب النبيﷺ، وقد ظهر من بين الصحابة من تصدّى للإفتاء يقول ابن سعد: «أخبرنا محمّد بن عمر الأسلمي أخبرنا جارية بن أبي عمران عن

---

(١) النجم: الآيتان (٣،٤).

(٢) النساء: الآية (٥٩).

عبدالرحمن بن قاسم عن أبيه عن أنّ أبا بكر الصديق كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه دعا رجالاً من المهاجرين والأنصار ودعا عمر وعثمان وعليّاً وعبدالرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت وكلّ هؤلاء كان يفتي في خلافة أبي بكر وإنّما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء النفر، فمضى أبوبكر على ذلك، ثمّ ولي عمر فكان يدعو هؤلاء النفر وكانت الفتوى تصير وهو خليفة إلى عثمان وأبي زيد»[١].

بالرغم من نبوغ شخصيات فقهية كبرى من بين الشيعة من قبيل ابن عباس وأبو سعيد الخدري وبدأت تستقطب عموم المسلمين لتصبح مرجعيات دينية شاخصة[٢] وتجدر الإشارة إلى أنّ الشيعة كانوا يراجعون الأئمة المعصومين في هذه الفترة في المسائل الشرعية وعموم المعارف الإسلاميَّة، من هنا لم يكن الفقه والاجتهاد كما نعرفه اليوم مطروحاً في تلك الفترة، ولكن بعد مضي جيل الصحابة تصدّى التابعون لإحداث حركة في مسار الفقه بسبب بروز قضايا جديدة وظهر اصطلاح الفقيه ليطلق على تلك الشخصيات من جيل التابعين، ومن بينهم ما يعرف تاريخياً بـ«الفقهاء السبعة».[٣]

الفقه لدى الشيعة

إنّ مسار الفقه لدى الشيعة يختلف مما هو عليه لدى أهل السنة، ذلك أنّ حضور الإمام المعصوم حال دون بروز الحاجة إلى الاجتهاد، غير انه يمكن

---

(١) الطبقات الكبرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأُولى ١٤١٠ هـ ج ٢ ص ٢٦٧ وفي ط دار صادر ص ٣٥٠.

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٩، ٣٨٥.

(٣) وهم كما اثبتهم ابن سعد في طبقاته: سعيد بن المسيّب، أبو بكر بن عبد الرحمن، عروة بن الزبير، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، القاسم بن محمّد، خارجة بن زيد، وسليمان بن سيار، إنظر. المصدر نفسه ص ٢٩٣.

القول ان الفقه الشيعي في عصر الأئمة وحتى نهاية الغيبة الصغرى كان في مرحلة التفريع وإعداد الأرضية للاجتهاد.[(١)]

وبسبب وجود المعصوم وفتح باب العلم على مصراعيه، وحضور النص فانه لم تبرز حاجة إلى الاجتهاد الذي يسند في الغالب إلى أدلة ظنيّة ومن هنا فأن الفقه الشيعي الذي استند إلى الاجتهاد ظهر لأول مرّة عن طريق ابن أبي عقيل العماني (المتوفى مطلع القرن الرابع الهجري) وهو معاصر للكليني ثمّ أعقبه محمّد بن جنيد الاسكافي (المتوفى أواسط القرن الرابع الهجري) حيث دعم وعزز أسس الاجتهاد والاستنباط الفقهي. وهما ينتميان إلى جيل الأقدمين أو هكذا أطلق على أولئك الفقهاء. وقد قاد كل من الشيخ المفيد (المتوفى سنة

---

(١) يعتقد آية الله إبراهيم جناتي ان الفقه الشيعي مر بثمانية مراحل منذ صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر:

المرحلة الأولى: مرحلة ظهور مباديء الاجتهاد وتبدأ من هجرة النبي ﷺ حتى سنة ١١هـ

المرحلة الثانية: مرحلة التمهيد واعداد الارضية لاستخدام الاجتهاد وتبدأ من رحيل النبي ﷺوحتى نهاية الغيبة الصغرى.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة تدوين القواعد الاصولية وعناصر الاجتهاد المشتركة وتبدأ من زمن ابن أبي عقيل المتوفى سنة ٣٢٩هـ وحتى زمن الشيخ الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ هـ).

المرحلة الرابعة: مرحلة استخدام عناصر الاجتهاد المشتركة في المنابع والمصادر وتبدأ من زمن الشيخ الطوسي إلى زمن حفيده ابن ادريس (المتوفى سنة ٥٩٨ هـ).

المرحلة الخامسة: مرحلة اتساع الاستدلال في القضايا الاجتهادية وتبدأ من زمن ابن ادريس إلى زمن البهبهاني (المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ).

المرحلة السادسة: مرحلة تكامل الاجتهاد وتبدأ من زمن الوحيد البهبهاني إلى زمن الشيخ الانصاري (المتوفى سنة ١٢٨١هـ).

المرحلة السابعة: مرحلة التعمق الفكري في البحوث الاجتهادية وتبدأ من زمن الشيخ الانصاري إلى زمن الإمام الخميني(قدس سره).

المرحلة الثامنة: مرحلة استخدام الاجتهاد بطريقة جديدة ورائدها الإمام الخميني(رض).

انظر: ادوار الاجتهاد، سازمان انتشارات كيهان ط الأولى ١٣٧٢ هـ.ش الفصل الثاني وما بعده.

٤١٣هـ)، والسيد المرتضى علم الهدى (المتوفى سنة ٤٣٦هـ) مسار الاجتهاد إلى زمن الشيخ الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ هـ) وفي زمن الشيخ الطوسي ذلك الرجل العبقري وصل الفقه إلى مرحلة الازدهار فإضافة إلى كتابيه الجليلين في الحديث وهما «التهذيب» و «الاستبصار» فقد قام بتأليف الكتب الفقهية والاجتهادية فألّف كتاب «النهاية»، «المبسوط» و «الخلاف».

ولم يكن الاجتهاد والفقه قد طرح بهذا المستوى في عصر الأئمة، بسبب البعد المكاني وصعوبة اتصال الناس بالأئمة عليهم السلام فإنهم عليهم السلام بادروا إلى طرح وبيان مجموعة من المعايير لمعرفة الفقهاء الذين ينبغي الرجوع إليهم والذين يمكنهم ممارسة نوع من الاجتهاد الابتدائي وتقديم أجوبة للناس على مسائلهم، كما ورد ذلك في مقبولة عمر بن حنظلة الذي عاصر الإمام الصادق عليه السلام حيث تقدم اثنان من الشيعة في مسألة شرعية مثل الدين والميراث فكان جوابه عليه السلام كما يلي: «عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة... فقلت: فكيف يصنعان قال: ينظران من كان منكم ممّن روى حديثنا ونظر في حلالنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً»[1].

وربما قام الأئمة بتحديد شخص ما كمرجع يراجعه الناس في مسائلهم الشرعية والدينية فقد روى الشيخ الطوسي ان عليّ بن المسيب التقى الإمام الرضا عليه السلام وسأله[2]: عن عليّ بن المسيب قال: «قلت للرضا عليه السلام شقتي بعيدة

(١) الحر العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، المكتبة الاسلاُميّة، طهران، ج ١٨ ص ٩٩ كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، باب ١١، حديث ١.

(٢) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث العربي قم ١٤٠٤هـ ج ٢ ص٨٥٧ ح١١١٢.

ولست أصل إليك في كل وقت، فممّن آخذ معالم ديني فقال: زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا».

وهكذا بالنسبة للإمام الباقر وطلبه من أبان بن تغلب أن يجلس في مسجد النبي ﷺ لإفتاء الناس. قال له أبو جعفر عليه السلام : «اجلس في مسجد المدينة وافت الناس»[١] .

بدء الاجتهاد

وفي هذه المرحله قام الأئمة الاطهار بتعليم تلامذتهم أُصول الفقه وقواعد الاستنباط وقد ظهرت مجموعة من الكتب صنفها علماء الشيعة منسوبة إلى الأئمة المعصومين، مثل:«كتاب أُصول آل الرسول» وهو من تأليف هاشم الخوانساري وكتاب «الأُصول الاصيلة» تأليف السيد عبد الله بن محمّد رضا حسين وكتاب «الفصول المهمة في أصول الأئمة» تأليف محمّد بن الحسن الحر العاملي.[٢]

وهناك في كتب الرجال مجموعة من كبار أصحاب الأئمة كانوا في عداد الفقهاء فعلى سبيل المثال يقول النجاشي في الفضل بن شاذان:"كان ثقة احد أصحابنا الفقهاء والمتكلمين".[٣]

الفقهاء من أصحاب الأئمة

أحصى الشيخ الطوسي ثمانية عشر فقهياً كانوا من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، الإمام الصادق عليه السلام، الإمام الكاظم عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام وعرّفهم على انهم

---

(١) النجاشي، احمد بن علي، رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي، جامعة المدرسين قم، ١٤٠٧ هـ ص ١٠.

(٢) الصدر، السيد حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، منشورات الاعملي، طهران (بدون تاريخ) ص ٣١٠.

(٣) النجاشي، المصدر نفسه ص ٣٠٧.

الفقهاء من أصحاب ابي جعفر، الفقهاء من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام والفقهاء من أصحاب أبي إبراهيم عليه السلام وأبي الحسن الرضا عليه السلام وأضاف مستطرداً بأن الشيعة يجمعون على صحة مروياتهم ويعترفون بأفقهيتهم من بين سائر أصحاب الأئمة عليهم السلام، ثمّ قسمهم الشيخ الطوسي إلى ثلاث طبقات:

الطبقة الأُولى: الفقهاء من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام وهم كل من: زرارة، معروف بن خربود، بريد، أبو بصيرالأسدي، الفضل بن يسار ومحمّد بن مسلم الطائفي حيث زرارة أفقه هؤلاء الستة وهم من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ايضاً.

الطبقة الثانية: الفقهاء من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وهم كل من: جميل بن دراج، عبد الله بن مسكان، عبد الله بن بكير، حماد بن عيسى وحماد بن عثمان.

الطبقة الثالثة: الفقهاء من أصحاب الإمام الكاظم والإمام الرضا عليهما السلام وهم كل من: يونس بن عبد الرحمن، صفوان بن يحيى، بياع السابري، محمّد بن أبي عمير، عبد الله بن المغيرة، حسن بن محبوب، واحمد بن محمّد بن أبي نصر[(١)]

وقد ذكر ابن النديم ايضاً وفي قسم اخبار الفقهاء الشيعة وتأليفاتهم عدداً من الفقهاء من أصحاب الأئمة عليهم السلام وقال انهم من المشايخ الذين رووا الفقه عن الأئمة ثمّ أورد اسماءهم وهم كل من: صالح بن أبي الاسود، عليّ بن غرّاب، أبو يحيى ليث المرادي، زريق بن الزبير، أبو سلمة البصري، اسماعيل بن زياد، أبو احمد عمر بن الرفيع، داود بن فرقد، عليّ بن رئاب، عليّ بن إبراهيم المعلّى، هشام بن سالم، محمّد بن حسن العطار، عبد المؤمن بن القاسم الانصاري، سيف بن عميره النخعي، إبراهيم بن عمر الصنعاني، عبد الله بن ميمون القداح، ربيع بن أبي مدرك، عمر بن أبي زياد الابزاري، زكريا بن يحيى الواسطي، أبو خالد بن

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال(رجال الكشي)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ج ٢ ،ص ٥٠٧، ٧٣٦، ٨٣٠

عمرو بن خالد الواسطي، حريز بن عبد الله الازدي السجستاني، عبد الله الحلبي، زكريا المؤمن، المثنى بن أسد الخياط، عمر بن اذينة، عمار بن معاوية الدهني العبدي الكوفي، معاوية بن عمار الدهني، الحسن بن محبوب الرّاد وقد ذكر لكل فقيه منهم كتاباً في الفقه.[١]

خلاصة الدرس الخامس والعشرون

ان منظومة السلوك البشري تحتاج إلى قوانين تتكفل تنظيمها وهو علم الفقه.

وبعد رحيل النبيﷺ انفصل الناس عن خلفائه بالحق وكانوا يراجعون أصحاب النبيﷺ .

وبعد انتهاء مرحلة الصحابة برز عدد من الفقهاء لدى أهل السنة . أما الفقه لدى الشيعة فقد كان يختلف تماماً، وذلك لاستمرار حضور المعصوم، ولهذا لم تكن ثمة حاجة للاجتهاد وكان الفقه في تلك المرحلة يحمل أرضية للاجتهاد، ولم يطرح الفقه على أساس الاجتهاد إلاّ في عهد ابن أبي عقيل العماني في القرن الرابع الهجري.

مع الإشارة إلى أن الاجتهاد كان مطروحاً في زمن الأئمة من أهل البيتعليهم السلام وذلك لأن الأئمة الأطهار كانوا يرشدون أصحابهم إلى كيفية الاجتهاد ولهذا ظهرت في تلك الفترة كتب الأصول.

وقد عرّف الشيخ الطوسي ١٨ من أصحاب الأئمةعليهم السلام : الباقر، الصادق، الكاظم، والرضاعليهم السلام على أنهم من فقهاء الأصحاب.



(١) الطوسي أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر(بدون تاريخ) ص ٣٠٨.

اسئلة الدرس الخامس والعشرون

١ ـ كيف كان الفقه في عهد الصحابة والى مَن كان يرجع الشيعة في تلك المرحلة؟

٢ ـ كيف أن الفقه لدى الشيعة في وجود المعصومين عليهم السلام؟

٣ ـ متى بدأ الفقه لدى الشيعة؟ اشرح ذلك باختصار.

٤ ـ كم كان عدد الفقهاء من أصحاب الأئمة الأطهار عليهم السلام؟

الدرس السادس والعشرون

الكلام

الكلام علم يختص ويهتم بمنظومة العقائد التي يتوجب على كل مسلم الإيمان بها. وبعبارة أخرى: علم يتكفل بمناقشة ودراسة أُصول الدين.

إنّ أول اختلاف وقع في أُصول الدين كان بعيد رحيل النبي ﷺ، يقول الشهرستاني[1]: «ما سُلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُلّ على الإمامة في كلّ زمان...».

ويقول النوبختي: «قبض رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأوّل سنة[2] سنة عشر من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت نبوّته ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة وأمّه آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب، فافترقت الأُمّة ثلاث فرق (فرقة منها) سميت الشيعة وهم شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومنهم افترقت الشيعة كلّها، (وفرقة منهم) ادّعت الإمرة والسلطان وهم الأنصار ودعوا إلى عقد الأمر لسعد بن عبادة الخزرجي، (وفرقة) مالت إلى أبي بكر بن أبي قحافة وتأوّلت فيه أن النبيّ ﷺ لم ينصّ على خليفة بعينه»[3].

ومن هنا بدأ جدل بين الشيعة وسائر المسلمين في مسألة الإمامة واستمر هذا الجدل والاحتجاج.

اما الاختلاف في سائر الأُصول والمرتكزات الدينية فقد ظهر في أواخر القرن

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، منشورات الشريف الرضي، قم، ط الثانية ١٣٦٤ هـ.ش ج ١ ص ٣٠.

(٢) المشهور ان رسول الله ﷺ توفي في الثامن والعشرين من صفر.

(٣) النوبختي، أبو محمّد الحسن بن موسى، فرق الشيعة، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٥٥ هـ، ١٩٣٦م ص٢، ٣.

الأول وأوائل القرن الثاني للهجرة يقول الشهرستاني بهذا الصدد[١] : «فحدثت في آخر أيّام الصحابة بدعة معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الأسواري في القول بالقدر وإنكار إضافة الخير والشر إلى القدر ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال وكان تلميذ الحسن البصري وتلمذ له عمرو بن عبيد وزاد عليه في مسائل القدر...».

وقد ظهرت بعض الفرق الكلاميّة في تلك الفترة من بينها: الوعيدية، الخوراج، المرجئة والجبريّة.

وقد استعر الجدل الكلامي بعد اعتزال واصل بن عطا مجلس الحسن البصري وبالتالي ظهور مذهب المعتزلة[٢]، وعلى هذا فان مدرسة المعتزلة تستند إلى الأدلة العقلية في مقابل مدرسة أهل الحديث الذين كان يطلق عليهم بـ «الحشوية» وقد استمر الوضع في هذا المسار حتى نهاية القرن الثالث للهجرة عندما انفصل أبو الحسن الأشعري عن مذهب المعتزلة وراح يدافع عن مدرسة أهل الحديث في أطر عقلية وبالتالي تبلور مذهب الأشاعرة[٣]. هذا ولم يسجل أي تقدم يذكر للمذهب المعتزلي بل كان يسجل تراجعاً مستمراً أمام أهل الحديث حيث أصبح الخطاب الرسمي لأهل السنّة من خلال الكلام الأشعري.

أما الكلام الشيعي فيعدّ أقدم مدرسة كلاميّة لدى المسلمين حيث الإمام عليّ عليه السلام الإمام الأوّل لدى الشيعة أول من تكلم في القضايا العقيدية من قبيل التوحيد، القضاء والقدر، الجبر والاختيار وصفات الله عز وجل. وقد جمعت مباحثه في هذا المضمار في نهج البلاغة.

---

(١) الشهرستاني، المصدر نفسه ص ٣٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٥٠٠.

(٣) المصدر نفسه ص ٨٦،٨٥

أما الجدل والمناقشات والحوارات الكلاميَّة لدى الشيعة في مسألة الإمامة فقد بدأت بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة، وتمحورت حول أحقية الإمام عليّ بالخلافة وقد اثبت الشيخ الصدوق اثني عشر من كبار الصحابة كانوا قد نهضوا لمواجهة رجال السقيفة ودافعوا عن حق الإمام عليّ عليه السلام بالخلافة.

وقد اجتمعوا على أبي بكر في مسجد النبي ﷺ وذلك بعد أيام من اجتماع السقيفة وقد عجز الخليفة عن تقديم تبرير مقنع حول ما حصل.[1]

وأعقب هذا قيام أبي ذر بسلسلة من الاعتراضات المتواصلة ضد مسار السقيفة بشكل عام إلى أن قام عثمان بنفيه إلى الشام ثمّ إلى الربذة ليموت وحيداً.

كما عرف ابن عباس وهو ابن عم النبي والسياسي الهاشمي البارز والمفسر وحبر الأمة بدفاعه عن مدرسة التشيع وكان لاينفك يدافع عن حقانية الإمام عليّ عليه السلام حتى اخذ عليه الخليفة الثاني هذه المواقف وانتقد تصريحاته وتكراره ان حقنا قد غصب. وقد كف بصره في أُخريات عمره وأيامه.[2]

عن سعيد بن جبير قال بلغ ابن عبّاس أنّ قوماً يقعون في عليّ، فقال لابنه عليّ بن عبدالله: خذ بيدي فاذهب بي إليهم فأخذ بيده حتى انتهى إليهم فقال: أيكم الساب الله فقالوا سبحان الله من سبّ الله فقد أشرك فقال: أيّكم الساب رسول الله ﷺ فقالوا من سبّ رسول الله فقد كفر فقال: أيّكم الساب لعلي عليه السلام قالوا قد كان ذلك، قال فاشهدوا أني سمعت رسول الله يقول: «**من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله أكبّه الله على وجهه في النار**» ثمّ ولى عنهم فقال لابنه كيف رأيتهم فانشأ يقول:

---

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٣ هـ ص ٤٦١ - ٤٦٥.

(٢) الشيرازي، السيد عليّ خان، الدرجات الرفيعة، منشورات مكتبة بصيرتي، قم (بدون تاريخ)، ص ١٢٧.

نظـــروا إليـــك بـــأعين محمـــرة نظـر التيـوس إلـى شـفار الجـازر

قال زدني فداك أبوك فقال:

خزر الحواجب نـاكس إذ قـامهم نظـر الـذليل إلـى العزيـز القـادر

قال زدني فداك أبوك فقال: ما أجد مزيداً قال لكن أجد:

أحيـاؤهم خـزي علـى أمـواتهم والميتـــون فـــضيحة للغـــابر

ومن بين أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام رجال أفذاذ من قبيل صعصعة بن صوحان، ميثم التمار، كميل بن زياد، أُويس القرني، سليم بن قيس، الحارث الهمداني والأصبغ بن نباته عرفوا بالدفاع عن حق الإمام عليه السلام وناظروا العديد من خصومه في ظروف بالغة القسوة.

أما فيما يخص أول مؤلف لدى الشيعة في علم الكلام فان ابن النديم وكذا ابن شهرآشوب يذهبان إلى أن عليّ بن إسماعيل بن ميثم التمار أول من صنّف وألف في علم الكلام حيث ألف كتاب الإمامة وكتاب الاستحقاق.[1] غير أن المرحوم السيد حسن الصدر يرى أنّ أول من صنف في علم الكلام هو عيسى بن روضة.[2] جدير ذكره أن أقدم كتاب كلامي للشيعة وصل إلينا هو كتاب الإيضاح ومؤلفه الفضل بن شاذان النيسأبوري(المتوفى سنة ٢٦٠ هـ) وهو من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام.

وقد ازدهر علم الكلام في عصر الإمام الصادق مثله مثل سائر العلوم وقد نبغ فيه تلامذة للإمام عليه السلام من قبيل هشام بن الحكم، مؤمن الطاق فضالة بن حسن،

---

(١) ابن النديم، المصدر نفسه ص ٢٤٩ وابن شهراشوب، معالم العلماء، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م، ص ٦٢.

(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، منشورات الاعلمي، طهران(بدون تاريخ) ص ٣٥٠.

جابر بن يزيد الجحفي، ولهم مصنفات في ذلك كما أنهم خاضوا مناظرات عديدة في هذا المضمار.

ويعد الفضل بن شاذان النيسابوري من أبرز المتكلمين الشيعة وقد عاصر الإمام الرضا، الإمام الجواد، الإمام الهادي وله مؤلفات كثيرة في علم الكلام والعقائد والمذاهب.[1]

وكذا الحسن النوبختي (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) هو الآخر من متكلمي الشيعة ومن بين مؤلفاته وآثاره "فرق الشيعة".

خلاصة الدرس السادس والعشرون

يبحث علم الكلام في أُصول الدين والعقيدة وقد ظهر أول اختلاف كلامي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة وذلك حول مسألة الإمامة. بعدما تمخضت عنه واقعة السقيفة.

أما الاختلاف في سائر الأُصول والمرتكزات فانه يرتبط بنهاية القرن الهجري الأول.

وقد تصاعدت حدّة الجدل الكلامي بعد تبلور المذهب المعتزلي.

ويعد كلام الشيعة من أقدم المدارس الكلاميّة لدى المسلمين، ذلك أن البحوث والجدل والمناقشات الكلاميّة قد ظهرت لأول مرّة بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله مباشرة ودارت حول مسألة الإمامة دفاعاً عن حقانية عليٍّ عليه السلام.

إنّ أول كتاب في علم الكلام صنفه عيسى بن روضه الشيعي المذهب كما أنّ أقدم كتاب موجود حالياً هو "الإيضاح" للفضل بن شاذان (المتوفى سنة ٢٦٠هـ).

ازدهر الكلام لدى الشيعة في عصر الإمام الصادق عليه السلام وقد نبغ فيه مجموعة من تلامذته.



---

(١) النجاشي، فهرست اسماء مصنفي الشيعه، مؤسسة الفكر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم، ١٤٠٧ هـ ص ٣٠٦.

أسئلة الدرس السادس والعشرون

١ـ حول أي من الأُصول حصل الاختلاف بين المسلمين؟

٢ـ متى بدأت المباحثات الكلاميَّة لدى الشيعة؟

٣ـ مَن هو مؤلف أول كتاب كلامي لدى الشيعة؟

الفصل الثامن
دور الشعراء الشيعة
في نمو وانتشار التشيّع

الدرس السابع والعشرون

شعراء الشيعة وموقع الشعر

كان الشعر في ما مضى يحتل موقعاً في غاية الأهمية ؛ فإلى جانب الأبعاد الأدبية والجمالية فانه يعد في طليعة الأدوات والوسائل الإعلاميَّة على الإطلاق ذلك أن الشعر كان يقوم بما تقوم به الوسائل الإعلاميَّة في العصر الراهن من صحف وإذاعات وقنوات تلفازية.

وفي العصر الجاهلي كان موقع الشعر لدى العرب في غاية الوضوح من حيث ما يلعبه من دور في الحياة الاجتماعية والأدبية ففي ذلك العصر كان العرب يمجدون الفصاحة والبلاغة ويولونها أهمية بالغة. ولهذا جاء القرآن الكريم يتحدى العرب في امهر ما يجيدونه ويمجدونه، جاء القرآن بفصاحته وبلاغته من هنا فان الشعر لدى العرب كان يحتل موقعاً فريداً يقول اليعقوبي:

«وكانت العرب تقيم الشعر مقام الحكمة وكثير العلم، فإذا كان في القبيلة الشاعر الماهر، المصيب المعاني، المخبر الكلام، أحضروه في أسواقهم التي كانت تقوم في السنة ومواسم حجهم البيت، حتى تقف وتجتمع القبائل والعشائر، فتسمع شعره، ويجعلون ذلك فخراً من فخرهم، وشرفاً من شرفهم، ولم يكن لهم شيء يرجعون إليه من أحكامهم وأفعالهم إلاّ الشعر، فيه كانوا يختصمون، وبه يتمثلونه، وبه يتقاسمون، وبه يتناضلون، وبه يمدحون ويعأبون»[1] .

وبعد اجتماع السقيفة وما أسفر عنه من نتائج وتبلور التشيع حافظ الشعر على موقعه، ذلك ان الشيعة بدأوا حركة في الدفاع عن آرائهم في مسائل الإمامة

---

(١) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم، ج ١، ص ٢٦٢.

والخلافة والولاية، ومن الطبيعي أن يسهم الشعراء في هذه الحركة حيث صوت الشعر من أقوى الأصوات في الدفاع عن مدرسة التشيع ومحورها الأساس في حقانية الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

وقد أورد الزبير بن بكار وبالرغم من توجهاته المعادية للتشيع بعض الأشعار ومنها شعر عتبة بن أبي لهب:

ماكنت احسب أن الأمر منصرف ... عن هاشم ثمّ منها عن ابي حسنِ
أليس أولى من صلّى لقبلتكم ... واعلم الناس بالقرآن والسننِ
وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن ... جبريل عون له في الغسل والكفنِ
ما فيه ما فيهم لا يمترون به ... وليس في القوم ما فيه من الحسنِ
ماذا الذي ردهم عنه فتعلمه ... ها أن ذا غبنا من أعظم الغبنِ[1]

وكان الأئمة عليهم السلام أيضاً على اطلاع تام بدور الشعر ويكرمون الشعراء. انشد الكميت الأسدي ذات مرّة قصيدته الميمية ووصل إلى هذا البيت:

وقتيل بالطف غودر منهم ... بين غوغاء أمّة وطغام

فبكى الإمام الباقر عليه السلام وقال[2]:

«والله يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك منه ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لحسان بن ثابت: لم يزال معك روح القدس ما ذبيت عنّا». وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يا معشر الشيعة علموا أولادكم شعر العبدي[3] فإنّه على دين

---

(١) الزبير بن بكار، الاخبار الموفقيات، منشورات الشريف الرضي، قم ١٤١٦ هـ ص ٥٨١.

(٢) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت، ج ٣، ص ٢٥٤.

(٣) العبدي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وقد ورد اسمه في رجال الكشي: سفيان بن مصعب وكنيته أبو محمّد (الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، قم ١٤٠٤هـ ج ٢، ص ٧٠٤) وقد ذكره ابن شهراشوب في طبقة شعراء «المقتصد».

دين الله»[١].

ولهذا فقد تمتع الشعراء الشيعة من الذين كانوا يصرحون بالحقيقة بمنزلة رفيعة لدى محبي أهل البيت عليهم السلام. يقول ابن المعتز؛ إنّ أهل قم كانوا يمنحون دعبل الخزاعي الشاعر الشيعي خمسين ألف درهم سنوياً.[٢]

ومن هنا فقد كان شعراء الشيعة يتعرضون للملاحقة والمطاردة والاضطهاد سواء في الحكم الأُموي او الحكم العبّاسي.

فقد تعرض الكميت بن زيد الأسدي للاعتقال والسجن في العهد الأُموي بسبب أشعاره في مدح بني هاشم ووصفه لمعاناة أهل البيت.

كتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بني أُميّة، وأنفذ إليه قصيدته التي يقول فيها:

فيارَبِّ هل إلاّ بك النصر يبتغى ويا ربِّ هل إلاّ عليك المعوّل!

وهي طويلة يرثي فيها زيد بن عليّ عليه السلام ويمدح بني هاشم، فلما قرأها أكبرها وعظمت عليه، وكتب إلى خالد يقسم عليه أن يقطع لسانه... فأُخذ وحبس في المُخيّس»[٣].

كما تعرض سديف بن ميمون[٤] لغضب المنصور بسبب أشعار قالها في تأييد محمّد النفس الزكية[٥] واصدر أمره إلى عبد الصمد بن عليّ حاكم المدينة في

وورد ذكره في طبقة شعراء «المجاهد» باسم عليّ بن حماد العبيدي، انظر معالم العلماء، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٠٨ هـ ١٩٦١م ص ١٤٧، ١٥١.

(١) معالم العلماء ص١٤٧.

(٢) الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي في العصر العبّاسي الاول، دار المعارف، بمصر ص ٣٢١.

(٣) أبو الفرج الإصفهاني، الاغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١٧، ص ١ – ٨.

(٤) سديف بن ميمون من موالي السجاد عليه السلام وذكره ابن شهراشوب ضمن الشعراء المقتصدين في أهل البيت، وهو الذي حرّض بأشعاره السفاح وخلفاء بني العبّاس على الانتقام من بني أُميّة؛ انظر: الامين، السيد محسن، اعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠م ج ١٠ ص ١٣٥ رقم ٧١٣٣.

(٥) محمّد النفس الزكية من احفاد الإمام الحسن السبط عليه السلام أبو عبد الله بن الحسن المثنى. بايعه بنو هاشم

دفنه حيّاً.[١]

كان بن هرثمة شاعراً مجيداً مدح آل البيت بأبيات.

ولما دخل على المنصور قال: لا مرحباً ولا أهلاً، قد بلغني عنك أشياءً، لولا ذلك فضلتك على نظرائك، فاقرّ لي بذنوبك فاستعفاه فعفى عنه حفظاً لدمه، وقال: لئن بلغني عنك أمر أكرهه لاقتلنّك[٢].

وعاش دعبل الخزاعي حياته مطارداً وصرّح أكثر من مرّة يقول: أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لست أجد أحداً يصلبني عليها»[٣].

شعراء الشيعة حتى نهاية الغيبة الصغرى

كما أشرنا سابقاً أن الشعر تحرّك للدفاع عن الحقيقة بعد اجتماع السقيفة وما أسفر عنه من أوضاع جديدة.

وفي خلافة الإمام عليعليه السلام وتحديداً في حرب الجمل وحرب صفين صدح الشعراء من العراق ومن الشيعة بحقّ الإمام عليّعليه السلام وقيلت أشعار كثيرة على لسان الصحابة من قبيل عمّار بن يسار، خزيمة بن ثابت، أبو أيوب الأنصاري، ابن عباس و...

وبعد صعود الأمويين إلى الحكم والخلافة حافظ الشعراء الشيعة على ولائهم لأهل البيتعليهم السلام، غير أن عددهم كان ضيئلاً بالقياس إلى العصر العباسي، ذلك

على الخلافة في اخريات العهد الأُموي، وقد اخبر الإمام الصادق بأن امره لايتم، ولهذا عندما انتصرت الثورة العباسية وتسنم أبو جعفر المنصور الخلافة بعد اخيه نظم حملة شديدة لمطاردة محمّد النفس الزكية الذي اضطر لاعلان الثورة في المدينة المنورة وقد قمعت ثورته ولقي محمّد النفس الزكية مصرعه.

(١) ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج ٥، ص ٧٢،٧٣.

(٢) أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ،دار الكتاب العربي بيروت، ط الثالثة ١٤٠٣ هـ ج ١، ص ٤٥٢.

(٣) الشكعة، الدكتور مصطفى، الأدب في موكب الحضارة الإسلاميّة، كتاب الشعراء، دار الكتب اللبنانية، ص١٦٢، ١٦٣.

أن العصر الأُموي اتّسم بالقسوة الشديدة في التعامل مع شيعة أهل البيت عليهم السلام وقد أشار أبوالفرج الإصفهاني إلى هذه الحقيقة خاصّة فيما يتعلق برثاء الإمام الحسين عليه السلام: «وأما من تقدّم فما وقع إلينا رثى به، وكانت الشعراء لا تقدم على ذلك مخافةً من بني أُميّة وخشيةً منهم»[١].

وعندما أنشد الكميت الأسدي هاشمياته خاطب عبدالله بن معاوية ـ من ذرية جعفر الطيّار ـ بني هاشم قائلاً: «هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس من فضلكم وعرض دمه لبنيّ أُميّة»[٢].

وقبله اعتقل الفرزدق بسبب قصيدته المشهورة في مدح السجاد عليه السلام التي ارتجلها في موسم الحج في حادثة معروفة[٣].

أما العصر العبّاسي فلم يشهد اضطهاداً للشعراء الشيعة على النحو الذي تعرضوا له في الحكم الأُموي ذلك أن المجتمع الشيعي شهد نمواً كبيراً جداً يتعذر فيه على أجهزة الحكم العبّاسي السيطرة عليه، كما أن سلطة العبّاسيين كانت تنحسر شيئاً فشيئاً وتخف قبضتهم على أزمّة الحكم ومقاليد الأُمور، إضافة إلى ظهور عدد كبير من الشعراء للدفاع عن الحقيقة، ويشير شوقي ضيف إلى كثرة ما أنشد من شعر شيعي والى كثرة الشعراء من الشيعة وهم ينقسمون إلى مجموعتين: شعراء علويون وشعراء غير علويين»[٤].

أما ما يخصّ عدد الشعراء الشيعة، فقد تعرض لإحصائهم ابن شهرآشوب، وعلي خان الشيرازي وكذا موسوعة الغدير في الأدب للمرحوم الأميني ويبقى

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيـين، منشورات الشريف الرضي، قم ص١٢١.

(٢) الغدير ج٢ ص٢٠٠ دار الكتاب العربي، ١٣٩٧ هـ بيروت أبو الفرج الإصفهاني، الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٧ ص١ ـ ٨.

(٣) قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ط الأُولى ج١ ص٢٦٧.

(٤) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العبّاسي الثاني، دار المعارف بمصر ص٣٨٦.

أكبر عمل حول تراجم الشعراء الشيعة هو ما قام به السيّد محسن الأمين، وقد أثبت إحصاءات دقيقة لهم ويمكن أن نتعرف على جميع الشعراء الشيعة منذ صدر الإسلام وحتى نهاية الغيبة الصغرى كالآتي[١]:

أمير المؤمنين علي عليه السلام، فاطمة زهراء عليها السلام بنت رسول الله، الفضل بن عباس، م١٢ يا ١٥ هـ، ربيعة بن حارث بن عبدالمطلب، م٢٣ هـ، عباس بن عبدالمطلب، م٣٢ هـ، الحسن بن علي عليه السلام، الحسين بن علي عليه السلام، عبدالله بن ابي سفيان بن حارث بن عبدالمطلب ش٦١ هـ، عبدالله بن عباس، م ٦٨ هـ، أم حكيم بنت عبدالمطلب، القرن الأوّل الهجري، أروى بنت عبدالمطلب، ومن غير بني هاشم وصحابة النبي صلى الله عليه وآله، النابغة الجعدي قيس بن عبدالله، القرن الأول الهجري، أبو الهيثم بن التيّهان الأنصاري، استشهد سنة ٣٧ هـ، خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، استشهد سنة ٣٧ هـ، عمّار بن ياسر ش ٣٧ هـ، عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، استشهد سنة ٣٧ هـ، خزيم بن فاتك أسدي، القرن الأول الهجري، صعصعة بن صوحان العبدي، القرن الأول الهجري، ربيعة العامري م٤١ هـ، كعب بن زهير الأسلمي م٤٥ هـ، حجر بن عدي الكندي، م٥١ هـ، كعب بن مالك الأنصاري، القرن الأول الهجري، قيس بن سعد الأنصاري، م ٦٠ هـ، منذر بن الجارود العبدي، م٦١ أو ٦٢ هـ، سليمان بن صرد الخزاعي، استشهد سنة ٦٥ هـ، الأحنف بن قيس التميمي، م ٦٧ أو ٦٨ هـ، عدي بن حاتم الطائي، م ٦٨ هـ، أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني، م ١٠٠ هـ، هاشم المرقال، استشهد سنة ٣٧هـ، مالك الأشتر، استشهد سنة ٣٨ يا ٣٩ هـ، ثابت بن عجلان الأنصاري، ٥٠ هـ، النجاشي قيس بن عمرو الحارثي، قيس بن فهدان الكندي، م ٥١ هـ، شريك

---

(١) ما أحصاه المرحوم السيّد محسن الأمين منن شعراء الشيعة كالآتي:

بن الحارث الأعور، م ٦٠ هـ، سعية بن عريض، جرير بن عبدالله بجلي، الرباب ابنة امرء القيس، زوجة الإمام الحسين عليه السلام، م ٦٢ هـ،أم البنين فاطمة الكلابية زوجة أميرالمؤمنين، عبيدالله بن حزم الجعفي، المثنى بن مخرمة العبدي، أبو دهبل الجمحي، أبو الأسود الدؤلي، م٦٩ هـ، عقبة بن عمرو السهمي، عبدالله بن عوف بن الأحمر، مسيب بن نجبة الفزاري، م ٦٥ هـ، عبدالله بن سعد بن نفيل، م ٦٥ هـ، رفاعة بن شداد البجلي، م ٦٦ هـ، أعشى حمدان، ابراهيم الأشتر، م ٦٦ هـ، أيمن بن خريم الأسدي، م ٩٠هـ، الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب، م ٩٠ هـ، أبو الرميح الخزاعي، م ١٠٠ هـ، خالد بن معدان الطائي، م ١٠٣ هـ، كثير عزة، م ١٠٥هـ، الفرزدق همام بن غالب التميمي، م ١١٠ هـ، سفيان بن مصعب العبدي، م ١٢٠ هـ، زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام، م ١٢٢ هـ، سليمان بن قتيبة العدوي، م ١٢٦ هـ، الكميت بن زيد الأسدي، م ١٢٦ هـ، المستهل بن الكميت، يحيى بن يعمر، م ١٢٧ هـ، الفضل بن عبدالرحمن بن عباس بن ربيعة بن حارث بن عبدالمطلب، م ١٢٩ هـ، مالك بن أعين الجهني، ورد بن زيد أخو الكميت، م ١٤٠ هـ، قاضي عبدالله بن شبرمة الكوفي، م ١٤٤ هـ، ابراهيم بن عبدالله بن الحسن، ١٤٥ هـ، موسى بن عبدالله، سديف بن ميمون، م ١٤٧ هـ، محمّد بن غالب بن هذيل الكوفي، زرارة بن أعين، م ١٥٠ هـ، ابراهيم بن هرثمة، ١٥٠ هـ، عبدالله بن معاوية من أحفاد جعفر الطيار، أبو هريرة العجلي، أبو هريرة الأبار، قدامة السعدي، جعفر بن عفان الطائي، م١٥٠هـ، أبو جعفر مؤمن الطاق، شريك بن عبدالله النخعي، علي بن حمزة النحوي الكسائي، م ١٨٩ هـ، منصور النمري، معاذ بن مسلم الهراء، م١٨٨ هـ، عبدالله بن غالب الأسدي، مسلم بن وليد الأنصاري، أبو نؤاس، السيد الحميري، م١٩٩ هـ، علي بن عبدالله الخوافي، عبدالله علي المراني، عبدالله بن أيوب الحريبي، القاسم بن يوسف الكاتب،

الأشجع بن عمرو السلمي، ٢١٠هـ، محمّد بن وهيب الحميري، أبو دلف العجلي، م ٢٥٥هـ، أبو طالب القمي، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، ديك الجن، ٢٣٦ هـ، إبراهيم بن العباس الصولي، م ٢٣٤ هـ،ابن السكيت يعقوب بن إسحاق، ٢٤٤ هـ، أبو محمّد عبدالله بن عمر البرقي، م ٢٤٥ هـ، دعبل بن علي الخزاعي، م ٢٤٦ هـ، محمّد بن عبدالله ابن عم دعبل، عبدالله بن محمّد الخزاعي، حسين بن دعبل الخزاعي، موسى بن عبدالملك، م ٢٤٦ هـ، أحمد بن خلاد الأشروي، أحمد بن إبراهيم، بكر بن محمّد النحوي، م ٢٤٨هـ، أحمد بن عمران الأخفش، م٢٥٠ هـ، أبو علي حسين بن الضحاك، م ٢٥٠ هـ، محمّد بن إسماعيل الصميري، م ٢٥٥ هـ، فضل بن محمّد، الحماني على بن محمّد، م ٢٦٠ هـ،، داود بن قاسم الجعفري، م ٢٦١هـ، ابن الرومي علي بن عباس، م٢٨٣هـ، البحتري، وليد بن عبيد الطائي، م ٢٨٤ هـ، علي بن محمّد بن منصور بن بسام، م ٣٠٢ هـ، أحمد بن عبيدالله، م ٣١٤هـ، البصري نصر بن أحمد، م ٣١٧ هـ، البلدي محمّد بن أحمد، أحمد بن علويه الإصفهاني، م ٣٢٠ هـ،، أبوبكر محمّد بن حسن دريد، م ٣٢١ هـ، محمّد بن أحمد بن إبراهيم الطباطبائي الحسني، م ٣٢٢هـ، محمّد بن مزيد البوشنجي، م ٣٢٥ هـ، المفجّع البصري محمّد بن أحمد، م ٣٢٧ هـ، على بن عباس النوبختي م ٣٢٩ هـ[1] .

شعراء الشيعة المبرزون

عادة ما يسطع في كل عصر اسم شاعر شيعي فحل يفوق أقرانه ويسبق أخوانه في أنشاد الشعر وفي الدفاع عن الحق والحقيقة وإعلان آيات الحب والولاء لآل

---

(١) راجع أعيان الشيعة ج١ ص١٦٦ ـ ١٧٢ دار التعارف للمطبوعات بيروت.

بيت الرسولﷺ، ومن بين قوافل الشعراء يشعّ اسم الكميت بن زيد الأسدي، كُثير عزّة، الفرزدق والسيّد الحميري وهؤلاء عاشوا في العصر الأُموي وقد صنّف ابن عبدربّه كلاًّ من الكميت وكثير ضمن الشعراء الغلاة المتطرفين[١] ويروي المستهل بن الكميت قال: «حضرت أبي عند الموت وهو يجود بنفسه، ثمّ أفاق ففتح عينيه ثمّ قال: اللّهمّ آل محمّد، اللهمّ آل محمّد، اللهمّ آل محمّد ثلاثاً»[٢].

وذكر ابن المعتز ان السيّد الحميري «لم يترك لعليّ بن أبي طالب فضيلة معروفة إلاّ نقلها إلى الشعر»[٣]، وذكر أبوالفرج الإصفهاني السيد الحميري وقال: «لا يخلو شعره من مدح بني هاشم أو ذم غيرهم ممّن هو عنده ضدّ لهم. وروى الموصلي عن عمّه قال: جمعت ٢٣٠٠ قصيدة في الثناء على بني هاشم»[٤].

ومن هنا تمتّع السيّد الحميري بمنزلة رفيعة لدى الشيعة، وكان له مكان خاص في مسجد الكوفة[٥].

وفي العصر العبّاسي لمع اسمان من كبار الشعراء هما منصور النمري، ودعبل الخزاعي، وقد تعرضا للمطاردة والقهر السياسي، فقد أصدر هارون الرشيد أمراً بتصفية النمري الذي اختفى عن الأنظار إلى حين توفي هارون:

«وهذا منصور النمري أنشأ أبياتاً منها:

آل النبـــيّ ومـــن نحـــبّهم ... يتطـــامنون مخافـــة القتـــل
أمـــن النـــصارى واليهـــود ومَـــن ... فـــي أُمّـــة التوحيـــد فـــي أزل

(١) ابن عبد ربّه الأندلسي، المصدر السابق، ج٥ ص٢٩٠.
(٢) أبو الفرج الإصفهاني، المصدر السابق ج١٧ ص٤٠.
(٣) العلاّمة الأميني، الغدير، دار الكتب الإسلاميّة، طهران ج٢ ص٢٤٢ عند ابن المعتز في طبقاته ص٧٠.
(٤) المصدر السابق، ص٢٤١ نقلاً عن الأغاني ج٧ ص٢٣٦ ـ ٢٣٧.
(٥) ابن عبدربّه الأندلسي، المصدر السابق ج٤ ص٣٢٠.

إلاّ مــــــصالة ينـــــــصرونهم بظبـــا الــــصوارم والقنـــا الـــذّل

فغضب الرشيد وأرسل إليه مَن يقتله فوجده ميتاً فقال: هممت أن أخرج لسانه من قفاه، وأراد أن ينبش عظامه فيحرقه ولكنه لم يفعل»[١].

ويشير الدكتور مصطفى الشكعة إلى مديح دعبل الخزاعي لأهل البيت في أشعاره وقصائده وهجومه على الأُمويين والعبّاسيين وكان لا يخشى في ذلك أحداً ولما حذّر من سطوتهم قال: أنني أحمل خشبتي خمسين سنة ولا أجد مَن يصلبني عليها»[٢].

كما يشير الدكتور شوقي ضيف إلى كثرة ما أنشد من شعر شيعي في العصر العبّاسي الثاني وانّ بعض شعراء الشيعة كانوا من العلويين إضافة إلى غيرهم من الشيعة، وكان محمّد بن صالح العلوي الحمّاني ومحمّد بن عليّ من أحفاد العبّاس بن عليّ في طليعة الشعراء في تلك الحقبة في عهد المتوكل وفي شعرهما فخر بالآباء والأجداد إضافة إلى التنويه بنظريات الشيعة وآرائهم[٣].

خلاصة الدرس السابع والعشرون

تمتع الشعر في الماضي بموقع حيوي هام وكان له دور إعلامي في غاية الأهمية بالإضافة إلى الأبعاد الأدبية والجمالية.

وبعد حادثة السقيفة أفاد الشيعة من الشعر في الدفاع عن أفكارهم ومعتقداتهم

---

(١) أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثالثة (١٤٠٣ هـ) ج١ ص٢٥٤ نقلاً عن زهر الآداب ج٣ ص٧٠.

(٢) الأدب في موكب الحضارة الإسلاميّة، كتاب الشعراء، دار الكتاب اللبنانية، ص١٦٢، ١٦٣.

(٣) يبدأ العصر العبّاسي الثاني في مطلع القرن الثالث الهجري أو مع تولّي المعتصم الخلافة ونفوذ الأتراك في البلاط العبّاسي.

وفي طليعتها مسألة الإمامة وكان للشعراء دورهم الهام في نشر التشيّع.

وكان الأئمة الأطهار عليهم السلام على اطلاع كامل حول دور الشعر ونفوذ الشعراء ولهذا كانوا يكرمون الشعراء الشيعة، الذين كانوا يتعرضون وباستمرار للقهر والاضطهاد من قبل الحاكمين في العصرين الأُموي والعبّاسي على حد سواء.

وفي عهد الإمام عليّ عليه السلام وخلافته لم يكن الشعراء الشيعة وحدهم يدافعون عن حقّانية الإمام عليّ عليه السلام بل انضم إليهم صحابة كبار فانشدوا أشعاراً في الدفاع عن حق أميرالمؤمنين عليه السلام وخاصّة أثناء حرب الجمل وصفين. وقياساً إلى عدد شعراء العصر العبّاسي فإنّ عدد الشعراء الشيعة في العهد الأموي يعدّ ضئيلاً. ويعود ذلك إلى قسوة النظام الأُموي وسيطرة أجواء خانقة وحكّام دمويين.

وقد استمرت سياسة الاضطهاد بحقّ الشعراء الشيعة في العصر العبّاسي الأوّل، ولكن العصر العبّاسي الثاني شهد قدراً من الانفراج بسبب تنامي عدد الشعراء الشيعة وضعف السلطة العبّاسية.

ويعد ما قام السيّد محسن الأمين في إحصاء شعراء الشيعة الأكثر شمولاً ودقة في هذا المضمار.



أسئلة الدرس السابع والعشرون

١ ـ ماهو موقع الشعر لدى العرب؟

٢ ـ ماهو دور الشعراء الشيعة بعد حادثة السقيفة؟

٣ ـ كيف تعامل الأئمة الأطهار مع الشعراء الشيعة؟

٤ ـ تحدث بإيجاز عن تعامل حكام بني أُميّة وبني العبّاس مع الشعراء الشيعة.

٥ ـ ماهو أفضل مصدر حول الشعراء الشيعة؟ ومن هو مؤلفه؟

٦ ـ من هم الشعراء الشيعة المبرزين في العصر الأموي؟

٧ ـ من هم الشعراء الشيعة في ا لعصر العبّاسي الأول والثاني؟

الدرس الثامن والعشرون

اهتمامات شعراء الشيعة

كان لشعراء الشيعة إسهامات عديدة في كل فنون الشعر وفيما يلي إشارة إلى بعض اهتماماتهم:

١ ـ الاحتجاج على الغاصبين

أمسى شعراء الشيعة بالولاء للإمام علي عليه السلام والأئمة من ذريته، ولهذا فإنهم، احتجوا واستنكروا النتائج التي تمخضت عن اجتماع السقيفة وهكذا بدأ شعراء الشيعة دفاعهم عن حقوق آل البيت عليهم السلام وكانوا يصورون للرأي العام أن آل النبي صلى الله عليه وآله هم الامتداد الطبيعي للنبي صلى الله عليه وآله وقد اشتهر الكميت في هذا الباب وهو باب الاحتجاج وكان رائداً في ذلك ويروي العلاّمة الشيخ الأميني ما قاله الجاحظ في هذا المضمار:

«وإنّك تجد الاحتجاج بما ذكره وغيره في كثير من شعر الصحابة والتابعين لهم بإحسان وفي كلماته المنثورة قبل أن تنعقد نطفة الكميت، كخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين، وعبدالله بن عبّاس، والفضل بن العبّاس، وعمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، وقيس بن سعد الأنصاري، وربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وعبدالله ابن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وزفر بن زيد بن حذيفة، والنجاشي بن الحرث بن كعب، وجرير بن عبدالله البجلي، وعبدالرحمن بن حنبل حليف بني جُمع، وآخرين كثيرين»[1] .

---

(١) الغدير ج٢ ص١٩١.

وكان عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب في طليعة من أنشد شعراً في تلك الحادثة وقد ذكر الشيخ المفيد؛ أنه لما توفي النبيّ ﷺ كان عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث خارج المدينة المنورة، فلمّا عاد وجد الناس قد بايعوا أبا بكر فانطلق إلى مسجد النبيّ ﷺ ولما دخل وقف في وسط المسجد وأنشد:

ماكنت أحسب أن الأمر منتقل عن هاشم ثمّ منها عن أبي الحسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتهم وأعرف الناس بالآثار والسنن[١]

كما انبرى عدد من شعراء بني هاشم من الصحابة والتابعين للدفاع عن حقّ الإمام عليّ عليه السلام في الخلافة ومن بينهم الفضل بن عبّاس الذي قال في شعر له:

الا إنّ خير الناس بعد محمّد وصي النبيّ المصطفى عند ذي الذكر
وأول من صلّى وصنو نبيّه وأوّل من أردى الغواة لدى بدر[٢]

ومنهم المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب الذي أنشد شعراً في صفين يخاطب فيه أنصار الإمام ويحثّهم على القتال والاستبسال :

---

(١) الشيخ المفيد، الجمل، مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر ص١١٨، وقد اختلف المؤرخون وأصحاب التراجم في قائل هذا الشعر فالشيخ المفيد نسبها إلى عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب. أما ابن حجر فينسبها إلى الفضل بن عباس، فيما يذكر مؤيد الخوارزمي في كتابه المناقب أن قائل الشعر هو العبّاس عمّ النبيّ ﷺ .

أما القاضي البيضاوي، والنيسأبوري فينسبان الشعر إلى حسان بن ثابت. وفي كتاب المجالس للشريف الرضي نجد الشعر منسوباً إلى ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب. أما الزبير بن بكار فيذهب إلى أن الشعر لأحد أبناء أبي لهف، غير أن القاضي عبدالله يفنّد رأي ابن حجر مؤكداً أن الشعر قيل قبل السقيفة وأن الفضل بن عباس بن عتبة لم يكن قد ولد بعد. انظر السيد عليّ خان الشيرازيّ، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة منشورات مكتبة بصيرتي، قم ص١٩٣.

على كل حال هذا الاختلاف في الرأي، لا يؤثر على ما نحن بصدده في بحثنا بالتأكيد على أن هذه الأبيات من نظم أحد شعراء الشيعة.

(٢) السيّد علي خان الشيرازي، المصدر السابق ص١٤٣.

فيكم وصيّ رسول الله قائدكم   وصهره وكتاب الله قد نشرا[1]

والفضل بن عباس بن عتبة من الشعراء المشهورين وقد عاش في نهاية القرن الأول للهجرة.

يذكر ابن عبد ربّه أن الوليد لما طاف حول الكعبة، كان الفضل بن عبّاس يستسقي من بئر زمزم وينشد هذا الشعر:

يا أيّها السائل عن عليّ   تسأل عن بدر لنا بدريّ

مردّد في المجد أبطحي   سائلة غرّته مضيء[2]

وجاء في شرح ابن أبي الحديد أن امرأة يقال لها: «أم مسطح بن أثاثة»:

نقل المؤرخون: «لما أكثر تخلف عليّ عن البيعة واشتدّ أبوبكر وعمر في ذلك، خرجت أمّ مسطح بن أثاثة، فوقفت عند قبر النبيّ ونادته يا رسول الله...:

قد كان بعدك أنباء وهينمة   لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها   فاختل قومك فاشهدهم ولا تغب[3]

ومن جملة الشعراء الذين احتجوا على ما حصل ودافعوا عن حقّ عليّ الشاعر والأديب العربي أبو الأسود الدؤلي مؤسس علم النحو يقول أبو الفرج الإصفهاني: «أبو أسود الدؤلي نازلاً بني قشير وكانت بني قشير عثمانية وكانت امرأته أمّ عوف منهم فكانوا يؤذونه ويسبّونه وينالون من عليّ بحضرته ليغيظوه به ويرمونه بالليل فإذا أصبح قال لهم: يا بني قشير أي جوار هذا فيقولون له لم نرمك إنّما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك» فقال في ذلك:

---

(١) المصدر السابق ص١٨٧.

(٢) ابن عبد ربّه الأندلسي، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج٥ ص٧٥.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار الكتب العربية، مصر ج٦ ص٤٣.

يقول الأرذلون بنو قشير   طوال الدهر لا تنسى عليّاً
فقلت لهم وكيف يكون تركي   من الأعمال مفروضاً عليّاً
أحبّ محمّداً حبّاً شديداً   وعبّاساً وحمزة والوصيّا
بني عمّ النبيّ وأقربيه   أحبّ النّاس كلّهم إليّا
فإن يك حبّهم رشداً أحبّه   ولست بمخطيء إن كان غيّاً
هم أهل النصيحة غير شك   وأهل مودّتي مادمت حيّاً
رأيت الله خالق كلّ شيء   هداهم واجتبى منهم نبيّاً
ولم يحفص بهم أحداً سواهم   هنيئاً ما اصطفاه لهم مريّا[1]

وفي نهايات العصر الأُموي ظهر شعراء كبار كانوا من فحول الشعر العربي من قبيل: الكميت الأسدي، كثيّر عزّة والسيد الحميري الذين استبسلوا في الدفاع عن حقّ أهل البيت عليهم السلام.

٢ ـ المواجهة بين الشعراء الشيعة وشعراء البلاط

من الطبيعي أن يكون للبلاط الأُموي والعبّاسي جهاز دعائي يحاول الدفاع عن مشروعية الحكم ويتحدى إعلام المعارضة. بعد سنة (٣٥ هـ) وتحديداً بعد مصرع عثمان بن عفان سعى بنو أُميّة إلى استغلال هذه الحادثة في التعبئة ضد أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام وكان الشعر في طليعة الأدوات والوسائل التي استخدمت في الحملات الدعائية ضد الإمام عليه السلام؛ وكان الوليد بن عقبة أخو عثمان بالرضاعة الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ﴾. ينبري بعد قتل عثمان ويحاول اتّهام الإمام بقتله والإغارة على أمواله!

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج١٢ ص٣٢١.

بني هاشم ردّوا سلاح ابن اختكم ولا تنهبوه لا تحلّ نهائبه

بني هاشم كيف الهوادة بيننا وعند عليّ درعه ونجائبه

بني هاشم كيف التودّد منكم ابن أروى فيكم وحرائبه[1]

هنالك نهض الشعراء من المدافعين عن الحقيقة لتفنيد هذه المزاعم وما أسرع ما أجاب عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب على هذه التخرّصات قائلاً:

فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه

وشبهته كسرى وكان مثيله شبيهاً بكسرى هديه وضرائبه

ومنا عليّ الخير صاحب خيبر وصاحب بدر يوم سالت كتائبه

وكان وليّ الأمر بعد محمّد عليّ وفي كل المواطن صاحبه

وصي النبيّ المصطفى وابن عمّه وأول من صلّى ومن لان جانبه[2]

وفي مرحلة لاحقة يقوم الوليد بإرسال رسالة إلى عمارة بن الوليد الذي كان يعيش في الكوفة ويحرّضه فيها على الإمام عليّ عليه السلام :

ان يكن ظنّي في عمارة صادقاً ينمّ ولا يغلب بذحل ولا وتر

يبيت وأوتار بن عفان عنده مخيّمة بين الخورنق والقصر

تمشى رخيّ البال متشزر القوى كأنك لم تسمع بقتل أبي عمر

الا إنّ خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر[3]

فجاء الردّ من الفضل بن عبّاس بن عبدالمطلب مخاطباً إيّاه:

---

(١) سيد عليّ خان الشيرازي، الدرجات الرفيعة ص١٨٨.

(٢) المصدر السابق ص١٨٩.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ج٢ ص١١٤.

اتطلب ثـأراً لـست منـه ولا لـه   وما لابن ذكران الصفدري والوتر
كما افتخرت بنت الحمار بأمها   وتنسى أباها إذ تسامى أولو الفخر
الا إنّ خير الناس بعد نبيّهم   وصي النبي المصطفى عند ذي
وأوّل من صلّى وصنو نبيّه   وأوّل من أردى الغواة لدى بدر(١)

وفي غمرة معارك الجمل كان المؤيّدون لبني أُميّة أو الذين عرفوا بالعثمانيين يصدحون بأراجيزهم لإثارة الحماس في صفوف قواتهم فيما كان أصحاب أميرالمؤمنين يجيبونهم بأراجيز مقابل أراجيزهم وفي طليعة من كان لهم رَجَز في حرب الجمل الصحابي عمار بن ياسر ومالك الأشتر. وقد التفّ بنو ضبّة حول الجمل الذي تركبه عائشة وكان أحدهم يأخذ بزمامه فإذا قتل أخذه آخر وهو يصيح:

نحن بنو ضبّة أصحاب الجمل   ننعى ابن عفّان بأطراف الأسل
ردّوا علينا شيخنا ثمّ بجل(٢)

فردّ عليهم مالك الأشتر قائلاً:

كيف نردّ نعثلاً وقد قحل   سارت به أم المنايا ورحل

ثمّ أهوى عليه بالسيف وقتله(٣).

وفي حرب صفين التي استغرقت مئة يوم دخلت المواجهة الشعرية مرحلة شاملة وتصاعدت لهجة الخطاب بين الفريقين المتحاربين، وقد أورد نصر بن مزاحم أشعاراً كثيرة لشخصيات مرموقة في جيش الإمام عليه السلام من قبيل: مالك الأشتر، خزيمة بن ثابت، الفضل بن عباس، قيس بن سعد، عدي بن حاتم، عمرو بن الحمق الخزاعي، حجر بن عدي الكندي، النعمان بن عجلان الأنصاري،

---

(١) شرح نهج البلاغة.
(٢) الشيخ المفيد، الجمل ص١١٨.
(٣) المصدر السابق.

محمد ابن أبي سبرة القريشي، المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب، جندب بن زهير، أبو زبيد الطائي، الأحمر شاعر العراق، أبو حبّة بن غزية الأنصاري و... وكانت أشعارهم غالباً ما تأتي للردّ على أشعار أهل الشام. حتى الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام له شعر في صفين رداً على عمرو بن العاص.

يقول ابن أبي الحديد: «ومنهم النجاشي الشاعر من بني الحارث بن كعب كان شاعر أهل العراق بصفين وكان عليّ يأمره بمحاربة شعراء أهل الشام، مثل كعب بن جعيل وغيره»[1].

خلاصة الدرس الثامن والعشرون

في طليعة ما اهتمَّ به الشعراء الشيعة:

١ ـ الاحتجاج

بعد ظهور نتائج اجتماع السقيفة صدح الشعر بالاحتجاج على ما حصل وانبرى للدفاع عن حق الإمام في الخلافة ومن بين أُولئك المحتجين شخصيات من بني هاشم من قبيل: عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، والمغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب.

٢ ـ مواجهة شعراء البلاط:

بعد مصرع الخليفة الثالث في سنة (٣٥ هـ) سعى الأُمويون لاستغلال الشعر في التحريض الدعائي ضد الإمام عليّ عليه السلام، وقد تصدّى لهم الشعراء الشيعة وفنّدوا أباطيلهم وتخرصاتهم، وفي حرب صفين دخلت المواجهة الشعرية مرحلة حاسمة.



---

(١) ابن أبي الحديد، المصدر السابق ج ٤ ص٨٧

أسئلة الدرس الثامن والعشرون

١ ـ ماهو رأي العلاّمة الأميني في احتجاج الشعراء الشيعة؟

٢ ـ متى بدأت المواجهة الشعرية بين الشيعة وخصومهم؟

الدرس التاسع والعشرون

٣ ـ شعر المراثي

الرثاء من المواضيع الأساسية التي طرقها الشعر الشيعي وقد أبدع الشعراء في الرثاء ووصلوا بمرثياتهم حدوداً رائعة ومؤثرة وقد شهد شعر المراثي قفزة كبرى بعد مأساة عاشوراء ذلك أن نزف الدم ومسلسل الثورات ومسيرة المعاناة الطويلة كانت قد بدأت منذ سنة (٦١ هـ) وهو تاريخ مذبحة كربلاء المروّعة تلك المأساة التي هزّت وجدان الرأي العام الإسلامي بشكل عام والضمير الشيعي بشكل خاص.

من هنا يمكن أن نقسم شعر المراثي إلى قسمين:

الأوّل: رثاء الإمام الحسين وشهداء كربلاء

لم يشهد تاريخ الإسلام حادثة أكثر فجيعة ممّا حدث في كربلاء وبالرغم من مرور ما يقارب الأربعة عشر قرناً؛ ما تزال هذه الحادثة المروّعة الأشد إيلاما والأكثر تأثيراً في النفوس والقلوب بحيث يمكن القول أنه لا يوجد محب لأهل البيت له القدرة على نظم الشعر لم يرث الإمام الشهيد وأصحابه الأوفياء.

وقد ظهرت معظم قصائد الرثاء الحسيني والكربلائي بعد نهاية القرن الأوّل وبدء اضمحلال الحكم الأموي، يقول أبو الفرج الإصفهاني: «وقد رثى الحسين بن علي ـ صلوات الله عليه ـ جماعة من متأخري الشعراء استغني عن ذكرهم في هذا الموضع كراهة الإطالة وأما من تقدم فما وقع إلينا شيء رثى به، وكانت الشعراء لا تقدم على ذلك مخافة من بني أُميَّة وخشية منهم»[1].

---

(١) مقاتل الطالبين، منشورات الشريف الرضي، ط الثانية (١٤١٦ هـ) ص١٢١.

وكان عبيدالله بن الحر قد رثى الإمام الحسين بعد استشهاده فتعرض لملاحقة عبيدالله بن زياد حاكم العراق مما اضطرّه إلى الفرار[١].

لقد بدأ شعر المراثي الكربلائي مبكراً ويمكن القول بعد حدوث المأساة مباشرة، ولكن قسوة النظام الأُموي وبطشه ودمويته جعل حجم الأشعار الرثائية ضئيلاً إذا ما قيس بالمراثي التي نظمت بعد نهاية القرن الأوّل للهجرة.

ويمكن القول أن نساء بني هاشم كنّ الرائدات في شعر المراثي، فما إن وصلت أنباء كربلاء إلى المدينة المنوّرة حتى خرجت زينب بنت عقيل من دارها لتندب شهداء كربلاء:

ماذا تقولون إذ قال النبيّ لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... نصف أسارى ونصف ضرّجوا بدمِ

ماكان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... إن تخلفوني بشرٍّ في ذوي رحمي[٢]

وتبقى مرثيات أُم البنين وهي والدة العباس أخو الإمام الحسين في طليعة المشهد الشعري الرثائي حول مأساة كربلاء يذكر أبو الفرج الإصفهاني أن أُم البنين كانت تمسك بيد حفيدها عبيدالله بن العبّاس وتذهب صوب البقيع، فيجتمع أهل المدينة حولها ويبكون لرثائها، وقد أبكت لواعجها وأشجانها عدوّ آل البيت اللدود مروان بن الحكم[٣] تقول أُم البنين في بعض أشعارها:

يا من رأى العباس كر ... على جماهير النقد

ووراءه من أبناء حيدر ... كل ليث ذي لبد

أنبئت ان أبني أُصيب ... برأسه مقطوع يد

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين، تحقيق حسن الغفاري، ط الثانية (١٤٠٦ هـ) ص٢٤٥.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام ص٢٢٧، ٢٢٨.

(٣) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبين، منشورات الشريف الرضي، قم ط الثانية (١٤١٦ هـ) ص٩٠.

ويــل علــى شــبلي أمــال | برأســه ضــرب العمــد
لــو كــان ســيفك فــي يــد | يــك لمــا دنــا منــك أحــد[1]

وعندما عادت قافلة سبايا كربلاء إلى المدينة المنورة طلب الإمام زين العابدين من بشير بن حذلم أن يسبقهم في دخول المدينة وينعى شهداء كربلاء، وانطلق بشير فدخل المدينة ووقف قرب مسجد النبيّ ﷺ وهتف بأعلى صوته:

يـا أهـل يثـرب لا مقـام لكـم بهـا | قتــل الحسين فـأدمعي مـدرار
الجـسم منــه بكــربلاء مــضرّج | والــرأس علــى القنــاة يــدارُ[2]

ومن بين شعراء القرن الأول الهجري من قبيل خالد بن معدان، عقبة بن عمرو، عبيدالله بن الحرّ، سليمان بن قتّة العدوي، وعوف بن عبدالله الأحمر الأزدي، وقد رثوا الإمام الحسين، وقد روي أن خالد بن معدان كان في الشام وقد رأى رأس الحسين فوق رمح طويل فقال:

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمّـد | متــــرملاً بدمائـــــه تــــرميلا
وكأنمـا بـك يـابن بنـت محمّـد | قتلــوا جهــاراً عامــدين رســولا
قتلــوك عطــشاناً ولــم يترقبــوا | فــي قتلـك التنزيــل والتــأويلا
ويكبّــرون بــأن قُتلــت وإنّمــا | قتلــوا بــك التكبيــر والتهلــيلا[3]

وهذه الأبيات أروع ما قيل في رثاء الحسين الشهيد في تلك الفترة.

ومن بين الذين رثوا سيّد الشهداء عبيدالله بن الحرّ، ومطلع قصيدته:

يقــول أميــر غــادر أي غــادر | ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة

---

(١) الغفاري، حسن، ذيل كتاب مقتل الحسين لأبي مخنف، قم (١٣٦٤ هـ. ش) ص١٨١.

(٢) ابن طاووس، اللهوف، ترجمة محمّد طاهر الدزفولي، مؤسسة الأنصاري، قم ط الأولى ١٣٧٨ هـ. ش ص٢٨٤.

(٣) الأمين السيد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت (بدون تاريخ) ج١ ص٦٠٢٣.

فتعرّض لملاحقة ابن زياد، فامتطى صهوة جواده وهرب ولم يمسك به أحد[١].

وتنسب إلى سليمان بن قتّة أبيات في رثاء الشهيد جاء فيها:

مـررت علـى أبيـات آل محمّـد ... فلـم أرهـا لعهـدها بيـوم حلّـت
وكـانوا رجـاءً ثـمّ صـاروا رزيّـةً ... وقد عظمـت تلـك الرزايا وجلّـت
ألم تر أن الشمس أضحت مريضةً ... لفقـد حـسين والـبلاد اقـشعرت
وقـد أعولـت تبكـي الـسماء لفقـد ... وأنجمهـا ناحـت عليـه وحلّـت[٢]

وتنطوي هذه الأبيات على صور غاية في الروعة والرقة والجمال، أنها لوحة طبيعية حزينة تصوّر الحياة الإنسانية في مأتم كوني، غارقاً في الحزن والبكاء لمصيبة سيّد الشهداء.

وبعد انطواء القرن الأوّل للهجرة وانشغال الحكم الأُموي بمعالجة الوضع المتفجر هنا وهناك وبدء النشاط العبّاسي ضعفت سلطة الحاكمين وتراجع البطش وانحسرت السياسة الدموية وفي تلك الفترة بدأ الأئمةعليهم السلام بإحياء شعر الرثاء الحسيني والأدب الكربلائي وبدأ كبار الشعراء ينشدون مراثيهم في مجالس الأئمة الأطهارعليهم السلام شعراء هم من فحول الشعر العربي من قبيل: الكميت الأسدي، السيد الحميري، سفيان بن مصعب العبدي، منصور النمري ودعبل الخزاعي، يقول سفيان بن مصعب العبدي: «دخلت على أبي عبداللهعليه السلام قال: قولوا لأُمّ فروة تجيء فتسمع ما صنع بجدها قال: فجاءت فقعدت خلف الستر ثمّ قال: فأنشدها فقلت: فروجودي بدمعك المسكوب... قال: فصاحت وصحن النساء»[٣].

---

(١) أبو مخنف، المصدر السابق ص٢٤٥.

(٢) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين ص١٢١.

(٣) العلاّمة الأميني، عبدالحسين، الغدير، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ج٢ ص٢٩٤، ٢٩٥.

كما يروي أبو الفرج الإصفهاني عن إسماعيل التميمي:

«كنت عند أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام إذ استأذن آذنه السيد فأمره بإيصاله، وأقعد حرمه خلف ستر، ودخل مسلم وجلس فاستنشده فأنشد قوله:

امـــرر علـــى جـــدث الحـــسين ... فقـــل لأعظمـــه الزكيـــه

يـــا أعظمـــاً لازلـــت مـــن ... وطفـــا وســـاكبة رويّـــه

فـــإذا مـــررت بقبـــره ... فاطـــلْ بـــه وقـــف المطيـــه

وابـــك المطهـــر للمطهـــر ... والمطهـــرة النقيـــه

كبكـــاء معولـــة أتـــت ... يومـــاً لواحـــدها المنيّـــه

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمّد تنحدر على خديه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره»[1].

وربما أنشد شخصيات من قبيل الفضيل الرسان وأبو هارون المكفوف أشعار السيد الحميري في رثاء الحسين في مجلس الإمام الصادق فيبكي الإمام بأسىً وربّما يطلب الإمام الصادق نفسه ـ على ما يروي ابن قولويه ـ من أحد أصحابه ـ أبوعمار مثلاً ـ أن ينشده أشعار العبدي في رثاء الحسين فينشدها في حضرته[2].

واشتهرت مراثي دعبل الخزاعي في حضرة الإمام الرضا وفي طليعتها:

مـدارس آيـات خلَـت مـن تـلاوة ... ومنـزل وحـي مقفـر العرصـات[3]

---

(١) الأغاني، أبو الفرج الإصفهاني ج٧ ص ٢٦٠.

(٢) المصدر السابق ص٢٩٥.

(٣) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤١١هـ، ج٣ ص٣٢٧ ورجال ابن داود، منشورات الرضي، قم ص٩٢.

ب ـ رثاء سائر الشهداء من ذرية النبيّ ﷺ

وقد فجّرت مأساة مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة عيون الشعر العربي في رثاء أبطال سقطوا وهم يقاتلون الطاغية، فهذا شاعر يقول بأسى:

إذا كنت لا تدرين ما الموت ... إلى هانئ في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشّم السيف وجهه ... وآخر يهوي في طمار قتيل
أصابهما أمر الأمير فأصبحا ... أحاديث من يسعى بكل سبيل
ايتركك أسماء المهايج آمناً ... وقد طلبته مذحج بذحول[(١)]

ويقول شاعر من قبيل: أعشى همدان في قصيدة طويلة يرثي بها شهداء ثورة التوّابين ومصرعهم في معركة عين الوردة:

توجه من دون ثنية سائراً فانظري ... إلى ابن زياد في الجموع الكتائب
فياحيز جيش للعراق وأهله ... سقتكم روايا كل أسحم ساكب[(٢)]

وللشعراء الشيعة مرثيات في زيد الشهيد ونجله يحيى ورموز الثورات التي قادها أحفاد الإمام الحسن السبط عليه السلام في العصر العباسي وسقطوا شهداء في دروب الثورة...

كما رثى شعراء من قبيل: عليّ بن عبدالله الخزاعي، المشيع المدني، الأشجع بن عمر السلمي وأبوطالب القمي الإمام الرضا عليه السلام[(٣)]:

وتأتي مرثيات الشهيد يحيى بن عمر الطالبي في المرتبة الثانية بعد رثاء الإمام الحسين عليه السلام، وكان يحيى قد ثار سنة (٢٤٨ هـ) في الكوفة ولقى مصرعه على يد محمّد بن عبدالله بن طاهر[(٤)] وقد رثاه القريب والبعيد وبكاه الكبير والصغير

---

(١) المسعودي، عليّ بن الحسين، المصدر السابق ج٣ ص٧١.

(٢) المصدر السابق ص١١٠.

(٣) الأمين، السيد محسن، المصدر السابق ص١٧٠.

(٤) المسعودي، عليّ بن الحسين، المصدر السابق ج٤ ص١٥٩، ١٦٠.

على حدّ تعبير المسعودي[١].

وقد أشار أبو الفرج الإصفهاني إلى كثرة المراثي التي قيلت وأنشدت بحقّ يحيى بن عمر الطالبي[٢].

٤ ـ فضائل ومناقب آل البيت عليهم السلام

ومنذ القرن الثاني وما تلاه اتجه شعراء الشيعة إلى الإشادة بأهل البيت عليهم السلام وتخليد مناقبهم ووصف فضائلهم، ساعين إلى نشر التشيّع من خلال التركيز على محوره الأساسي في إمامة الإمام عليّ عليه السلام، وقد تبارى في هذا الميدان شعراء كبار من قبيل الفرزدق، الكميت الأسدي، السيد الحميري، سفيان بن مصعب العبدي ودعبل الخزاعي.

لقد أوقف السيد الحميري حياته على الإشادة بمناقب أميرالمؤمنين عليه السلام وكان لوحده يمثل أكبر جهاز إعلامي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ولهذا فقد حظي لدى الشيعة في عصره بمنزلة رفيعة جداً.

ووفقاً لما رواه أبو الفرج الإصفهاني فإنّ للسيّد الحميري ٢٣٠٠ قصيدة.

وروى أبو الفرج الإصفهاني أيضاً أن السيّد الحميري كان يتردّد على منزل سليمان بن مهران الأعشى فيسمع منه فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام ويقوم بتسجيلها ثمّ ينظمها شعراً، يقول ابن المعتز:

«كنّا جلوساً عند أبو عمرو العلاء فتذكرنا السيّد فجاء فجلس وخضنا في ذكر الزرع والنخل ساعة فنهض فقلنا يا أبا هاشم لم القيام فقال:

إنـــي لأكـــره أن أطيـــل بمجلـــس   لا ذكـــر فيـــه لفـــضل آل محمّـــد

---

(١) المصدر السابق ص١٦٢.

(٢) أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين ص٥١١.

لا ذكـر فيـه لأحمـد ووصـيّه　　　وبنيـه ذلـك مجلـس نطـف ردي
إنّ الـذي ينـساهم فـي مجلـس　　　حتـى يفارقـه لغيـر مـسدد[(١)]

كما روي أيضاً:

كان السيّد يأتي الأعمش فيكتب عنه فضائل عليّ(رضي الله عنه) ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً. فخرج ذات يوم من عند بعض أُمراء الكوفة وقد حمله على فرس وخلع عليه؛ فوقف بالكُناسة ثمّ قال: يا معشر الكوفيّين، من جاءني منكم بفضيلة لعليّ بن أبي طالب أقل فيها شعراً أعطيته فرسي هذا وما عليّ. فجعلوا يُحدّثونه ويُنشدهم؛ حتى أتاه رجل منهم وقال: إن أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عزم على الركوب؛ فلبس ثيابه وأراد لبس الخفّ فلبس أحد خفّيه، ثمّ أهوى إلى الآخر ليأخذه فانقضّ عقاب من السماء فحلّق به ثمّ ألقاه فسقط منه أسود وانساب فدخل حجراً؛ فلبس عليّ(رضي الله عنه) الخف. قال: ولم يكن قال في ذلك شيئاً؛ ففكّر هنيهةً ثمّ قال:

ألا يا قوم للعجب العجاب فانظـري　　　لخـف أبـي الحـسن الحـساب
عـدوّي عـداة الجـبن وغـدٌ　　　بعيـد فـي المـرادة مـن صـوب
أتـى خفـاً لـه أنـساب فيـه　　　ليـنهش رجلـه مثـة بنـاب
ليـنهش خيـر مـن ركـب المطايـا　　　أميرالمـؤمنين أبـا تـراب
فخـرّ مـن الـسماء لـه عقـاب　　　مـن العقبـان أو شـبه العقـاب
ودوفـع عـن أبـي حـسن علـيّ　　　نقيـع سـمامه بعـد انـسياب[(٢)]

ومن الشعراء الذين نظموا في مناقب أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام وأكثروا وأجادوا

(١) الأغاني، أبو الفرج الإصفهاني ج٧ ص٢٨٦ .
(٢) الأغاني ج٧ ص٢٧٦ ـ ٢٧٧، دار الفكر.

الشاعر سفيان بن مصعب العبدي، قال فيه العلامة الأميني أنه لم يرَ له مديحاً في غير آل محمّدﷺ[١].

وكان العبدي يسمع من الإمام الصادق مناقب الإمام عليّعليه السلام ثمّ يقوم بنظمها شعراً[٢]، وقد روي عن الإمام الصادق قوله: «يا معشر الشيعة علّموا أبنائكم شعر العبدي فانّه على دين الله...».

«وقد أنشد الشعراء في رثاء الإمام الرضاعليه السلام قصائد كثيرة، أمثال عليّ بن عبدالله الخوافي، مشبع المدني، أشجع بن عمرو السلمي، وأبوطالب القمي»[٣].

لم يرث بعد الإمام الحسينعليه السلام أحد من قتلى آل أبي طالب مثلما رثى يحيى بن عمر الطالبي، الذي ثار سنة ٢٤٨ هـ وقتله محمّد بن عبدالله بن طاهر[٤]. يقول المسعودي في تاريخه:

«وقد رثي أبو الحسين يحيى بن عمر بأشعار كثيرة، وقد أتينا على خبر مقتله وما رثي به من الشعر....

... ولما قتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعاً كثيراً، ورثاه القريب والبعيد، وحزن عليه الصغير والكبير، وجزع لقتله المليء والدنيء»[٥]

٥ ـ هجاء خصوم آل النبيﷺ

إنّ التصدي للعدوّ إعلاميا ودعائياً هو أحد أشكال الصراع في عصرنا الحاضر.

---

(١) المصدر السابق ص٢٩٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع أعيان الشيعة الأجزاء ٤، ٨ و١٠.

(٤) مروج الذهب ج٤ ص٦٤.

(٥) مروج الذهب، المسعودي ج٤ ص٦٥، منشورات دار الهجرة ١٤٠٤ هـ، قم.

وفي العصور الماضية كان هجاء العدوّ بشكل قصائد ومقاطع شعرية من أكثر الوسائل الدعائية والإعلاميَّة تأثيراً.

ولهذا فقد انبرى شعراء الشيعة للدفاع عن كيان التشيّع من خلال هجاء الأعداء والخصوم وقد استهدف الشعراء رموز معادية لأهل البيتعليهم السلام وهم في الحقيقة أعداء لله والرسول؛ وفي طليعة مَن هجاهم شعراء الشيعة:

معاوية بن أبي سفيان، الوليد بن عقبة، وعمرو بن العاص فقد انقضّ عليهم شعراء بني هاشم وأنصار الإمام عليّ، يفنّدون مزاعمهم ويبطلون تخرصاتهم ويفضحون شخصياتهم.

وكانت أشعار الهجاء التي تستهدف طغاة بني أُميَّة غالباً ما تبقى دون إعلان عن قائلها كما هو الحال في هذا البيت الذي ظهر بعد هلاك يزيد بن معاوية:

يـــا أيهـــا القبـــر بحوّارينـــا ضممت شرّ النـاس أجميعنـا[1]

ومن أفضل شعر الهجاء في بني أُميَّة شعرللكميت الأسدي جاء فيه:

فقـــل لبنـــي أُميَّـــة حيـــث حلّـــوا وإن خفـــت المهنّـــد والقطيعـــا

اجـــاع الله مـــن اشـــبعتموه واشـــبع مـــن بجـــوركم أجيعـــا

بمرضـــيّ الـــسياسة هاشـــمي يكـــون حيـــاً لأُمتـــه ربيعـــا[2]

يقول الدكتور شوقي ضيف: «وكان الشيعة في كل مكان: في العراق وخراسان والحجاز يردّدون هذه الأبيات وأمثالها من أشعار الكميت، وأحسّ الأُمويون وواليهم في العراق يوسف بن عمر الثقفي خطراً في أشعار

---

(١) المسعودي، عليّ بن الحسين، مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ط الأولى (١٤١١ هـ) ج٣ ص٦٥.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ط الأولى (١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨م) ج٣ ص٣٦٥.

الكميت»[1].

ويقول أبو الفرج الإصفهاني في الكميت: «ذاك أشعر الأوّلين والآخرين»[2].

وقال: إنّ سبب هجاء الكميت أهل اليمن، أنّ شاعراً من أهل الشام يقال له حكيم بن عياش كان يهجو على بن أبي طالبعليه السلام وبني هاشم، وكان منقطعاً إلى بني أميّة، فانتدب له الكميت فهجاه وسبّه، فأجابه ولج الهجاء بينهما، وكان الكميت يخاف أن يفتضح في شعره عن عليّعليه السلام، لما وقع بينه وبين هشام، وكان يظهر هجاءه في العصبية التي بين عدنان وقحطان»[3].

وقد يعمد بعض الشعراء للردّ على شعراء البلاط من دون التصريح بأسمائهم كما هو الحال في سعيد بن حميد في عهد المستعين (العباسي) وكان من أعداء أهل البيتعليهم السلام وخاصة الإمام عليّعليه السلام فقد تعرّض للهجاء من قبل شعراء لم يصرحوا بأسمائهم ولكن الناس تناقلوا أشعار الهجاء فيه.

وفي تلك الفترة كان الشاعر عليّ بن الجهم في طليعة أعداء أهل البيتعليهم السلام وله قصائد تكشف عن حقده على الإمام عليّعليه السلام بل حصل من المتوكل على مكافأة لم يحظ بها شاعر من شعراء البلاط على امتداد تاريخ الإسلام وقد انبرى شعراء الشيعة له بالهجاء من قبيل عليّ بن محمّد بن جعفر العلوي وهاجم ابن الجهم وطعن في نسبه المزعوم.

ولأبي الأسود الدؤلي شعر يهجو ابن زياد جاء فيه:

أقــول وذاك مــن جــزع ووجــد   أزال الله ملــك بنــي زيــاد

---

(١) الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور، دار المعارف، القاهرة ص٣٦.

(٢) أبو الفرج الإصفهاني، الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج١٧، ص٣٦.

(٣) المصدر السابق ج١٧ ص٣٩.

وأبعـــدهم بمـــا غـــدروا وخـــانوا كمـــا بعـــدت ثمـــود وقـــوم عـــاد

وهجا السيّد الحميري قاضياً ردّ شهادة السيّد بسبب تشيّعه قائلاً:

أبـــوك ابـــن ســـارق عنـــز النبـــيّ وأنـــت ابـــن بنـــت أبـــي جحـــد

ونحـــن علـــى رغمـــك الرافـــضون لأهـــل الـــضلالة والمنكـــر[1]

وكان أبو نعامة الدقيقي الكوفي من جملة شعراء القرن الثالث الهجري الذين قاموا بهجاء مسؤولين كبار في الدولة العبّاسية واتهمهم بارتكاب الفضائح وقد لقي الشاعر مصرعه على يد «مفلح» أحد قادة الأتراك في الدولة العبّاسية[2].

خلاصة الدرس التاسع والعشرون

٣ ـ إنّ أحد أهم الموضوعات التي طرقها الشعر الشيعي هي المراثي حول أهل البيت عليهم السلام وهي تنقسم إلى قسمين:

أ: رثاء الحسين وشهداء كربلاء

وكانت نساء بنو هاشم أوّل من رثا شهداء كربلاء وفي طليعتهنّ أُم البنين وهي أُم العبّاس، وكانت تذهب إلى البقيع لترثي أبنها الشهيد وكان أهل المدينة يجتمعون حولها ويبكون لرثائها وبسبب سياسة القمع والبطش التي انتهجها الأُمويون فإنّ شعر المراثي الكربلائية كان ضئيلاً إذا ما قورن بالعصر العبّاسي، إذ شهد عصر الإمام الصادق ازدياداً ملحوظاً في شعر المراثي الحسينية.

ب: رثاء سائر الشهداء من ذرية النبيّ صلى الله عليه وآله

إنّ مسار أهل البيت هو مسار المعارضة للأنظمة القمعية وقدم أبناء

---

(١) العلاّمة الأميني، عبدالحسين، المصدر السابق ص٢٥٦.

(٢) ضيف، الدكتور شوقي، تاريخ الأدب العربي في العصر العبّاسي الثاني، دار المعارف بمصر ص٣٨٨.

النبيّ صلى الله عليه وآله قوافل من الشهداء وهم يقودون سلسلة من الثورات والانتفاضات ضدّ الظلم والطغيان وكان الشعراء الشيعة ما انفكّوا ينشدون المراثي لشهداء آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وتأتي مراثي الشهيد يحيى بن عمر الطالبي الذي ثار في عهد الخليفة المستعين العبّاسي في المرتبة الثانية بعد المراثي الحسينية.

٤ ـ فضائل ومناقب آل البيت عليهم السلام

وقد برع في هذا الميدان من الشعر فحول الشعر العربي في العصرين الأُموي والعبّاسي من قبيل الفرزدق، الكميت الأسدي، السيّد الحميري ودعبل الخزاعي ولهم عشرات القصائد التي تمجّد مناقب آل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله .

٥ ـ هجاء خصوم آل الرسول صلى الله عليه وآله

وبسبب اقدام السلطات الحاكمة على دعم شعراء البلاط واتخاذهم وسيلة اعلاُميّة ضد آل البيت عليهم السلام فقد تصدّى شعراء الشيعة إلى مهاجمة المسؤولين الحكوميين وفضحهم وانتقاد شعراء البلاط من خلال أُسلوب الهجاء.

* * *

أسئلة الدرس التاسع والعشرون

١ ـ متى بدأ شعر المراثي؟

٢ ـ من هم شعراء كربلاء؟

٣ ـ تحدث بايجاز عن المراثي الكربلائية بعد نهاية القرن الثاني الهجري.

٤ ـ من هو الشهيد الذي رثاه الشعراء بغزارة بعد الإمام الحسين؟

٥ ـ تحدث بايجاز عن شعر المناقب في آل النبي صلى الله عليه وآله .

٦ ـ تحدث عن الهجاء لدى شعراء الشيعة ومن كانوا يستهدفون في ذلك؟

فهرس المصادر

١ ـ آل عبدالجبار، شيخ محمّد بن شيخ عبدعلي، اثبات الإمامة المسمى بالشهب الثواقب في رجم شياطين النواصب، الهادي.

٢ ـ ابن أبي الحديد، عبدالحميد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣ ـ ابن الأثير، عز الدين عليّ بن محمّد، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٤٠٢ هـ.

٤ ـ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمّد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، المكتبة الإسلاميَّة، تهران (بي تا).

٥ ـ ابن أعثم، أبو محمّد بن أعثم. الفتوح، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ، ودار الأضواء، بيروت.

٦ ـ ابن طقطقاء، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلاميَّة، دار صادر، بيروت ١٣٨٥ هـ.

٧ ـ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٣هـ.

٨ ـ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت ط الأولى ١٤١٢ هـ.

٩ ـ ابن الجوزي، الإصابة في تمييز الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠ ـ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين بن عليّ. تحرير تقريب التهذيب، مؤسسة الرسالة، بيروت ط أول ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧م.

١١ ـ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين بن عليّ. تهذيب التهذيب، دار الفكر بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤ هـ.

١٢ ـ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين بن علي. لسان الميزان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤١٦ هـ.

١٣ ـ ابن حجر الهيثمي المكي، أحمد. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، مكتبة القاهرة ١٣٨٥ هـ.

١٤ ـ ابن حزم الأندلسي، أبو محمّد على بن أحمد بن سعيد. جمهرة أنساب العرب، بيروت ط الأولى ١٤٠٣ هـ.

١٥ ـ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمّد. مقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨ هـ.

١٦ ـ ابن سعد، محمّد. الطبقات الكبرى، دار بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٧ ـ ابن شهر آشوب المازندراني. معالم العلماء، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٠ هـ.

١٨ ـ ابن شهر آشوب المازندراني. مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء، بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٩ ـ ابن طاووس، على بن موسى. اللهوف على قتلى الطفوف، ترجمة محمّد طاهر الدزفولي، انتشارات بصيرتي، قم ١٣٧٨ هـ. ش.

٢٠ ـ ابن طباطبا، أبو إسماعيل بن ناصر. منتقلة الطالبيين، ترجمه محمّد رضا عطائي، انتشارات آستان قدس رضوي، ط الأولى، ١١٣،٢ هـ. ش.

٢١ ـ ابن عبدالبرّ، يسوف بن عمر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب في حاشية الإصابة.

٢٢ ـ ابن عبد ربّه، أحمد بن محمّد. العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٩ هـ.

٢٣ ـ ابن عساكر. تاريخ دمشق، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب تحقيق محمّد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت.

٢٤ ـ ابن عنبه. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، انتشارات الرضي، قم.

٢٥ ـ ابن قتيبة، أبو محمّد عبدالله بن مسلم. المعارف، تحقيق ثروة عكاشة، منشورات الشريف الرضي، قم، ط الأولى ١٤١٥ هـ.

٢٦ ـ ابن كثير، إسماعيل بن عمر. السيرة النبويّة، تحقيق مصطفى عبدالواحد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون تاريخ).

٢٧ ـ ابن ميثم البحراني، ميثم بن علي. النجاة في القيامة في تحقيق الإمامة، مجمع الفكر الإسلامي، قم ط الأولى ١٤١٧ هـ.

٢٨ ـ ابن النديم. الفهرست، دار المعرفة، بيروت (بدون تاريخ).

٢٩ ـ ابن واضح، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤١٤ هـ.

٣٠ ـ ابن هشام، أبو محمّد عبدالملك. السيرة النبويّة، دار المعرفة، بيروت (بدون تاريخ).

٣١ ـ أبو الفرج الإصفهاني، عليّ بن الحسين. الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٢ ـ أبو الفرج الإصفهاني، عليّ بن الحسين. مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، قم ١٤١٦ هـ.

٣٣ ـ أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود. الأخبار الطوال، منشورات الشريف الرضي، قم، (بدون تاريخ).

٣٤ ـ أبو مخنف. مقتل الحسين عليه السلام، تحقيق حسن الغفاري، قم ١٣٤٦.

٣٥ ـ أبو نعيم. تاريخ إصفهان، دار الكتب العلمية بيروت.

٣٦ ـ أحمد بن حنبل. المسند، دار صادر، بيروت.

٣٧ ـ أخطب خوارزم. المناقب، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف ١٣٨٥ هـ.

٣٨ ـ آدم متز. التمدن الإسلامي في القرن الرابع الهجري، ترجمة علي رضا ذكاوتي قراگزلو، مؤسسة انتشارات أمير كبير، طهران ١٣٤٦ هـ.

٣٩ ـ الأردبيلي الغروي الحائري، محمّد بن علي. جامع الرّواة، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم ١٤٠٣ هـ.

٤٠ ـ الأشعري، سعد بن عبدالله. المقالات والفرق، مركز انتشارات علمي وفرهنگي، طهران، ط ٢، ١٣٦٠ هـ. ش.

٤١ ـ البراقي النجفي. تاريخ الكوفة، دار الأضواء، بيروت.

٤٢ ـ البغدادي، أبو منصور عبدالقادر بن طاهر بن محمّد. الفرق بين الفرق، القاهرة ١٣٦٧ هـ.

٤٣ ـ الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن. وسائل الشيعة، المكتبة الإسلاميّة، طهران ط٦، ١٤٠٣ هـ.

٤٤ ـ الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، أبو فيض السيد مرتضى. تاج العروس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٤٥ ـ الرازي، أبي غالب. رسالة في آل أعين، مطبعة رباني، إصفهان ١٣٩٩ هـ.

٤٦ ـ الشيرازي، سيد عليّ خان. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، مؤسسة الوفاء بيروت.

٤٧ ـ الفراهيدي، الخليل بن أحمد. ترتيب كتاب العين، منشورات أسوة، طهران.

٤٨ ـ المبرّد، أبو العباس محمّد بن يزيد. الكامل في اللغة والأدب، منشورات دار الحكمة، دمشق.

٤٩ ـ المنقري، نصر بن مزاحم. وقعة صفين، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ١٤٠٤ هـ.

٥٠ ـ النميري البصري، أبو زيد عمر بن شبه. تاريخ المدينة المنورة، تحقيق

فهيم محمّد شلتوت، منشورات دار الفكر، قم ١٤١٠ هـ.

٥١ ـ أمير علي. تاريخ العرب والإسلام، ترجمة فخر داعي، انتشارات گنجينة، ط٣، ١٣٦٦ هـ. ش.

٥٢ ـ الأمين، سيد محسن. أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت (بدون تاريخ).

٥٣ ـ الأميني، عبدالحسين. الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، دار الكتاب الإسلاميّة، طهران ١٣٦٦ هـ. ش.

٥٤ ـ البخاري، محمّد بن إسماعيل. الصحيح، بولاق، ١٣١٤ هـ.

٥٥ ـ البرقي، أحمد بن محمّ بن خالد. رجال البرقي، مؤسسة القيوم.

٥٦ ـ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. أنساب الأشراف، تحقيق محمّد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٤٩ هـ

٥٧ ـ پور طباطبائي، سيد مجيد. تاريخ عصر الغيبة، مركز جهاني علوم اسلامي، قم.

٥٨ ـ پيشوائي، مهدي. پيشواى آزاده، انتشارات توحيد، قم، ط٢ ١٣٦٠ هـ.

٥٩ ـ پيشوائى، مهدي. سيره پيشوايان، مؤسسة تحقيقاتي وتعليماتي إمام صادق عليه السلام، قم، ط٨، ١٣٧٨ هـ. ش.

٦٠ ـ پيشوائى، مهدي. شخصيت هاى اسلامى شيعة، انتشارات توحيد، قم، ط١، ١٣٥٩ هـ. ش.

٦١ ـ التستري، محمّد تقي. قاموس الرجال، انتشارات اسلامى التابعة لجامعة المدرسين ١٤١٠ هـ.

٦٢ ـ الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد. الغارات، ترجمة محمّد باقر كمره اى، فرهنگ إسلام (بدون تاريخ).

٦٣ ـ جعفريان، رسول. تاريخ التشيّع در ايران از آغاز تا قرن هشتم هجري، شركت چاپ ونشر سازمان تبليغات اسلامى، قم ط ٥ ١٣٧٧ هـ..

٦٤ ـ الجعفري، يعقوب. مسلمانان در بستر تاريخ، دفتر نشر فرهنگ اسلامى ١٣٧١ هـ. ش.

٦٥ ـ حسن ابراهيم، حسن. تاريخ الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٧م.

٦٦ ـ حسني، عليّ أكبر. تاريخ تحليلي وسياسي اسلام، دفتر نشر فرهنگ اسلامى، طهران ١٣٧٣ هـ.

٦٧ ـ حسين يعقوب، أحمد. النظام السياسي في الإسلام، مؤسسة انصاريان، قم، ط٢، ١٤١٢ هـ.

٦٨ ـ حيدر، أسد. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، دار الكتب العربية، بيروت، ط٢، ١٣٩٠ هـ.

٦٩ ـ خالد حسن. مجتمع المدينة قبل الهجرة وبعدها، دار النهضة العربية، بيروت.

٧٠ ـ الخراساني، محمّد كريم. تاريخ وعقايد فرقه آقاخانيه، تلخيص حسين حسنى، قم ١٣٧٧ هـ. ش.

٧١ ـ الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ.

٧٢ ـ الخوئي، السيد أبوالقاسم. معجم رجال الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٣ ـ الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد. تاريخ الإسلام، دار الكتب الإسلاميّة، دار الكتب المصري ودار الكتب اللبناني ١٤٠٥ هـ.

٧٤ ـ الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد. ميزان الاعتدال، دار المعرفة، بيروت.

٧٥ ـ الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد. تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٦ـ الراوندي، قطب الدين. الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي قم، ١٤٠٩هـ .

٧٧ ـ رباني گلپايگاني، علي. فرق ومذاهب كلامي، مركز جهاني علوم اسلامي ج١، قم، ١٣٧٧ هـ. ش.

٧٨ ـ رضوي اردكاني، سيد أبوفاضل. ماهيت قيام مختار، انتشارات دفتر تبليغات اسلامى حوزة علمية قم (بى تا).

٧٩ ـ الزبير بن بكّار. الآحاد الموفقيات. تحقيق د. سامي مكي العاني، منشورات الشريف الرضي، قم ١٤١٦ هـ.

٨٠ ـ زيدان، جرجي. تاريخ تمدن اسلام وعرب، ترجمة على جواهر الكلام، مؤسسة انتشارات أمير كبير.

٨١ ـ زين العاملي، محمّد حسين. شيعة في التاريخ، ترجمة محمّد رضا عطائي، بنياد پژوهش هاى اسلامى، آستان قدس رضوى، ط٢ ١٣٧٥ هـ. ش.

٨٢ ـ السبحاني، جعفر. كليات في علم الرجال. مركز مديريت حوزة علمية قم، ط٢ ١٤١٠ هـ.

٨٣ ـ السمهودي، نور الدين. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمّد محي الدين عبدالمجيد .

٨٤ ـ السيد الرضي. نهج البلاغة، ترجمة فيض الإسلام.

٨٥ ـ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن. تاريخ الخلفاء. منشورات الشريف الرضي، قم ١٤١١ هـ.

٨٦ ـ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم، ١٤٠٤ هـ.

٨٧ ـ الشهرستاني. كتاب الملل والنحل. منشورات الشريف الرضي، قم ١٣٤٦هـ.ش.

٨٨ ـ شهيدي، سيد جعفر. تاريخ تحليلى اسلام، مركز نشر دانشگاهى، طهران، ط٦، ١٣٦٥ هـ. ش.

٨٩ ـ الشهيد الثاني. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، ط حجرية.

٩٠ ـ الصدر، سيد حسن. الشيعة وفنون الإسلام، لبنان ١٣٣١ هـ.

٩١ ـ الصدوق. عيون أخبار الرضا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ.

٩٢ ـ الصدوق، الأمالي، انشارات كتاب فروشي اسلاُميَّة.

٩٣ ـ ضيف. الدكتور شوقي. تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأوّل، دار المعارف مصر.

٩٤ ـ الطباطبائي، سيد محمّد حسين. الميزان في تفسير القرآن، دفتر انتشارات اسلامي جامعة المدرسين في الحوزة العلمية قم.

٩٥ ـ الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن. إعلام الورى بأعلام الهدى، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٧ هـ.

٩٦ ـ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن. مجمع البيان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ.

٩٧ ـ الطبرسي، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب. الاحتجاج. منشورات أسوة.

٩٨ ـ الطبري، محمّد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، دار القاموس الحديث، بيروت (بدون تاريخ).

٩٩ ـ الطوسي، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ. اختيار معرفة الرجال، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ١٤٠٤ هـ.

١٠٠ ـ الطوسي، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ. الفهرست، جامعة مشهد ١٣١٥ هـ. ش.

١٠١ ـ عالمي دامغاني، محمد علي. پيغمبر و ياران، كتاب فروشي بصيرتي، قم (بدون تاريخ).

١٠٢ ـ عبدالله عبدالعزيز بن ادريس. مجتمع المدينة في عهد الرسول، عمارة شؤون المكاتب جامعة الملك سعود، الرياض.

١٠٣ ـ العسكري، مرتضى. معالم المدرستين، مؤسسة البعثة قسم الدراسات الإسلاميّة، طهران ط٢، ١٤٠٩ هـ.

١٠٤ ـ الفيروزآبادي. قاموس اللغة. ط حجرية.

١٠٥ ـ قائدان، اصغر. تحليلي بر مواضع سياسي علي أبي طالب پس از رحلت پيامبر تا قتل عثمان بن عفان، مؤسسة انتشارات أمير كبير، طهران، ط٢، ١٣٧٦هـ. ش.

١٠٦ ـ كاشف الغطاء، شيخ جعفر. دفاع از حقانيت شيعة، ترجمة غلام حسن محرمي. مؤمنين، ط١، ١٣٧٨ هـ.

١٠٧ ـ كاندهلوى، شيخ محمّد يوسف. حياة الصحابة، تحقيق شيخ إبراهيم محمّد رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢.

١٠٨ ـ كرد عليّ، محمّد خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط٣، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م.

١٠٩ ـ الكلبي. جمهرة النسب، عالم الكتب، بيروت.

١١٠ ـ كياء گيلاني، سيد أحمد بن محمّد بن عبدالرحمن. سراج الانساب، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ١٤٠٩ هـ.

١١١ ـ گوستاولوبون. تاريخ تمدن اسلام وعرب، ترجمة سيد هاشم الحسيني، كتاب فروشي اسلاُميّة.

١١٢ ـ القندوزي الحنفي، شيخ سليمان. ينابيع المودّة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.

١١٣ ـ لويس معلوف. المنجد، انتشارات اسماعيليان، ط ١.

١١٤ ـ المامقاني، عبدالله. تنقيح المقال، انتشارات جهان، طهران.

١١٥ ـ المجلسي، محمّد باقر. بحار الأنوار، المكتبة الإسلاميّة، طهران.

١١٦ ـ محرمي، غلام حسن، پژوهشي پيرامون انصار، دفتر انتشارات اسلامي وابسته به جامعة مدرسين حوزة علمية قم، ١٣٧٨ هـ. ش.

١١٧ ـ محمّد بن إسماعيل. منتهى المقال، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.

١١٨ ـ محمّد جعفر، د. سيد حسين. تشيّع در مسير تاريخ، ترجمة سيد محمّدتقي آيت اللهي، دفتر نشر فرهنگ إسلامي، ط ٩، ١٣٧٨ هـ.

١١٩ ـ مختار الليثي، د. سميرة، جهاد الشيعة. دار الجيل، بيروت ١٣٩٦ هـ.

١٢٠ ـ مرتضى العاملي، جعفر. الصحيح بن سيرة النبيّ الأعظم، دفتر انتشارات اسلامي جامعة المدرسين في الحوزة العلمية قم، ١٤٢٠ هـ. ش .

١٢١ ـ مرتضى العاملي، جعفر. زندگانى سياسى امام جواد عليه السلام، ترجمة سيد محمّد حسيني، دفتر انتشارات اسلامي جامعة المدرسين في الحوزة العلمية قم، ط ٨، ١٣٧٥ .

١٢٢ ـ المسعودي، عليّ بن حسين بن علي. التنبيه والإشراف، دار الصاوي. القاهرة (بدون تاريخ).

١٢٣ ـ المسعودي، عليّ بن حسين بن عليّ. مروج الذهب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤١١ هـ.

١٢٤ ـ المظفر، محمّد حسين. تاريخ الشيعة، منشورات مكتبة بصيرتي، قم (بدون تاريخ).

١٢٥ ـ مغنية، محمّد جواد. الشيعة والحاكمون، ترجمة مصطفى زماني، انتشارات شهيد گمنام (بدون تاريخ).

١٢٦ ـ مغنية، محمّد جواد. الشيعة في الميزان، منشورات الشريف الرضي، قم ١٤١٣ هـ.

١٢٧ ـ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان. الإرشاد، ترجمة محمّد باقر الساعدي الخراساني، كتاب فروشي اسلاُميّة، ١٣٧٦ هـ. ش.

١٢٨ ـ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان. الجمل، مكتب الاعلام الإسلامي، مركز النشر، قم، ١٤١٦ هـ.

١٢٩ ـ المقدسي. أحسن التقاسيم، ترجمة د. علي نقي منزوي، شركت مؤلفان ومترجمان إيران.

١٣٠ ـ المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عليّ. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.

١٣١ ـ النجاشي، أبو العبّاس أحمد بن عليّ بن أحمد بن العبّاس. فهرست أسماء مصنفي الشيعة، دفتر انتشارات اسلامي وابسته به جامعة مدرسين، قم، ١٤٠٧ هـ.

١٣٢ ـ النوبختي، أبي محمّد الحسن بن موسى. فرق الشيعة، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٣٦ هـ.

١٣٣ ـ النوري، حسين. كتاب الخمس، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ١٤٢٨ هـ.

١٣٤ ـ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله. معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ١، ١٤١٧ هـ.

١٣٥ ـ اليوسفي الغروي، محمّد هادي. موسوعة التاريخ الإسلامي، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ط ١، ١٤١٧ هـ.

١٣٦ ـ الهيثمي، حافظ نور الدين عليّ بن أبي بكر. مجمع الزوائد، دار الفكر بيروت ١٤١٤ هـ.

فهرس المحتويات

الفصل الأوّل

الفصل الثاني: كيفية ظهور الشيعة

الفصل الثالث: فصول التحول التاريخي للشيعة

الفصل الرابع: الثورات الشيعية والعلوية في العصر الأُموي

الفصل الخامس

الفصل السادس: الانشقاق داخل التشيّع

الفصل السابع: الميراث العلمي للشيعة

الفصل الثامن: دور الشعراء الشيعة في نمو وانتشار التشيّع